جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
الدراسات العليا
قسم الأدب والنقد



تحقيق ديوان الزمخشري

ودراسة لشعره

رسالة دكتوراه

إعداد

علي عبد الله عبد عمرو

بإشراف

الأستاذ الدكتور عبد اللطيف خليف
عميد كلية اللغة العربية
ورئيس قسم الأدب والنقد

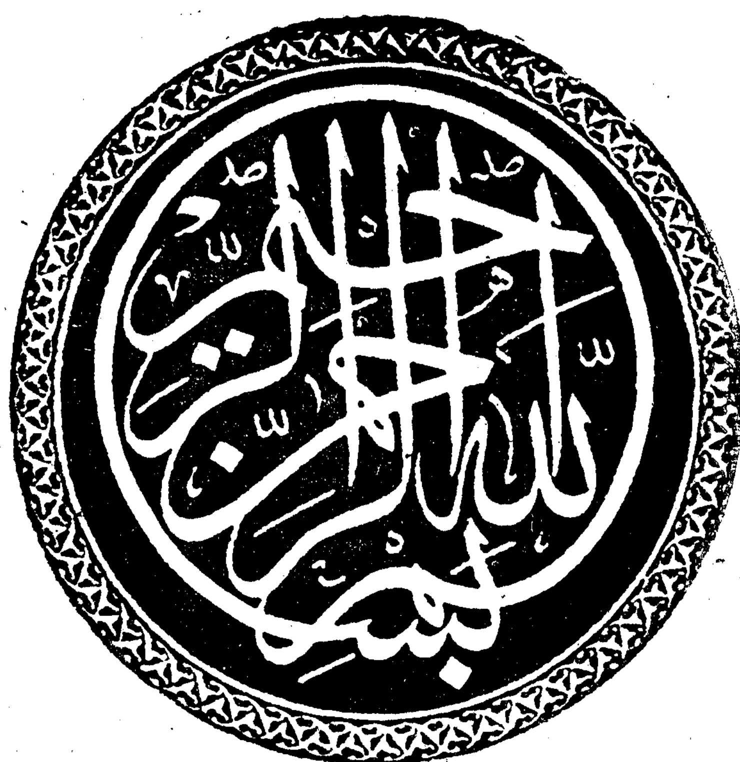


القسم الأول

الدراسة

١٣٩٩ هـ
١٩٧٩ م

مكتب النصر للآلات الكاتبة
مدينة نصر * رابعة الحدوة
عمارة ٨ شقة ٣


بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــداء

الي مـن ربيانـــى صغــــــــــيرا :

" والدىّ الفاضلــين "

الى المـــــين الساهــــرة ، واليد الحانية ،

الى من أعانـــتنى على انجاز هذا العمــــل :

" زوجـــتى العزيـــزة "

الى أحبائــــــى الصغـــــــــــار :

" أيمن ، ايناس ، مأمون ، فـــادى "

أهــدى رسالــتى هـــذه .

(على)

المقدمة

((المقدمــــــة))

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وأشهد ان لا اله الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

نعم شاءت قدرة الله سبحانه ، ان تسوقنى الا المكتبة الظاهرية للاطلاع على جهود سلفنا الصالح التى لاتزال فى طى النسيان ، وأخذت عينى تنتقل من مخطوطة الى أخرى ، وتمتد يدي بين الفينة والفينة لتتناول بعض هذه الاوراق الصفراء والتى مرت عليها مئات السنين ، فاذا بعضها يئن تحت الأصابع التى امتدت اليه ، ويشكو ضعفه ورقة حاله ، لأن تقلب الجديدين عليه قد أودى بصبره وأبلى اديمه وبعض أجزائه ، تسانده فى ذلك الرطوبة التى امتدت الى أوصاله بل بلغت فى كثير من الأحيان أحشائه ، وتأخذ العين فى التأمل بين سطوره ، فتنفذ أحيانا وتكل أخرى .

ووقعت عينى فيما وقعت على مخطوطة متماسكة القوى ، مكتوب عليها ((ديوان الزمخشرى)) ، وسارعت يدى الى تناوله ، فقد ذهب بى الظن الى أن المصنف قد وقع فى خطأ ، فأنا أعرف أن الزمخشرى مفسر ولغوى ، فما له وللشعر ؟ وسارعت يدى فى تقليب أوراقها ، وأخذت عينى تقفز بين سطورها تريد أن تتبصرها مرة واحدة ، ولكن أنى لها ذلك ، فهناك أكثر من خمسة الاف بيت من الشعر تقف أمامها متحدية

لها مدافعة عن صاحبها ، واصطحبت هذه المخطوطة الى حجرة المطالعة ، وأخذت فى قراءة الكثير من شعرها ، وقررت أن أتعايش معها مدة أطول حتى أخرجها الى النور اكراما لصاحبها الذى أفنى عمره فى العلم والتعلم ، وانقطع له وآثره على الزوجة والولد ، فلا ضير أن أمنحه بعض الوقت .

وبعد هذا العزم أخذت أبحث فى فهارس المخطوطات ، لعلى أجد أخوات لها قد فرق بينهن الزمن ، فأجمع شملهن من جديد ، فوجدت احداهن قد استقر بها المقام فى دار الكتب المصرية بالقاهرة وتحمل رقم ٥١٩ أدب ، وأخرى قد هاجرت الى تركيا وطاب لها المقام فى مكتبة رئيس الكتاب باستنبول تحت رقم ٣٣٠ ، وقد استطعت الحصول على (مايكروفلم) لهاتين النسختين من معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة ، وجزى الله العاملين فيه خيرا لسرعتهم فى تلبية الطلب .

وقد ذكر بروكلمان فى كتابه تاريخ الأدب العربى ان هناك نسخة فى المدينة المنورة تحت رقم ٧٠٥ ، وعبثا حاولت الحصول عليها بشتى الطرق ، ولكن بلا جدوى . وبعد ذلك أخذت أبحث فى فهارس المخطوطات الموجودة فى الدول الأجنبية مثل ألمانيا وفرنسا وانجلترا والولايات المتحدة الأمريكية ، فوجدت النسخة التى تحمل رقم ٧٠٥ والتى أخبرنا بروكلمان أنها فى المدينة ، موجودة فى جامعة (بيل) بولاية (نيوهافن) فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فكتبت الى الجامعة أطلب منهم ارسال شريط صور عن هذه المخطوطة ، فسارعوا الى تلبية الطلب ، بشرط أن لا يطبع الشريط الا باذن منهم ، وعند عرض الشريط على جهاز القراءة ، وجدت خطها واضحا وانها كتبت فى سنة ستمائة وثلاث وخمسين للهجرة ، وأن الناسخ قد نقلها عن خط الزمخشرى .

وباحضار هذه النسخة يكون قد اجتمع لى أربع نسخ من هذه المخطوطة ، ولما كانت نسخة جامعة بهل أوفى النسخ وأوضحها فقد جعلتها الأصل ، وجعلت من النسخ الأخرى مساعدات لى فى بلوغ مرامى .

وبعد أن انتهيت من تحقيق المخطوطة على الصورة التى بينتها فى فصل لاحق ، أخذت فى دراسة هذا الشعر الذى أخذ منى أكثر من سنتين وأنا أحاول ضبطه وارجاعه الى الأصل الذى كان عليه يوم قاله صاحبه ، وهذا هو الهدف الأساسى من التحقيق ، وقد وفقت فى معظمه وعجزت فى بعضه .

أما الدراسة فقد جعلتها فى مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة ، تناولت فى التمهيد عصر الشاعر من النواحى السياسية والاجتماعية والثقافية والتى لها ارتباط بحياة الشاعر وقد أوجزت فى ذلك .

الباب الأول : حياة الشاعر ، وقد جعلته فى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : النشأة والأسرة ، وتناولت بالدراسة اسمه ونسبه ولقبه ونسبته ، ومولده من حيث المكان والزمان ، ونشأته المبكرة وأسرته .

والفصل الثانى : الثقافة والرحلة والعلاقات .

وتحدثت فيه عن أول نظمه الشعر ورحلاته وشيوخه وتلاميذه واجازاته ومراسلاته وثقافته وآثاره المطبوعة والمخطوطة وغير المعروفة ، ووفاته .

وفى هذين الفصلين لافضل لى الا الجمع والترتيب والتنسيق ، فقد سبقت فيهما ، فكل من كتب عن الزمخشرى تعرض لهما ، بين مطيل ومختصر ، وأوفى الدراسات فيهما ماكتبه الدكتور احمد الحوفى فى كتابه (الزمخشرى) .

أما الفصل الثالث : فهو عن سمات الشاعر فى شعره ، وقد تحدثت فيه عن احساسه بالفقر وتكسبه بالشعر وقطع رجله وعزوبته وعفته وعزة نفسه وحبه للعرب والعروبة ، محاولا اشتقاق هذه السمات من الديوان فقط ، بعيدا عما كتب عنه ، وعما جاء فى كتبه الاخرى .

أما الباب الثانى : فهو شعر الزمخشرى وقد جاء فى اربعة فصول :

الفصل الاول : مصادر شعره : وهى تقسم الى قسمين :

أ ـ ما جاء فى المخطوطات .

ب ـ الموجود فى المصادر الادبية .

الفصل الثانى : موضوعات شعره مع تحليل كل منها على حدة ، وتكلمت فيه عن المديح عند الزمخشرى والرثاء والغزل والحنين الى مكة ، والشكوى والفخر والحكمة والهجاء .

الفصل الثالث : وقد خصصته للخصائص الفنية لشعر الشاعر وقد جاء فى ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : تكلمت فيه عن بناء القصيدة من حيث المقدمة ، مطلع القصيدة ، حسن التخلص ، حسن المقطع ، وحدة البيت والتضمين ، وحدة القصيدة ، الاوزان ، القوافى .

المبحث الثانى : وجعلته للمضمون ، وتحدثت فيه عن المعانى من حيث كثرة التكرار بسبب محدودية المضامين ، وعن التجديد والتقليد فى المعانى ، وعن السرقات الشعرية ، والاقتباس والتضمين من القرآن الكريم والحديث الشريف والسيرة والامثال والاشعار والقصص ، ومن حيث الغموض والوضوح فى هذه المعانى ومن حيث الصدق والجمال المعنوى والمادى ، ثم الوفاء بالمعنى وختمته بحديث عن العواطف عند الشاعر .

والمبحث الثالث : عن الاسلوب ، وتحدثت فيه عن انواع الاساليب والاسلوب عند الزمخشرى ، وعن سمات اسلوبه من حيث جزالة الالفاظ

والتعابير ، والاكثار من ذكر أسماء الأماكن ، ثم الصورة الشعرية والخيال ، ومايتعلق بذلك من تشبيه واستعارة وكناية ، وختمته بالحديث عن المحسنات البديعية عند الشاعر .

أما الفصل الثالث : فهو للقيمة الأدبية والتاريخية للمخطوطة :

ولقد ختمت البحث بخاتمة قصيرة ، أجملت فيها ماتوصلت اليه في الأمور التي بحثتها .

وفي ختام هذه المقدمة أرى لزاما على أن أوفي صاحب الحق حقه ، وذا الفضل فضله ، وأن من أولى الناس بهذا استاذي الجليل ، فضيلة الأستاذ الدكتور عبد اللطيف خليف عميد كلية اللغة العربية ، والمشرف على هذه الرسالة ، لما قدمه لي من جهد كبير ، وعناية وتسديد وتوجيه كريم — على كثرة أعماله ومسئولياته — حتى شاء الله تعالى — أن تخرج هذه الرسالة بهذا المظهر .

واني لأضرع الى الله عز وجل ان يجزيه عني خير الجزاء ، وأن يبارك له في وقته ، وان يديم النفع به .

كما أشكر كل من أسدى الي عونا في بحثي هذا ، سائلا المولى عز وجل أن يجزيهم عني أحسن الجزاء .

والله أسأل ان يرزقني الاخلاص في القول والعمل ، وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، وهو سبحانه ولي التوفيق ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

علي عبد الله عسيري

٦ من ذي القعدة ١٣٩٩ هـ
٢٧ أيلول ١٩٧٩ م .

تمهيـــد :

عصر الشاعر من النواحي السياسية والاجتماعيـــة والثقافيـــــة

=====

لقد عاش الزمخشرى فى النصف الثانى من القرن الخامس ، والنصف الأول من القرن السادس ، فى فترة كانت الخلافة اسمية ، وكان مركزها بغداد ، أما الذين كانوا يتحكمون بالامور فى هذه الفترة فهم سلاطين السلاجقة الذين حكموا معظم شرق العالم الاسلامى .

ولاتصالات الزمخشرى بسلاطين هذه الدولة ووزرائهم ، نعرض لها بشئ من الايجاز .

لقد تأسست هذه الدولة سنة ٤٢٩ هـ ، واستمرت حتى ٥٩٠ هـ (١) ، وقد امتلكت خوارزم سنة ٤٣٤ هـ ، ثم خراسان وبلاد الرى واصبهان وأذربيجان ، وفى سنة ٤٤٧ هـ كان نفوذ البويهيين قد انحسر عن بغداد ، فتقدم اليها طغرلبك ودخلها بغير حرب (٢) .

وينقسم هؤلاء السلاجقة الى أربعة بيوت فى أربع دول ، وهى الدولة السلجوقية الكبرى ، وملكت خراسان والرى والعراق وفارس والاهواز ، وسلاجقة كرمان وسلاجقة سوريا وسلاجقة الروم ، والذى يهمنا من هذه البيوت هو البيت الاول ، والذى تمثله الدولة السجوقية الكبرى ، ويهمنا منها السلاطين الذين عاصرهم الزمخشرى مابين ٤٦٧ هـ و ٥٣٨ هـ ، وهى فترة حياته .

واذا نظرنا عبر هذه الفترة وجدنا أن الزمخشرى عاصر من السلاجقة العظام (٣) :

١ – جلال الدولة (معز الدين) أبو الفتح ملكشاه بن آلب ارسلان ، تولى الملك فى ١٠ ربيع الأول سنة ٤٦٥ هـ ، وتوفى فى ١٥ شوال سنة

---

(١) تاريخ الأمم الاسلامية – الخضرى ص ٤١٧ .

(٢) نفس المرجع ص ٤١٧ .

(٣) معجم الانساب والاسرات الحاكمة – فى التاريخ الاسلامى – المستشرق زامباور – جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥١ م ص ٣٣٣ .

المرجع السابق

٤٨٥ هـ ، وكان لقبه السلطان جلال الدولة . وأصبح العهد الذي استهله ملكشاه في ١٠ رمضان سنة ٤٧١ هـ يسمى بالعهد الجلالي ، وكان لقب السلطان المنقوش على السكة جلال الدولة تارة ، ومعز الدين تارة أخرى ، ومن ألقابه : أمير المؤمنين والملك العادل .

٢ — ناصر الدين محمود بن ملكشاه — تولى الملك في ١٥ شوال سنة ٤٨٥ هـ ، وكانت أمه (تركان خاتون) وصية عليه بأصبهان ، توفى في السابعة من عمره ، لقبه مغيث الدين ، ناصر الدنيا والدين .

٣ — ركن الدين أبو المظفر بركيارق بن ملكشاه — تولى الملك سنة ٤٨٧ هـ ولد سنة ٤٧٤ هـ ونودي به سلطانا بالري بعد وفاة أبيه ، توفى في ١٢ ربيع الثاني سنة ٤٩٨ هـ . من ألقابه يمين أمير المؤمنين ، شهاب الدولة مجد الملك ، أبو الفوارس .

٤ — غياث الدين أبو شجاع محمد بن ملكشاه بن آلب ارسلان ، تولى الملك في ٢٣ جمادى الأولى سنة ٤٩٨ هـ . كان يحكم بغداد منذ سنة ٤٩٢ هـ ، ظل يحارب أخاه بركيارق منذ وفاة أبيه سنة ٤٨٥ هـ .

٥ — ناصر الدين (ثم معز الدين) أبو الحارث أحمد سنجر بن ملكشاه ، تولى الحكم في ٢٤ ذي الحجة سنة ٥١١ هـ . حاكم خراسان منذ ٥ جمادى الأولى سنة ٤٩٠ هـ ، وشهد رئيس للبيت السلجوقي ، توفى سنة ٥٥٢ هـ .

وقد اتصل الزمخشري ببعضهم ومدحهم ، ولكن وبعد اطلاعي على شعر الزمخشري ، وجدت أن معظم مدائحه في بيت نظام الملك ، حيث أن اتصالات الشاعر بنظام الملك وأبنائه كانت أكثر بكثير من اتصالاته

بالسلاطين ، فمن هو نظام الملك هذا حتى ينال هو وابناؤه كل هذا الثناء والمديح من شاعرنا ؟

لقد كان نظام الملك وزيرا عظيما لآل سلجوق ، استوزره آلب ارسلان ، واستعان به على ادارة ملكه ، ثم استوزره ابنه جلال الدين أبو الفتح ملكشاه ، فقام نظام الملك بتدبير أمور الملك واصلاح أموره خير قيام ، حتى أن تاريخ هذه الدولة ارتبط باسم وزيرها العظيم هذا ، وبفضله اتسع نفوذ جلال الدين ، فخطب له من حدود الصين شرقا الى آخر الشام غربا وازدهرت الآداب والفنون ، وازدهرت المدن بالمدارس والمستشفيات ، وكان جلال الدين سلطانا عادلا شجاعا متدينا ، وكان وزيره عالما جوادا مشغوفا بالعلم معظما للعلماء . وقد قتل هذا الوزير سنة ٤٨٥ هـ (١) . ومات السلطان بعده بشهر تقريبا ، فنشبت الفتن والحروب بين آل سلجوق وحكموا السيف بينهم ، فبموت هذا الوزير والسلطان انتهى العصر الذهبي لهذه الدولة ، وتلاه العصر الأوسط الذى امتد الى وفاة سنجر سنة ٥٥٢ هـ (٢) . ثم تلاه عصر الاضمحلال الذى انتهى على يد الخوارزميين سنة ٥٩٠ هـ (٣) .

أما أبناء نظام الملك فبالقاء لمحة سريعة عليهم نجد أن معظمهم قد احتل منصب الوزارة لما لهذه العائلة من شهرة عند السلاطين ورثهم اياها أبوهم نظام الملك بتنشئته لهم التنشئة المناسبة لهذه المناصب، ولما نال هو من شهرة واسعة أثناء توليه منصب الوزارة ، وهذه لمحة سريعة لهم (٤) : —

---

(١) الكامل لابن الاثير — دار صادر سنة ١٩٦٦م جـ١٠ ص ٢٠٤ — ٢١٠.
(٢) تاريخ الاسلام السياسى . د . حسن ابراهيم — مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧ . جـ٤ ص ٣٥ .
(٣) الكامل فى التاريخ — ابن الاثير — دار صادر سنة ١٩٦٦م جـ١٢ ص ١٠٦ .
(٤) معجم الانساب والاسرات الحاكمة — زامباور — ص ٣٣٦ .

١ ـ أبو القاسم عماد الملك وزير لارسلان آرغون بخراسان من ٤٨٥هـ ـ ٤٩٠ هـ .

٢ ـ ومؤيد الملك وزير لمحمد بن ملكشاه من ٤٨٦ هـ ـ ٤٨٧ هـ .

٣ ـ وعثمان شمس الملك ـ حاكم مرو .

٤ ـ وأبو عبد الله الحسين عز الملك وزير بركيارق وتوفى سنة ٤٨٧ هـ .

٥ ـ وأبو نصر أحمد نظام الملك الثانى وزير محمد بن ملكشاه من (٥٠٠ هـ ـ ٥٠٤ هـ) .

٦ ـ ومحمد بن مؤيد الملك بن نظام الملك وزير محمد بن ملكشاه من (٤٩٢ هـ ـ ٤٩٤ هـ) .

٧ ـ وأبو جعفر محمد بن فخر الملك بن نظام الملك وزير سنجر سنة ٥١٣هـ

أما الدولة الثانية التى حكمت خوارزم فى عصر الزمخشرى فهى الدولة الخوارزمية ، وهى تنسب الى نوشتكين احد الأتراك فى بلاط ملكشاه السلجوقى ، ولكن يعد ابنه محمد هو المؤسس الحقيقى لهذه الدولة ، حيث عينه بركيارق حاكما على اقليم خوارزم ولقبه خوارزم شاه ، فبدأ يركز دعائم الدولة ويقوى من شأنها ، ولكن هذه الدولة الناشئة أخذت تقوى وتمتد منذ اتسز بن محمد بن نوشتكين ، حيث انه تصارع مع سنجر السلجوقى حتى توفى سنة ٥٥١ هـ ، ولما كانت وفاة سنجر سنة ٥٥٢ هـ نهاية للسلاجقة فى فارس وخرسان ، أخذ الخوارزميون يمدون دولتهم ولا يجدون من يعوق طموحهم حتى استولوا على املاك الدولة السلجوقية سنة ٥٩٠ هـ (١) .

وقد عاصر الزمخشرى من سلاطين هذه الدولة (٢) :ـ

١ ـ انوشتكين من ٤٧٠ هـ ـ ٤٩٠ هـ .

---

(١) سلاجقة ايران والعراق ـ د . عبد النعيم حسنين ـ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٩ ص ١٣٨ .

(٢) معجم الانساب والاسرات الحاكمة ـ المستشرق زامباور ـ مطبعة جامعة فؤاد الاول سنة ١٩٥١م ص ٣١٧ .
مهذب رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٢٩٨ .

٢ — قطز الدين محمد من ٤٩٠ هـ — ٥٢١ هـ .

٣ — اتسـر من ٥٢١ هـ — ٥٥١ هـ .

مما سبق نجد ان الزمخشرى قد عاش فى عصر عمته الحروب الداخلية بين الدول المتناصرة على السلطة ، وفى زمن كانت فيه الخلافة رمزا اسميا فقط ، وكان الحكم الفعلى للسلاطين الحاكمين للبلاد الاسلامية الشرقية . فنجد الحكم الفعلى كان للبويهيين ثم للسلاجقة ثم للخوارزميين .

وفى نفس الوقت كانت جيوش الصليبيين تتدفق على بلاد الشام .

ومن أهم عادات أهل خوارزم الاجتماعية يحدثنا ابن بطوطة فيقول :

" ولم أر فى بلاد الدنيا أحسن أخلاقا من أهل خوارزم ، ولا أكرم نفوسا ولا أحب فى الغرباء ، ولهم عادة جميلة فى الصلاة لم أرها لغيرهم : وهى ان المؤذنين فى مساجدها يطوف كل واحد منهم على دور جيران مسجده معلما لهم بحضور الصلاة ، فمن لم يحضر الصلاة مع الجماعة ضربه الامام بمحضر الجماعة . وفى كل مسجد درة معلقة لذلك ، ويغرم خمسة دنانير تنفق فى مصالح المسجد أو لاطعام الفقراء والمساكين . ويذكرون أن هذه العادة عندهم مستمرة على قديم الزمان " .

الحياة الثقافية :

ان المطلع على كتب التراجم والتاريخ يجد أسماء العشرات من العلماء الذين ينسبون الى خوارزم ، فهل من سبب لهذه الكثرة ؟ نعم إن هناك أكثر من سبب لانتشار العلوم والعلماء فى هذه المنطقة نحاول أن نجملها ، وننوه بذكر أسماء بعض هؤلاء العلماء .

لقد ذكر الرحالة والمؤرخون أن المنطقة - أعنى خوارزم - تمتاز بخصوبة أرضها وجمالها ووفرة الأشجار والبساتين فى ربوعها ، وهذا بدوره يؤدى الى صفاء أخيلة الأدباء والشعراء فى ذلك الاقليم ، ويمدهم بمعين لاينضب من الصور والأخيلة . ولقد وقعت هذه المنطقة على تخوم أعداء الدولة الاسلامية ، وتعرضت للعديد من الغزوات ، فأثر هذا فى نفوسهم وجعلهم يتحمسون لدينهم ، فاندفعوا يدرسون ويتعلمون ويكتبون ويجادلون فى أمور دينهم ومايتعلق به من تفسير وفقه وحديث .

ونضيف الى هذين العاملين اهتمام السلاطين والوزراء بنشر العلم ، يخبرنا النسوى عن سلاطين خوارزم فى هذا المجال بقوله : "ان سلاطينهم عمروا قصورهم بالشعراء والكتاب والعلماء من فرس وعرب وقربوهم اليهم وأغدقوا عليهم ، كما فتحوا المدارس ، وشجعوا الوعاظ ، على الرغم من أن بعضهم مثل السلطان محمد بن تكش كان تركيا قليل المعرفة باللغة العربية" (١) .

أما بالنسبة للوزراء فلم يقلوا فى تشجيعهم للعلم والعلماء وفتح المدارس عن السلاطين فقد " كان نظام الملك عالما دينا جوادا عادلا حليما كثير العفو طويل الصمت وكان مجلسه حافلا بالفقهاء وأئمة المسلمين وأهل الخير والصلاح وقد اشتهر ببناء المدارس فى البلاد وخصص لها النفقات العظيمة ، وأملى الحديث ببغداد ونيسابور ، وغيرهما من مدن خرسان " (٢) .

أما بالنسبة للمكتبات فبامكاننا أن نتصور كثرتها وكثرة ماتحويه من كتب قيمة من وصف ياقوت لمدينة مرو ، فهو يقول : " .. فانى فارقتها وفيها

(١) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى - محمد بن أحمد النسوى - تحقيق حافظ حمدى - مطبعة دار الفكر العربى سنة ١٩٥٣ ص ١٥٤، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٠٢ .
(٢) تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى - د . حسن ابراهيم مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٧ ج ٤ ص ٣١ .

عشر خزائن للوقف لم أر فى الدنيا مثلها كثرة وجودة ، منها خزانتـــان فى الجامع احداهما يقال لها العزيزية ، وقفها رجل يقال له عزيز الديـن أبو بكر عتيق الزنجانى أوعتيق بن أبى بكر . وكان فيها اثنا عشــر ألف مجلد أو مايقاربها والأخرى يقال لها الكمالية لا أدرى لمن تنسب ، ومها خزانة شرف الملك المستوفى أبى سعد محمد بن منصور فى مدرسته ، ومات المستوفى هذا فى سنة ٤٩٤ هـ . وكان حنفى المذهب ، وخزانـة نظام الملك الحسن بن اسحق فى مدرسته ، وخزانتان للسمعانى ، وخزانـة أخرى فى المدرسـة العميدية ، وخزانة لمجد الملك أحد الوزراء المتأخرين بها ، والخزائن الخاتونيـــة فى مدرستها ، والضميرية فى خانكـــاه هناك ، وكانت سهلة التناول لايفارق منزلـــى منها مائتا مجلد وأكثـر بغير رهن تكون قيمتها مائتى دينار (١) .

كل هذه الظروف ادت الى ظهور كثير من العلماء (٢) والأدباء (٣) والفلاسفة

---

(١) معجم البلدان — ياقوت — دار صادر — ج ٥ ص ١١٤ .

(٢) منهم : على بن عبد العزيز الجرجانى المتوفى سنة ٣٦٦ هـ .
وأبو منصور محمد بن أحمد الازهرى (ت ٣٧٠ هـ) من هراة .
وأبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى (ت ٣٨٣ هـ) .
وأبو الحسن احمد بن محمد السهيلى الخوارزمى (ت ٤١٨ هـ) .
وأبو القاسم محمود بن عبد العزيز الخوارزمى الملقب بشمـس الدين (ت ٥٢١ هـ)
وأبو بكر أحمد بن الحسين النيسابورى (ت ٣٨١ هـ) ، واسماعيل بـن حماد الجوهرى — من فاراب (ت ٣٩٨ هـ) ، وبديع الزمان الهمذانى (ت ٣٩٨ هـ) ، وأبو منصور عبد الملك الثعالبى النيسابورى (ت ٤٢٩ هـ) وأبو الحسن على بن الحسـن الباخرزى السنخـى (ت ٤٦٧ هـ) وعبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) وأبو الفضل احمد بن محمـد الميدانى النيسابورى (ت ٥١٨ هـ) ، وآدم بن احمد بن اسد الهروى أبو سعد النحـو اللغوى (ت ٥٣٦ هـ) .
(الزمخشرى — احمد الحوفى — دار الفكر العربى ص ١٦ ومابعدها) .

(٣) منهم : أبو القاسم عبد الله بن احمد الكعبى (ت ٣١٧ هـ) .
وأبو زيد احمد بن سهل البلخى (ت ٣٢٢ هـ) .
وأبو على الحسين بن عبد الله بن سينا (ت ٤٢٨ هـ) .
وأبو حامد الغزالى (ت ٥٠٢ هـ) .
(الزمخشرى — أحمد الحوفى — دار الفكر العربى ص ٣٢ — ٣٤ .

والمتصوفة[1] ليس فى خوارزم فحسب بل فى الاقليم كله .

وعند التحدث عن الحياة الثقافية فى هذا الاقليم علينا الا نهمل الحديث عن المعتزلة ، لأنهم انتشروا فى هذه المنطقة انتشارا واسعا ، حتى أن خوارزم كانت تعج بالاعتزال ، حتى ليندر ان تجد خوارزميا ليس معتزليا ، فان كان غير معتزلى وأراد أن ينفى الاعتزال عن نفسه أكد ذلك ، كما نجد فى ترجمة ياقوت للقاسم بن الحسين بن محمد الخوارزمى ، " ... وقلت له : ماذهبك ؟ فقال حنفى ، ولكن لست خوارزميا ، لست خوارزميا يكررها ، انما اشتغلت ببخارى فارى رأى أهلها ، نفى عن نفسه أن يكون معتزليا "[2] .

وقد عاش الزمخشرى فى خضم هذه الحياة الزاخرة بأهم متطلبات الثقافة ، من معلمين ومدارس ومكتبات وحلقات جدال ونقاش ، بجانب وجود الحكام الذين يشجعون على العلم ويجلون العلماء ، فأثر كل ذلك فى نفسه فاندفع لتحصيل العلم والمعرفة ، وساعده فى ذلك استاذه الضبى ، وهمته العالية ، فنبغ فى معظم المعارف التى كانت موجودة فى عصره .

---

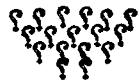
(١) منهم : أبو عبد الله محمد بن منازل النيسابورى (ت ٣٢٩ هـ) . وأبو العباس بن القاسم بن مهدى (ت ٣٤٢ هـ) .

(٢) معجم الأدباء — ياقوت ج ١٦ ص ٢٣٨ .

الباب الأول

ـ((الباب الأول))ـ

حياة الشاعر



((الفصـــل الأول))

النشـــأة والأســـرة

١ ـ اسمـــه ونسبـــه .

٢ ـ لقبـــه ونسبتـــه .

٣ ـ مولـــده ـ الزمان والمكـــان .

٤ ـ نشأتـــه المبكـــرة .

٥ ـ أسرتـــه .



: : : : :

اسمه ونسبه :

اسمه محمود بن عمر بن محمد بن أحمد ، كما جاء فى مفتاح السعادة (١) وشبيه بهذا ماذكره ياقوت في معجم الادباء ، فذكر أن اسمه محمود بن عمر بن أحمد (٢) ، دون ذكر اسم جده محمد ، اما ابن خلكان فى وفيات الأعيان ، والقفطى فى انباه الرواة وابن كثير فى البداية والنهاية فيذكرون بأن اسمه محمود بن عمر بن محمد بن عمر (٣) ، ونلاحظ هنا الاختلاف فى الجد الأخير بين عمر وأحمد ، ولم تسعفنا المراجع لكى نتوصل فى نسبه الى ابعد من هذا ، أما بقية المراجع فمعظمها ذكرت اسمه مختصراً محمود بن عمر الزمخشرى — وسواء أكان جده الأخير عمر أو أحمد ، فاننا لانستطيع من هذين الاسمين التوصل الى نسبته الى قبيلة معينة أو قوم معينين ولم يرد فى شعره اية اشارة الى قبيلته أو قومه أو الى أحد مشهور من عائلته لنتمكن عن طريقه من التسلسل فى نسبه الى أبعد من هذا .

وعلى كل فالرجل كان عصاميا ولم يكن عظاميا ، ويكفيه ذلك فخرا .

لقبه ونسبته :

كان الزمخشرى — رحمه الله — يلقب بجار الله ، وذلك لأنه جاور بمكة حرسها الله — مدة من الزمن ، يقول اليافعى فى مرآة الجنان : " ..... وكان قد جاور بمكة زمانا ، فصار يقال له

---

(١) مفتاح السعادة — طاش كبرى — دار الكتب المصرية — جـ ٢ ص ٩٧ .

(٢) معجم الأدباء — ياقوت — طبعة أخيرة — جـ ١٩ ص ١٢٦ .

(٣) وفيات الأعيان — ابن خلكان — دار صادر — جـ ٥ ص ١٦٨ ، وانباه الرواة . القفطى — دار الكتب المصرية — جـ ٣ ص ٢٦٥ ، والبداية والنهاية — ابن كثير — مطبعة السعادة — جـ ٢ ص ٢١٩ .

جار الله لذلك ، حتى صار هذا اللقب علما عليه (١) .

وأما نسبته فهي الى زمخشر — القرية التي ولد فيها — وهي قرية بضاحية خوارزم لذلك كان يقال له الزمخشري والخوارزمي ، ولكن نسبته الى زمخشر اشهر ، واذا أطلقت فقد اقتصرت عليه ، وهو الذي كان سببا في شهرة هذه القرية .

وأما كنيته فهي أبو القاسم ، ولا أصل لها لانه لم يتزوج ولم يكن له ولد ، وكذلك فان المراجع التي بين أيدينا لم تذكر سببا لذلك ، ولعله اتخذ هذه الكنية تبركا بكنية النبي عليه الصلاة والسلام ، وهذا ما غلب على ظني والله أعلم .

مولده :

لقد اتفقت جميع المراجع التي ذكرت سنة ولادته بأنها سنة سبع وستين واربعمائة ، ومعظمها حدد الشهر الذي ولد فيه بأنه شهر رجب ، بل ان ياقوت يحدد اسم اليوم وتاريخه في شهر رجب ، فهو يروى عن ابن أخت الزمخشري أبي عمرو عامر بن الحسن السمسار قوله : " ولد خالي بزمخشر من أعمال خوارزم يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة سبع وستين واربعمائة " (٢) .

ولم يشذ عن هذا الاجماع الا ابن الأثير حيث يقول بأن الزمخشري توفي ليلة عرفة عن ست وسبعين سنة (٣) ، وبما أنه ذكر وفاته سنة

---

(١) مرآة الجنان — اليافعي — دار المعارف — ج ٣ ص ٢٦٩ .
وفيات الأعيان — ابن خلكان — دار صادر — ج ٥ ص ١٦٨ .
(٢) معجم الأدباء — ياقوت — دار المأمون — ج ١٩ ص ١٢٦ .
(٣) البداية والنهاية — ابن الاثير — مطبعة السعادة ج ١٢ ص ٢١٩ .

ثمان وثلاثين وخمسمائة ، فتكون سنة ولادته على رأيه سنة اثنتين وستين وأربعمائة ، ولم أجد ما يؤيد هذا الرأى فى جميع المراجع التى تحدثت عن الزمخشرى ، لذلك أستبعد كل الاستبعاد ما ذهب اليه ابن الاثير ، وهو وهم منه .

" ... أما المولد فقرية مجهولة من قرى خوارزم تسمى زمخشر "(١)

بهذا القول الموجز يخبرنا الزمخشرى — رحمه الله — عن مكان ولادته ، وكذلك يقول ابن أخته : " وله خالى بزمخشر من أعمال خوارزم ... "(٢)

فاذا طمح بنا الفكر الى تلك البقعة لنجلو بعض خصائصها ، ونتبين معالمها ، فعلينا ان ننتقل الى الأقاليم الشرقية من العالم الاسلامى ، وان نطالع أقوال المؤرخين والرحالة عن تلك البقعة النائية التى انجبت مثل هذا العالم الجليل .

وأول ما يطالعنا من معالم هذه المنطقة نهر (جيحون) ، وعنه يقول ابن بطوطة : " وبخارج خوارزم نهر (جيحون) وهو يجمد فى أوان البرد ، ويسلك الناس عليه ، وتبقى مدة جموده خمسة أشهر ، وربما سلكوا عليه عند أخذه فى الذوبان فهلكوا . ويسافر فيه فى أيام الصيف بالمراكب الى (ترمذ) ، ويجلبون منها القمح والشعير ، وهى مسيرة عشر للمنحدر "(٣) .

وهذا الكلام يدل على شدة البرد فى تلك البلاد ، ويخبرنا ابن بطوطة انه عانى الكثير من هذا البرد حتى انه كان يتوضأ بالماء الحار بالقرب من النار ، فما تقطر من الماء قطرة الا جمدت لحينها ، واذا غسل وجهه

---

(١) معجم البلدان — ياقوت — مطبعة السعادة سنة ١٣٢٤ هـ — ج ٤ ص ٣٩٩ .
(٢) معجم الادباء — ياقوت — دار المأمون — ج ١٩ ص ١٢٦ .
(٣) مهذب رحلة ابن بطوطة — المطبعة الاميرية ببولاق — سنة ١٩٣٤م — ج ١ ص ٢٩٧ — أحمد العوامرى بك — ومحمد احمد جاد المولى بك .

ووصل الماء الى لحيته جمد ، فيسقط منها شبه الثلج ، والماء الذى ينزل من الانف يجمد على الشارب (١) . والابلغ من هذا هو سقوط الاطراف من شدة البرد ، فابن خلكان يخبرنا انه شاهد خلقا كثيرا ممن سقطت أطرافهم من شدة البرد فيقول : " ... والثلج والبرد كثيرا مايؤثر فى الإطراف فى تلك البلاد فتسقط ، خصوصا خوارزم ، فانها فى غاية البرد ، ولقد شاهدت خلقا كثيرا ممن سقطت أطرافهم بهذا السبب ، فلا يستبعده من لم يعهده " (٢) .

وبعد هذا البرد الشديد يأتى الربيع بما فيه من خصب وخيرات ؟ وتطالعنا أقوال الرحالة والمؤرخين فى هذا المجال ، بأن البلاد وافرة الخيرات ، كثيرة الثمار جميلة المنظر ، فياقوت يقول عنها : " وكنت قد جئتها سنة ٦١٦ هـ ، فما رأيت ولاية قط أعمر منها ... متصلة العمارة ، متقاربة القرى ، كثيرة البيوت المفردة والقصور فى صحاريها ، قل مايقع نظرك فى رساتيقها (٣) على موضع لاعمارة فيها ، هذا مع كثرة الشجر بها ..... وأكثر ضياع خوارزم ، مدن ذات أسواق وخيرات ودكاكين " (٤) . أما ابن بطوطة فيقول : " وصلنا الى خوارزم وهى أكبر مدن الاتراك وأعظمها وأجملها وأضخمها ، لها الأسواق المليحة والشوارع الفسيحة والعمارة الكثيرة والمحاسن الأثيرة ، وهى ترتج بسكانها لكثرتهم وتموج بهم موج البحر " (٥) . أما المقدسى فيقول : " هى كورة جليلة واسعة كثيرة المدن

---

(١) مهذب رحلة ابن بطوطة ـ المطبعة الاميرية ببولاق ـ سنة ١٩٣٤م ـ جـ ١ ص ٢٩٧ ـ أحمد العوامرى بك ـ ومحمد احمد جاد المولى بك .
(٢) وفيات الاعيان ـ ابن خلكان ـ دار صادر ـ جـ ٥ ص ١٦٩ .
(٣) الرزتساق والرستاق واحد فارسى معرب ، ألحقوه بقرطاس ، والجمع رساتيق وهى السواد . (اللسان : رستق) .
(٤) معجم البلدان ـ ياقوت ـ دار صادر سنة ١٩٥٦م جـ ٢ ص ٣٩٦ .
(٥) مهذب رحلة ابن بطوطة ـ أحمد العوامرى وزميله ـ المطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٩٣٢م جـ ١ ص ٢٩٧ .

متدة العمارة ، ... فيها المنازل والبساتين ، كثيرة المعاصر والمزارع والشجر والفواكه والخيرات مفيدة لأهل التجارات "[١] .

وعلى بعد أربعة أميال من خوارزم[٢] تطالعنا قرية تسمى زمخشر بفتح أوله وثانيه ثم خاء معجمة وراء مهملة ، وقد تضاربت أقوال الرواة حولها ، فبينما يخبرنا الزمخشري انها قرية مجهولة ، يقول عنها ياقوت : " انها قرية جامعة "[٣] ، ويقول السمعاني في الانساب : " انها قرية من قرى خوارزم كبيرة مثل بليدة ، بت بها ليلتين في توجهي الى خوارزم وانصرافي عنها "[٤] . وبينما يخبرنا ابن بطوطة انها على بعد أربعة أميال كما مر ، نجد في أنباه الرواة يقول القفطي : " ... وسمعت بعض التجار يقول : أنها قد دخلت في جملة المدينة ، وان العمارة لما كثرت وصلت اليها وشملتها ، فصارت من جملة محالها "[٥] . ونستطيع أن نوفق بين هذه الأقوال ، بأن زمخشر كانت قرية صغيرة بجوار خوارزم ، ومع تقدم الزمن وانتشار العمران ، نمت المدينة وكبرت ونمت القرية وكبرت ، حتى التقى العمران واتصل البنيان ودخلت القرية ضمن المدينة وصارت جزءا منها .

وحدث الزمخشري قال : " سمعت أبي قال : اجتاز بزمخشر اعرابي فسأل عن اسمها واسم كبيرها ، فقيل له زمخشر والرداد ، فقال : لاخير في شر ورد ، ولم يلمم بها ، أخذ شرا من زمخشر وردا من الرداد "[٦] .

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم — المقدسي — مطبعة بريل / مدينة ليدن سنة ١٩٠٩م ص ٢٨٤ .
(٢) مهذب رحلة ابن بطوطة جـ ١ ص ٢٩٨ .
(٣) معجم البلدان — ياقوت — مطبعة السعادة سنة ١٣٢٤ هـ جـ ٤ ص ٣٩٩ .
(٤) الانساب — السمعاني — مطبعة دائرة المعارف العثمانية / حيدرآباد جـ ٦ ص ٣١٥ .
(٥) أنباه الرواة للقفطي — دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤هـ — جـ ٣ ص ٢٦٥ .
(٦) معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٩٩ ، وفيات الاعيان جـ ٥ ص ١٧١ ، معجم الادباء ١٢٧/١٩ .

ولقد لخص المقدسي وصف هذه القرية بقوله : " ... وزمخشر صغيرة ، عليها حصن وخندق ومحبس وأبواب محددة ، والجسور ترفع ليلة ، والجادة تشق البلد ، والجامع ظريف بطرف السوق "(١) .

ففي هذه القرية الصغيرة الجميلة المحصنة الهادئة ، رأى شاعرنا النور لأول مرة ، وماكانت هذه القرية تعلم ، ولا كان يعلم أهلها ، بأن هذا الطفل الصغير سيكون سببا في شهرتها وعلما دالا عليها حتى طن ذكرها في الآفاق على مدى الأيام والدهور ، فابن وهاس(١) يقول في مدح الزمخشري :

جميع قرى الدنيا سوى القرية التي ... تبوأها دارا فداء زمخشرا

واحر بأن تزهى زمخشر بامرئ ... اذا عد في أسد الشرى زمخ الشرى

فلولاه ماطن البلاد بذكرها ... ولا طار فيها منجدا ومغورا

فليس ثناها بالعراق واهله ... باعرف منه في الحجاز واشهرا(٢)

ولبعض أفاضل المشرق :

فلو وازن الدنيا تراب زمخشر ... لانك منها زاده الله رجحانا(٣)

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ المقدسي ـ مطبعة بريل / مدينة ليدن سنة ١٩٠٩ م ص

(٢) ازهار الرياض في اخبار عياض ـ المقري سنة ١٣٦١ هـ ج ٣ ص ٢٨٥ .

(٣) نفس المرجع السابق .

(١) ابن وهاس الحسني : أمير مكة علي بن عيسى

الزمخ : الشامخ بأنفه (مقاييس) القاموس مادة زمخ

تكبر

نشأته المبكرة :

أما نشأته المبكرة فكانت حيث يقيم والداه في زمخشر ، وأرجح أنه تلقى تعليمه الأولى في بيئته هذه ، ولا يفوتنا أنه ولد في زمن السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك ، وأن عصرهما — كما بينا — كان من العصور التي نهضت فيها الآداب والعلوم ، وكان الآباء يحرصون على تعليم ابنائهم لينالوا المراكز الرفيعة في الدولة وعند السلاطين . وأوضح شئ في نشأته العلمية تتلمذه على استاذه محمود بن جرير الضبي الأصفهاني أبى مضر النحوى — " الذى كان يلقب فريد العصر ، وكان وحيد دهره وأوانه في علم اللغة والنحو يضرب به المثل في أنواع الفضائل ، أقام بخوارزم مدة وانتفع الناس بعلومه ومكارم أخلاقه وأخذوا عنه علما كثيرا وتخرج عليه جماعة من الأكابر في اللغة والنحو ، وهو الذى أدخل على خوارزم مذهب المعتزلة ونشره بها ، فاجتمع عليه الخلق لجلالته وتمذهبوا بمذهبه "(١) .

ونجد أن تأثير الاستاذ على تلميذه كان كبيرا ، ففى مجال النحو واللغة شارك الزمخشرى بكتابين جليلين هما المفصل واساس البلاغة كما ان تأثير الاستاذ على التلميذ لم يقتصر على الناحية العلمية فحسب بل تعداه الى الناحية العقائدية ، فالتلميذ يتبع أستاذه في تمذهبه بمذهب المعتزلة ، حتى انه شب متحمسا للاعتزال مذيعا لتعاليمه مجاهرا به فيروى عنه انه كان اذا قصد صاحبا له واستأذن اليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الاذن : قل له أبو القاسم المعتزلى بالباب "(٢) .

---

(١) معجم الأدباء — ياقوت — دار المأمون — الطبعة الاخيرة ج ١٩ ص ١٢٣ — ١٢٤

(٢) وفيات الاعيان — ابن خلكان — دار صادر ج ٥ ص ١٧٠ .

أم ترجح ؟

العقيدة على

وقد حفظ التلميذ للاستاذ الفضل طول حياته ، فهو يقول من قصيدته فى رثائه (١) :

فقلت لطبعى هات كل ذخيرة ... فمن أجله مازلت ادخر الذخرا
وابرز كريمات القوافى وغرها ... فمنه استفدنا العلم والنظم والنثرا

وفى قصيدة أخرى يمدح بها استاذه يذكر ارومته العربية لأن استاذه كان عربيا معتزا بعروبته (٢) :

مساعى فريد الدهر مستغرباتها ... معطلة ان قويست كل مقياس
جرير من السيد بن ضبة فى الذرى ... وضبة من أد بن الياس فى السراس
هم ديمة منهلة ساعة الندى ... وهم شهب منقضة ساعة الباس

ولكن نفس الزمخشرى الطموحة الى نيل المعرفة لم تكتف بما فى هذه البيئة من علوم ومعارف ، فنجده يذهب الى بخارى لطلب العلم ، ففى روايته عن سبب قطع رجله يقول : " ... فلما رحلت الى بخارى فى طلب العلم سقطت عن الدابة فى أثناء الطريق ... " (٣) وبخارى كما يصفها الثعالبى " ... مثابة المجد وكعبة الملك ومجمع أفراد الزمان ومطلع نجوم ادباء الارض وموسم فضلاء الدهر " (٤) .

ولاتسعفنا المراجع بأكثر من هذا عن نشأة الزمخشرى المبكرة ، أو عن الزمخشرى طفلا قبل أن يصبح شابا ويتصل بالوزراء والعلماء ويذيع أسمه حيث ان التاريخ لايلتفت الى كل أى مولود فى هذا الوجود الا اذا كان من أبناء الملوك والامراء ، أما عامة الناس فلا يلتفت اليهم الا عندما يفرضون

---

(١) الديوان ٣٤/٤٠ ، ٣٥ .
(٢) الديوان ٣٩/٣٠١ ، ٦ .
(٣) وفيات الاعيان ـ ابن خلكان ـ دار صادر ـ ج ٥ ص ١٧٠ .
(٤) يتيمة الدهر ـ الثعالبى ـ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ج ٤ ص ١٠١ .

انفسهم عليه بأعمالهم الجليلة التى تجعل الناس يشيرون اليهم بالبنـــان وعندها يدير لهم التاريخ طرفا من عينه ليسجل لهم بعض ما يقدمـــون لأمتهم وللاجيال من بعدهم •

وبهذا التعـليل نستطيع أن نبين سبب غموض الفترة الأولى مـــن حياة شاعرنا فى جميع المراجع التى ترجمت له •

أسرتـــه :

كما لاحظنا اثناء البحث عن نشأته المبكرة ، ان الغموض يلف هـــذه النشأة فى ثناياه ، كذلك هذا بحثنا لرسم صورة عن الأسرة التى شب فيها الزمخشرى ، وجدنا أن الظلام كثيف وان الغموض يحيط بها من كل جانب باستثناء بصيص من نور ضئيل تسلل عبر هذا الظلام الكثيف، وكان مصدره بعض أبيات للشاعر مبثوثة خلال ديوانه تحدث فيها عن بعـــض أفراد هذه الاسرة التى لم يذكر عنها التاريخ شيئا ، وعلى هذا الضــوء البسيط نحاول نرسم خطانا بكل حيطة وحذر .

وأول مايطالعنا من صفات هذه الأسرة انها متدينة وذات تقـــوى ، وقد اشتهر ذلك عنها بين الناس ، فشهدوا لها بالصلاح ، فهـــو يقول عن الخمر من قصيـدة لـــه :—

هات التى شبهت ظلما بشمس ضحى	لو عارضتها لغطتها باشـــراق
استغفر الله أنى قد نسبت بهـــا	ولم أكن لحمياها بـــذواق
ولم يذقها أبى كلا ولا احـــــد	من أسرتى واتفاق الناس مصداق (١)

أما عن أفراد هذه الأسرة ، فنجد أن الوالدة ذات عاطفة رقيقـــة توجه ابنها منذ نعومة اظفاره الى أن يكون راعيا لله فى خلقه حتى مع الحيوان الضعيف ، فهو يروى عن سبب قطع رجله فيقول : " كنت فـــى صباى أمسكت عصفورا وربطته بخيط فى رجله فأفلت من يدى ، فأدركتـــه وقد دخل فى خرق فجذبته فانقطعت رجله فى الخيط فتألمت والدتى لذلك وقالت : قطع الله رجلك كما قطعت رجله ... " (٢) . وقد اعتقـــد

(١) الديوان ١٠٤ / ٥ ، ٦ ، ٨ .
(٢) وفيات الاعيان — ابن خلكان — دار صادر جـ ٥ ص ١٧٠ .

الزمخشري - عندما قطعت رجله - أن اللـه استجاب لدعاء أمـه لصلاحها وتقواها ، لذلك فهو يتصورها مقيمة في الجنة ناعمة البـال ، فهو يقول :

ابني اني في الجنان مقيمة — اختال بين ظليلة الأفياء
حر الجحيم رضا الرحيم أعاذني — منه وانزلني مع الصلحاء
في جنة الفردوس فوق اريكة — في قبة من وردة زهراء
من كان في دار السلام حلوله — أنى يرى في الضيق والظلماء
واعلم بأني قد دعوت اللـه أن — تعطى رضاه فاستجاب دعائي (١)

أما بالنسبة للوالد فقد كان عالما أديبا قد تمكن من نفسه الدين فهو يقوم الليل ويصوم النهار ، صاحب خلق مصفى في عز الشباب فهو يقول عنه :

فقدته فاضلا فاضت مآثره — العلم والأدب المأثور والورع
أخا طباع صفاة مناسبة — ماء السحابة ما في بعضها طبع
وذا حقائق لا في لحظه طلب — لغير رشد ولا في لفظه قذع
لم يأل ما عاش جدا في تقاه يرى — ان الحريص على دنياه منخدع
صام النهار وقام الليل وهو شج — من خشية الله كابي اللون ممتقع
من المروءة في علياء متسع — صدرا وان لم يكن في المال متسع (٢)
قريب عهد بوخط الشيب عارضه — اثر الشباب ووحف الشعر متبع

وهو يخبرنا أيضا أن والده كان سجينا لدى مؤيد الملك ، ولم يذكر لنا سبب سجنه ، وهو يستشفع لدى مؤيد الملك ليطلق سراح هذا الوالد

---

(١) الديوان ١٩٤/٥ .
(٢) الديوان ١٢٤/١٧ .

الشاب من أجل تقواه وصلاحه ومن أجل عياله الصغار ، فيقول :

اكفى الكفاة مؤيد الملك الـــذى | خضع الزمان لعزه وجلالـــه
ارحم ابى لشبابه ولفضلـــــــه | وارحمه للضعفاء من أطفالـــه
ارحم اسيرا لو رآه من العـــدى | اقساهم قلبا لرق لحالـــه
ما اطول الليل الذى يفنيه فـــى | سهر واطول منه ليل عيالـــه
يشكو قيودا قصرت من خـــطوه | وسلاسلا حكمت بضيق مجالـــه
ماضر مثلك لو عفا عنه فمـــن | دأب الكرام العفو عن أمثالـــه
هب انه ممن أساء فما لـــــه | غلب الرزانة منك سوء فعالـــه (١)

ولقد توفى وهو قريب عهد بالشباب ، والظاهر انه توفى اثر سجنــــه حيث انه سجن شابا ثم توفى وهو قريب العهد بالشباب ، ويبكى فيــه العلم والادب والورع والفقر فى المال — كما مر معنا فى مرثيته السابقة — فى قولــه :

فقدته فاضلا فاضت مآثـــــره | العلم والأدب المأثور والـــورع
قريب عهد بوخط الشيب عارضـــه | اثر الشباب ووحف الشعر متبع (٢)

ويخبرنا الزمخشرى ان والده قد توفى وهو بعيد عنه ، وأن الوالد كــان يتحمل لوعة الفراق والبعد عن ولده رغبة فى تعليم هذا الابن وتهذيبــه فهو يقول :

وان مما قرانى حسرة وأســـــى | وضافنى الكرب من جراه والوجـع
ان عاقنى شحط دار عن تفقـــده | حتى قضى وهو من ذكراى ملتــذع
ياحسرتا اننى لم ارو غلتــــــه | وغلتى بزمان فيه نجتمــــــع
قد كنت اشكو فراقا قبل منقطعـــا | وكيف لى بعده بالعيش منتفــــع (٣)

(١) الديوان ١/١٩٧ .
(٢) الديوان ١٧/١٢٤ .
(٣) الديوان ٣١/١٢٤ .

ولم يكتف الزمن بأن يختطف من الزمخشري أباه وأمه وهو لايـــزال غض الاهـــاب ، بل يبتلى صبره باختطاف العديد من أفراد أسرتـــه فنجده يقـــول :

ما للنوائب لاينفـــك ديدنهـــا ... غمى وهجيرها قهرى واذلالـــى (١)
أودت بجدى وما ابقت أخى وطـــوت ... عمى وصادت بأسباب الردى خالى

فهو في البيت الثاني يذكر لنا فجيعته بجده وأخيه وعمه وخالـــه .
ثم نجده يرثى خالا له آخر فيقـــول :

ياخير خالين انى بعد فقدكمـــا ... من لوعة وأسى فى شر حالـــين (٢)
وان فرقة خال واحد حطمـــت ... ظهرى فكيف اذا فارقت خالـــين

ان هذه المعلومات عن هذه الاسرة مع قلتها ، تكشف لنا عن اســـرة فقيرة تقية ظفرت بحظ من علم وأدب ، وقد مضى أكثر افرادها فـــى حياة الزمخشري الذى امتحن بموتهم الواحد تلـــو الآخر .

---

(١) الديوان ١١/١٠/١٢٥ .
(٢) الديوان ٢٦١/١٢٦ .

((الفصـــل الثانـى))

الثقافــة والرحلــة والعلاقـــات

١ ـ أول نظمــه للشعــــــــــــر .

٢ ـ شيوخــــــــــــــــــه .

٣ ـ تلاميــــــــــــــــذه .

٤ ـ رحلاتــــــــــــــــه .

٥ ـ اجازاتــــــــه ومراسلاتــــــــه .

٦ ـ ثقافتــــه وآثـــاره ـ المطبوعة والمخطوطة وغير المعروفـــه .

٧ ـ وفاتـــــــــــــــــه .

: : : : :

أول نظمه الشعر :

لقد تلقى الزمخشري العلم على يد استاذه الضبي وكان هذا مقربا من نظام الملك ، فحاول الاستاذ أن يقدم تلميذه الى نظام الملك لأن التلميذ على مذهب الاستاذ في الاعتزال .

أخذ الزمخشري في مطلع حياته في مدح هذا الوزير وفي ذكر استاذه بخير ، وكان يقصد من ذلك أن ينال عند الوزير حظوة مثل بقية العلماء . واذا ماعرفنا أن نظام الملك قد توفى سنة ٤٨٥ هـ (١) ، وأن الزمخشري قد ولد سنة ٤٦٧ هـ — أي أن الزمخشري كان عند وفاة الوزير في ريعان الشباب ، بين السابعة عشرة والثامنة عشرة من عمره .

واذا مارجعنا الى مدائحه في نظام الملك وجدنا أنها تقسم ثلاثة أقسام : النوع الأول يثني فيه على نظام الملك ويثني على استاذه الضبي ، ويجعل منه صلة بينه وبين الوزير ، والنوع الثاني : يثني فيه على نظام الملك ويعتز بعلمه وأدبه ، وانه يستحق أن ينال لديه مايناله من هم أقل منه شأنا وعلما . والنوع الثالث : يظهر فيه التبرم وخيبة الامل واضحة فيه .

لذلك أقرر ان النوع الأول من هذه المدائح ، هو الاول من حيث الزمن ، حيث ان الزمخشري كان يتقرب بهذا الشعر لعله بوساطته وبوساطة استاذه يستطيع الدخول الى ساحة الوزير ، الذى كان يقرب العلماء ويبسط عليهم حمايته ، ويغدق عليهم من أموال الدولة ، ويجعل ذلك حقا مرسوما لهم ، ويوليهم المناصب والدرجات العالية في وظائف الدولة . ولما لاحظ ان الوزير لايعيره اهتمامه ، انتقل الى النوع الثاني

(١) معجم الانساب والأسرات الحاكمة — زامباور — مطبعة جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥١ ص ٣٣٣ .

لعله يجلب انتباهه ، ولما وجد ان الوزير غافلا أو متغافلا عنه انتقل الى النوع الثالث الذى اظهر فيه تبرمه وتهديده بالرحيل عن خوارزم كلها .

واذا كانت كل مرحلة من هذه المراحل تحتاج الى فترة كافية من الزمن ، رأينا أن شعره الأول فى مديح نظام الملك كان مابين سنة ٤٨٠ هـ و ٤٨٣ هـ . وعمر الزمخشرى فى هذه الفترة كان من بين الثانية عشرة والخامسة عشرة ، ولا أعتقد ان الزمخشرى قال شعرا ناضجا جيدا قبل هذا الوقت .

وهذه بعض النماذج من هذا الشعر المبكر ، يقول الزمخشرى فى احدى قصائده فى مدح نظام الملك ذاكرا فضل استاذه الضبى عليه :ـ

إليك نظام الملك شكواى فاستمع ... الى بث مجذوذ المعايش ضنكها
طريح خطوب كل يوم تنوبه ... ببائقة تنحى عليه ببركها
ولو لم يلى الضبى عنى عراكها ... لقالت يد البلوى أديمى بعركها (١)

وفى قصيدة أخرى يبين الصلة القوية بين   وبين الوزير ويستشفع بها لدى الوزير فيقول :ـ

ثنائى لصدر الملك ماعشت دائم ... وان دعائى مثله فى دوامه
جعلتهما وردى نهارى وليلتى ... كفعل الفتى فى صومه وقيامه
وكان فريد العصر عبدا مقربا ... وما أنا الا هضبة من شمامه
فان يرعنى المولى بحسن اصطناعه ... فقد تمم المولى قضاء ذمامه (٢)

(١) الديوان ٢٦/١٨ .
(٢) الديوان ٣٢/١٧ .

ونجد في قصيدة أخرى مايشير الى انه اتصل بنظام الملك ونال عطاءه فهو يقول :

اليك ربيب الملك اشكر انما   ليمناك هطالا على رزايها
ودائمة مني لك الدعوة التي   يجوب السماوات العلى مستجابها (١)

وبما أن الديوان لم يسعفنا بترتيب الشعر زمنيا ، وكذلك كتب التراجم ، لذلك أرجح أن هذا الشعر أول ماقال الزمخشري .

---

(١) الديوان ١٦/٣٩ .

شيوخـــه :

ماكان الزمخشرى صاحب هذه الثقافة الواسعة والمتعددة الألوان ، ان يحصل على كل هذه المعارف دون مشافهة علماء عصره ليتلقى العلم عنهم بالاضافة الى اطلاعه على كتب سابقيه ومؤلفاتهم وتسرد لنا المراجع التى بين أيدينا بعض شيوخ الزمخشرى الذين اتصل بهم وسمع منهم أو قرأ عليهم ، ففى أثناء وجوده بخوارزم نجد انه كان تلميذا لمؤدب أهل خوارزم الحسن بن المظفر النيسابورى الذى يقول عنه ياقوت : " أبو على أديب نبيل ، شاعر مصنف ... أثنى عليه أبو أحمد محمود بن ارسلان فى تاريخ خوارزم ثناء طويلا زعم فيه انه كان مؤدب أهل خوارزم فـــى عصره ، ومخرجهم وشاعرهم ومقدمهم والمشار اليه منهم ، وهو شيخ أبى القاسم الزمخشرى قبل أبى مضر ، وله نظم ونثر .

وله من التصانيف ديوان الأدب ، وتهذيب اصلاح المنطق وديوان شعر وديوان رسائل ، وكتاب محاسن من اسمه الحسن ، وكتاب زيادات اخبار خوارزم "(١) .

وفى خوارزم أيضا تتلمذ على أبى مضر ، محمود بن جرير الضبى الأصبهانى (٢) . ويظهر انه أكثر شيوخ الزمخشرى تأثيرا فى نفسه ، فهـــو

---

(١) معجم الأدباء — ياقوت — مطبعة دار المأمون ج ٩ ص ١٩١—١٩٣ .

(٢) محمود بن جرير الضبى الأصبهانى : هو أبو مضر النحوى ، كان يلقب فريد العصر ، وكان وحيد دهره واوانه فى علم اللغة والنحو والطلب ، يضرب به المثل فى أنواع الفضائل ، أقام بخوارزم مدة وانتفع الناس بعلومه ومكارم اخلاقه وأخذوا عنه علما كثيرا ، وتخرج عليه جماعة من الاكابر فى اللغة والنحو ، منهم الزمخشرى ، وهو الذى أدخل على خوارزم مذهب المعتزلة ونشره بها ، فاجتمع عليه الخلق لجلالته وتمذهبوا بمذهبه ، منهم أبو القاسم الزمخشرى ، ولست أعرف له مع نباهة قدره وشيوع فكره مصنفا مذكورا ، ولا تأليفا مأثورا الا كتابا يشتمل على نتف وأشعار وحكايات وأخبار سماه زاد الراكب (معجم الأدباء — ياقوت — دار المأمون — الطبعة الأخيرة ج ٩ ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

يذكره كثيرا في ديوانه ، ويلاحظ أيضا أن الاستاذ كان يرعى تلميـــذه ويساعده كثيرا ، فيقول الزمخشري فيه :

اليك نظام الملك شكواى فاستمع　　الى بث مجذوذ المعايش ضنكهـا
ولو لم يلن الضبى عنى عراكهـــا　　لنالت يد البلوى اديمى بعركهـا (١)

ويظهر حب الزمخشري لهذا الاستاذ في مراثيه له بعد وفاته سنة ٥٠٧ هـ . فهو يقول :ـ

فقلت لطبعى هات كل ذخيرة　　فمن أجله مازلت أدخر الذخـرا
وأبرز كريمات القوافى وغرهـــــا　　فمنه استفدنا العلم والنظم والنثرا (٢)

ورثاه أيضا بقولـــه :

وقائلـة ماهذه الدرر الــــتى　　تساقطها عيناك سمطين سمطين
فقلت : هو الدر الذى قد حشا به　　أبو مضر اذنى تساقط من عينى (٣)

وتأتى سنة ٥١٢ هـ ، ويمرض الزمخشري وينقطع لنفسه ويراجع سجـــل حياته فيصمم على تغيير سلوكه ، ويرحل الى بغداد ويناظر بها (٤) ، ويسمع الحديث من أبى الخطاب بن البطر (٥) ، ومن أبى سعد الشقانى وشيـــخ الاسلام أبى منصور الحارثى (٦) واجتمع بالفقيه الحنفى الدامغانـــــــى (٧) .

---

(١) الديوان ١٨/٢٦ ، ٢٨ .
(٢) الديوان ٤٠/٣٤ ، ٣٥ .
(٣) الديوان ٤١/٢٥١ ، وفيات الأعيان ٤/٢٥٨ ، معجم الأدباء ١٩/١٢٤ شذرات الذهب ٤/١٢٠ ، مرآة الجنان ٣/٢٧٠ ، أنباه الــــرواة ٣/٢٦٧ .
(٤) المختصر فى أخبار البشر ـ ابو الفدا ـ القسطنطينية سنة ١٢٨٦هـ ج ٣ ص ١٧ .
(٥) طبقات المفسرين ـ السيوطى ـ اوروبا ـ ص ٤١ .
(٦) بغية الوعاة ـ السيوطى ـ مطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ ص ٣٨٨ .
(٧) هو قاضى القضاة أبو الحسين الدامغانى ، على بن قاضى القضاة أبى عبد الله محمد بن على الحنفى ، ولى القضاء اربعا وعشرين سنة ، وكان ذا حزم ورأى وسؤدد ، وهيبة وافرة وديانة ظاهرة . (مرآة الجنـــان ـ اليافعى ـ دار المعارف ـ حيد رآباد ـ أولى ج ٣ ص ٢٠٤) .

وبالشريف ابن الشجري (١) .

وفي جواره الاول في مكة قرأ كتاب سيبويه على عبد الله بن طلحة اليابري المتوفى سنة (٥١٨ هـ) (٢) ، يقول ابن حيان : " ... رحل من خوارزم في شيبته الى مكة - شرفها الله تعالى - لقراءة كتاب سيبويه على رجل من أصحابنا من أهل جزيرة الأندلس كان مجاورا بمكة وهو الشيخ الامام العلامة المشاور أبو بكر عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله الاندلسي ... من بلاد جزيرة الاندلس ، فقرأ عليه الزمخشري جميع كتاب سيبويه (٣) .

---

(١) ابن الشجري : هو هبة الله بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن علي بن أبي طالب ، أبو السعادات المعروف بابن الشجري البغدادي . كان أوحد زمانه وفرد أوانه في علم العربية ومعرفته اللغة وأشعار العرب وأيامها واحوالها متضلعا في الأدب كامل الفضل ... اقرأ النحو سبعين سنة . وصنف الامالي والانتصار على ابن الخشاب ، وكتاب الحماسة ، وشرح التصريف الملوكي ، وشرح اللمع لابن جني النحوي ، وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه وغير ذلك .
توفي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٤٢ هـ .
ومن شعره :

لاتمزحن فان مزحت فلا يكن مزحا تضاف به الى سوء الأدب
واحذر ممازحة تعود عداوة ان المزاح على مقدمة الغضب

(معجم الأدباء - ياقوت - دار المأمون - اخيرة - ج ١٩ ص ٢٨٢ ، ٢٨٣) .

(٢) قال في البغية : نحوي أصولي فقيه ، روى عن أبي الوليد الباجي وقرأ عليه الزمخشري بمكة كتاب سيبويه ، وشرح رسالة أبي زيد ، ورد على ابن حزم ، مات سنة ثماني عشرة وخمسمائة .
(بغية الوعاة - السيوطي - عيسى البابي الحلبي - اولى سنة ١٣٨٤ هـ ج ٢ ص ٤٦ .

(٣) البحر المحيط - ابن حيان - ج ٤ ص ٣٧٢ .

وأثناء عودته من مكة بعد جواره الثاني ، مر ببغداد سنة ٥٣٣ هـ ، وقرأ بعض كتب اللغة على أبي منصور الجواليقي (١) . فابن خلكان يروى عن أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي قوله : " قدم علينا (يعني الزمخشري) بغداد سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، ورأيته عند شيخنا أبي منصور الجواليقي مرتين قارئا عليه بعض كتب اللغة من فواتحها ومستجيزا لها لانه لم يكن لـه على ماعنده من العلم لقاء ولا رواية " (٢) .

وهذا يدلنا على أن شاعرنا وهو ابن السادسة والستين يجلس مجلس التلميذ من استاذه لنيل العلم والمعرفة ، وهذا يدل على نفسه التواقة الى نيل العلم والمعرفة ولايمنعه الضعف والكبر من ذلك فجزاه الله عنا خيرا .

---

(١) هو موهوب بن أحمد بن محمد بن الحسن بن الجواليقي ... من ساكني دار الخلافة ، امام في الفقه والنحو والادب ، وهو من مفاخر بغداد ... وهو متدين ، ثقة ، غزير الفضل ، وافر العقل صنف التصانيف وانتشرت عنه ، مثل : شرح أدب الكاتب ، والمعرب، وتتمة درة
وكان مولده في سنة ٤٦٦ هـ . وتوفي رحمه الله يوم الاحد الخامس عشر من المحرم سنة ٥٣٩ هـ .
(أنباه الرواة ـ القفطي ـ دار الكتب المصرية ـ طبعة سنة ١٣٧٤ هـ ج ٣ ص ٣٣٥) .

(٢) وفيات الأعيان ـ ابن خلكان ـ ج ١ ص ٢٤٥ .

تلاميذه :

لقد انقطع الزمخشرى للدراسة وتلقى العلم ، واخلص فى ذلك حتى فضله على الزوجة والولد ، لذلك بلغ فيه مبلغا جعله قبلة طلاب العلم يتجهون اليه من كل مكان لينهلوا من علمه الغزير ، حتى اننا نجده يصور نفسه بالكعبة والطلاب يحفون به مثل الطائفين .

ألم تر انى حيثما كنت كعبة　　يحف بى كالطائفين طوائفا

فشرقيهم يهوى الى النور ثابا　　وغربيهم يسعى الى البحر غارفا (١)

هذا رأيه فى نفسه ، فما رأى العلماء الذين ترجموا له فى هذا الموضوع ؟

يخبرنا عنه ياقوت بقوله : " ... كان اماما فى التفسير والنحو واللغة والأدب ، واسع العلم كبير الفضل متفننا فى علوم شتى .. " (٢).

اما ابن خلكان يقول : (أبو القاسم الزمخشرى ، الامام الكبير فى التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان ، كان امام عصره من غير مدافع ، تشد اليه الرحال فى فنونه ... " (٣).

ويقول السمعانى : " .. كان يضرب به المثل فى علم الأدب والنحو ، لقى الافاضل والكبار .. وظهر له جماعة من الأصحاب والتلامذة " (٤).

ويخبرنا القفطى عنه بقوله : " ... وكان — رحمه الله — ممن يضرب به المثل فى علم الادب والنحو واللغة ، لقى الافاضل والاكابر ... دخل

---

(١) الديوان ٧٥/٩٣ .
(٢) معجم الأدباء — ياقوت — دار المأمون — الاخيرة ج ١٩ ص ١٢٦ .
(٣) وفيات الأعيان — ابن خلكان — دار صادر — ج ٥ ص ١٦٨ .
(٤) الانساب — السمعانى — مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد — أولى سنة ١٢٨٦ ج ٦ ص ٣١٦،٣١٥ .

خراسان ، وورد العراق ، وما دخل بلدا الا واجتمعوا عليه وتلمذوا لـــه واستفادوا منه . وكان علامة الأدب ، ونسابة العرب ، امام بخـــوارزم تضرب اليه أكباد الابل ، وتحط بفنائه رحال الرجال .... (١)

من هذه الاقوال نرى ان الزمخشرى لم يكن مبالغا فى وصف مقامـــه فـى البيتـين السابقـين ، وقوله من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن نظام الملك :ـ

بنو خلف فى المكرمات خلائف وانى فى خوارزمهم كعبة الأدب (٢)

فالزمخشرى مدرسة يتخرج منها الطلاب فى الشرق والغرب ، ولقـــد ذكرت لنا المراجع عددا من هؤلاء الطلاب نذكر منهم ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ طائفة تردد ذكرها فى أكثر من مرجع .

يقول السمعانى : " .. وروى لى عنه أبو المحاسن اسماعيل بـــن عبد الله الطويلى بطبرستان ، وأبو المحاسن عبد الرحمن بن عبد اللـــه البزار بأبيورد ، وأبو عمرو عامر بن الحسن السمسار بزمخشـر ، وأبو سعد احمد بن محمود الشاتى بسمرقند ، وأبو طاهر سامان بن عبد الملك الفقيـه بخوارزم وجماعة سواهـم " (٣) .

ومن تلاميذه أيضا الموفق بن احمد بن أبى سعيد المعروف بأخطـب خوارزم ، كان متمكنا فى العربية غزير العلم فقيها اديبا شاعرا (٤) .

(١) أنباه الرواة ـ القفطى ـ دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤هـ ج ٣ ص٢٦٥، ٢٦٦
(٢) الديوان ٤٩/٢ .
(٣) الانساب ـ السمعانى ـ حيدر آباد ـ ط أولى سنة ١٢٨٦ ج ٦ ص ٣١٦ .
(٤) هو الموفق بن احمد بن محمد المكى الاصل أبو المؤيد خطيب خـوارزم اديب فاضل له معرفة تامة بالادب والفقه ، يخطب بجامع خـــوارزم سنين كثيرة ، وينشئ الخطب ، أقرأ الناس علم العربية وغيره ، وتخرج بـه علماء فى الأدب ، منهم ، أبو الفتح ناصر ابن أبى المكارم المطرزى الخوارزمى توفى الموفق بخوارزم فى حادى عشر صفر سنة ثمانى وستين وخمسمائـة . (أنباه الرواة ـ القفطى ـ دار الكتب المصرية ـ ١٣٧٤ هـ ـ ج ٣ص ٣٣٢)

وتلمذ له أبو يوسف يعقوب بن على بن محمد بن جعفر البلخى ، أحد الائمة فى النحو والأدب ، أخذ عنه ولزمه (١) .

وتلمذ له على بن محمد بن على بن أحمد بن مروان العمرانى الخوارزمى أبو الحسن الاديب ، الذى يلقب حجة الافاضل وفخر المشايخ (٢) .

ومن تلاميذه أيضا محمد بن أبى القاسم بايجوك ، أبو الفضل البقالى الخوارزمى الآدمى الملقب زين المشايخ (توفى ٥٦٢ هـ) النحوى الأديب كان اماما فى الأدب وحجة فى لسان العرب ، اخذ اللغة وعلم الاعراب عن أبى القاسم الزمخشرى ،وجلس بعده مكانه (٣) .

---

(١) معجم الأدباء ـ ياقوت ـ دار المأمون ـ الاخيرة ـ ج ٢٠ ص ٥٥ .

(٢) توفى فيما يقرب سنة ٥٦٠ هـ . ذكره أبو محمد بن ارسلان فى تاريخ خوارزم من خطه فقال : العمرانى حجة الافاضل سيد الأدباء قدوة مشايخ الفضلاء المحيط بأسرار الادب ، والمطلع على غوامض كلام العرب ، قرأ الأدب على فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشرى ، فصار أكبر أصحابه واوفرهم حظا من غرائب آدابه ، لايشق غباره فى حسن الخط والحفظ ، ولايسبح عذاره فى كثرة السماع والحفظ ، سمع الحديث من فخر خوارزم والامام عمر الرحجانى وكان ولوعا بالسماع كتوبا ،وجمل فى آخر عمره أيامه مقصورة واوقاته موقوفة على نشر العلم وافادته لطالبيه ، وافاضته على الراغبين فيه . (معجم الأدباء ـ ياقوت ـ دار المأمون ـ الاخيرة ـ ج ٥ اص ٦١-٦٢ .

(٣) هو محمد بن أبى القاسم الخوارزمى النحو المعروف بالبقالى ، وهو البقال الذى يبيع الاشياء اليابسة ، والعجم يزيدون الياء وهى زيادة العجم لانسبه ، كان اماما فاضلا فقيها مناظرا شهورا بالمعانى والبيان ، أخذ عن جار الله محمود الزمخشرى ، وله مصنفات منها الفتاوى ، وجمع التفاريق ، وكتاب التفسير ، وكتاب التراجم بلسان الأعاجم وشرح الاسماء الحسنى ، ومفتاح التنزيل ، وكتاب الترغيب فى العلم وكتاب اذكار الصلاة ، وكتاب آفات الكذب والهداية فى المعانى والبيان والتنبيه على اعجاز القرآن وغير ذلك ، مات بجرجانية خوارزم سنة ٥٧٦ هـ وقد نيف على السبعين ـ (الفوائد البهية فى تراجم الحنفية ـ عبد الحى اللكنوى ـ مكتبة ندوة المعارف ـ الهند سنة ١٩٦٧م ـ ص ١٣٢ .

وأكثر تلاميذ الزمخشري ورودا في شعره ابن وهاس ، على بن عيسى ابن حمزة ، الذي اجتمع فيه الزمخشري بمكة ولقى من اكرامه وتقديره الشيء الكثير ، فمدحه الزمخشري بعدة قصائد سميت الوهاسيات ، نذكر منها على سبيل المثال ، قصيدة رقم (٤) والتي مطلعها :

امن ذات عرق ومضة البرق تخفق كنبضة عرق بالفؤاد مشوق

وفيها يقول :

وان ابن وهاس وشمته التي يطوقها بالاشادة اخلق
وقلدني اطواق شعر كأنها سموط بأيدي الخسرويات تنسق

ومنها أيضا قصيدة رقم (٥) والتي مطلعها :

خليلي من عليا تهامة انجدا اخا كان غورى الهوى ثم انجدا

وفيها يقول :

ولا كابن وهاس فتى ضم برده حساما وضرغاما واخضر مزبدا
فتى هو حال بالمعالي بأسرها وقد حليت منه المعالي بأوحدا

ومنها أيضا قصيدة رقم (٦) والتي مطلعها :

فؤادي من الشوق المبرح ريان الى حرم الله المعظم ظمآن

وفيها يقول :

وابرح مابي انني شيق الى على بن عيسى لاعج الوجد حران
على بن عيسى من يشاهده مرة من الدهر لم يرجح بعينيه انسان

وباقتراح ابن وهاس هذا جمع الزمخشري ديوان شعره موضوع دراستنا كما يظهر ذلك في مقدمة الديوان .

وأحب تلاميذ الزمخشري اليه ـ كما يقول بروكلمان ـ هو ضياء الدين المكي كتب حوالي ٥٥٠هـ كفاية النحو في علم الاعراب ، وهو شرح للانموذج (١) .

(١) تاريخ الأدب العربي ـ بروكلمان ـ دار المعارف بمصر ـ جـ ٥ ص ٢٣٨ .

رحلاتـــــه :

كان الزمخشرى فى مطلع حياته طموحا ويأمل أن ينال سلطانا ومرتبة عاليه لعلمه وأدبه ، ولم يكن يقتصر طموحه على نهل المال فقط ، بل كان يصبو الى نيل المنصب لأنه رأى ان أصحاب المناصب دونه فى العلم والخلق ، فسعى الى نظام الملك ليوثق صلته به ، وأخذ فى مدحه ، وكان يساعده فى ذلك استاذه الضبى ، ولكن نظام الملك لم يحقق للزمخشرى طموحه وآماله العارض ، ومهما كان السبب فى ذلك ، فان الأيام تمر وآمال الزمخشرى تذهب أدراج الرياح ، فنجده يأسى ويتفنى بآلامه من هذه الدنيا التى ترفع الجاهل الحقير التافه ، وتضع العالم المثقف فيقول :

خليلى هل تجدى على فضائلى — اذا انا لم ارفع على كل جاهل ؟

من الغبن ذو نقص يعيب منازلا — اخو الفضل محقوق بتلك الفضائل

كفى حزنا أن يرغم الحلم والحجا — تصدر باد طيشه غير عامل

ومن لى بحقى بعد ما وفرت على — اراذلها الدنيا حقوق الأماثل

كذا الدهر كم شوهاء فى الحلى جيدها وكم جيد حسناء المقلد عاطل (١)

وفى موضع آخر يقول :

ياحسرتا من لى بصفقة رابح — فى متجر والفضل راس المال

ياويح أهل العلم كيف تأخروا — والسبق كل السبق للجهال

فى ذمة الايام لى دين متى — استقضه لاقيت طول مطال

فالى الهى المشتكى وبصنعه — دون الانام منواحة آمالى (٢)

---

(١) الديوان ٢٥/١-٥ .
(٢) الديوان ١٧١/١١ .

ثم يبين سبب حزنه بأن مناقبه قد تغنى بها الركبان ، وان قصائده قد طارت فى جميع البلاد ، وان منطقه فى النحو والنقد يفحم أى متكلم فيهما ، ومع هذا فانه اذا نظر فى كفه فلا يجد غير أنامله ، فيتمنى لو انه مستغنيا ولم يكن فخر خوارزم ، أو أنه مرض لصديقه ومسخط لعدوه ، وان يكون أبلـه مثل باقل :

وما شجانى ان غر مناقبى ... تغنى به الركبان بين القوافل
وطارت الى اقصى البلاد قصائدى ... وسارت مسير النيرات رسائلى
ولى فى دقيق النحو والنقد منطقى ... اذا قبلته لم ابق قولا لقائل
غنى من الآداب لكننى اذا ... نظرت فما فى الكف غير الأنامل
فياليتنى اصبحت مستغنيا ولم ... اكن فخر خوارزم رئيس الأفاضل
وياليتنى مرض صديقى ومسخط ... عدوى وانى فى فهاهة باقل (١)

ثم يبين ان علومه وآدابه هذه هى صلة قربى بينة وبين الوزير ، ولكن الوزير قد قصر فى رعايته ، فيقول :—

وما حق مثلى ان يكون مضيعا ... وقد عظمت عند الوزير وسائلى
واعظمها انى نسيب نصابه ... اذا عرضت انساب هذى القبائل
وقد كان يرعى الناس حق قبله ... على عدم القربى وبعد الوصائل
أحظى منقوص ولست بناقص ... وكم كامل حظا وليس بكامل
فلا ترض ياصدر الكفاة بأن ترى ... اعالى قوم الحقوا بأسافل
ولا تجعلونى مثل همزة واصل ... فيسقطنى حذف ولا راء واصل (٢)

ثم يتحدى نظام الملك بأن يجد لـه نظيرا فى جميع من يرى ، فيقول :—

فكل امرىء آماله عدد الحصى ... وهات نظيرى فى جميع المحافل (٣)

(١) الديوان ٢٥/٦ (٢) الديوان ٢٥/١٤—١٩ .
(٣) الديوان ٢٥/٢٠ .

ويختتم القصيدة بالتهديد بالرحيل عن خوارزم كلها اذا بقى أمره ضاعا ، ويحظى الاراذل بما لا يستطيع الوصول اليه ، ويطلب من الوزير بأن يجمله مثل بعض هؤلاء الاراذل فيقول :

لئن كان امرى فى خوارزم ما أري   فان رحالى فى ظهور الرواحل
وكم قلت ألقى فى وزارتك المني   وادرك وحدى ما ارتجى كل آمل
ولم ادر ان الارذلين يرون ما   تمنوا وانى لست احظى بطائل
فوقع الى هذا الزمان فانه   غلامك يجعلنى كبعض الاراذل (١)

من عرض هذه القصيدة يتبين لنا سبب ترك الزمخشرى لخوارزم - التى أحبها حبا جما - لأنها لم تبلغه آماله وحملته الهوان ، وان الحر لا يقبل ان يعيش بين الأذلة ، فيصور لنا صراع نفسه بقوله :

أحب بلاد الله شرقا ومغربا   الى التى فيها غذيت وليدا
ولكن تواسى بالكرامة غيرها   وهذى ارى فيها الهوان عتيدا
وما منزل الأذلال للحر منزلا   وان كان عيش الحر فيه رغيدا
سأرحل عنها ثم لست براجع   واضرب مرمسى فى البلاد بعيدا (٢)

من هذا نعرف انه قرر ترك خوارزم فالى اية جهة توجه بآماله وتطلعاته ؟

لقد رحل الى خراسان واتصل برجال الدولة هناك ومدحهم لعله يجد عندهم مالم يجده فى بلده ، فنجده يمدح مجير الدولة أبا الفتح على بن الحسين الاردستانى الذى استنابه تاج الدولة عنه فى ديوان الطغراء والانشاء فى عهد السلطان جلال الدنيا والدين ابى الفتح ملكشاه ، وصار كاتب الرسائل وكان أوحد عصره ونسيج وحده . (٣)

---

(١) الديوان ٢٥/٢١-٢٤ .   (٢) الديوان ٧٧/١-٤ .
(٣) تاريخ دولة آل سلجوق: العماد الاصفهانى ص ٥٨ .

وتطلع فى مدحته له ان ينظر فى كتابيه (شرح أبيات سيبويه) و (الأنموذج) فيقول :-

فمنه مجير الدولة المستجار لى ... مداواة ادواء وأسو جرائح
نطاسى آمال مراض وجابر ... لكسر مهيضات الخطوب الفوادح
فليت رحالى القيت بفنائه ... فارتع فى نعمائه غير نازح
ويقدح زندا واريا من مناقبى ... اذا صلدت كل الزناد لقادح
وفى شرح أبيات (الكتاب) لبعضها ... يرى فى صفاتى مجملا أى شارح
و(انموذجا) انفذت منه بضعه ... رجائى ارى فيه وجوه المناجح
اراقب من عين الوزير اطلاعه ... عليه وحسبى منه لمحة لامح
جميع ثياب الدهر يبلى جديدها ... ويبقى على الأيام ثوب المدائح (١)

وله فى مدحه قصيدة أخرى تبلغ اثنين واربعين بيتا (٢) .

واتصل فى خراسان بمؤيد الملك عبدالله بن نظام الملك ، وكان على ديوان الانشاء والطغراء أيام جلال الدنيا والدين السلطان ابى الفتح ملكشاه ، قال فيه العماد الاصفهانى : " هيهات ان يلد الزمان مثله فى دهائه وذكائه ولطفه وظرفه " (٣) .

اتصل به الزمخشرى وصب عليه مدائحه فكان من أكثر الممدوحين حظوة عند الزمخشرى فقد مدحه بعدد كبير من القصائد والمقطوعات (٤) .

ولكن كما خابت آماله فى خوارزم تخيب آماله للمرة الثانية فى خراسان فيغادرها متجها الى أصفهان لعله يجد فيها الجاه والمنصب الذى

---

(١) الديوان ٢٠/١١، ١٢، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٨ .
(٢) الديوان ١٩ .
(٣) تاريخ دولة آل سلجوق — العماد الاصفهاني — ص ٥٧ .
(٤) الديوان ٢٣، ٢٤، ٣١، ٤٩، ٥٨، ٦٤، ١٠٣، ١٤٦، ١٥١، ١٥٤، ١٧٠، ٢١٠، ٢٤١، ٢٥٢ .

بوجوه ، وكانت أصفهان آنذاك مقر السلطان السلجوقى محمد بن أبى الفتح ملكشاه[1] المتوفى سنة ٥١١ هـ . وهو الذى قضى على الباطنية[2] فمدحه الزمخشرى بقوله :

محمد بن ابى الفتح الذى تركت ... أوصافه لكنة فى كل منطـــق
ابن السلاطين من أبناء سلجوق ... وأبن الفطارف منهم والغرانيـق
لله من عادل من حق سيرتـــه ... ونصرة الحق أن يدعى بفــاروق
مستوجب من جموع الشرك مبغضة ... محبب فى بنى الاسلام مرمـــوق[3]

وفى سنة (٥١٢ هـ) مرض الزمخشرى مرضتـه التى سماها الناهكة ، فعاهد ربه ان شفى من مرضته تلك ان لا يطأ عتبة السلطان ، ولا واصل بخدمته اذياله ، وان يربأ بنفسه ولسانه عن قرض الشعر فيهم ، وان يعف عن ارتزاق عطياتهم واقتراض صلاتهم ... ويجد فى اسقاط اسمه من الديوان ومحوه وأن يعتصم بحبل التوكل والتمسك ويقبل الى ربه ويتنسك ، وان يدرس من العلوم ماهو مجد كعلم القراءات والحديث والفقـه[4] .

وبهذا المرض انتهت أطماع الزمخشرى فى المنصب والجاه ، وتحولت الى رغبة فى نيل العلم ، فارتحل الى بغداد وناظر بها[5] وسمع الحديث والفقـه من علمائها .

ولكن نفسه التواقـة الى التوبة والتخلص من أدران الماضى لم تكتف بالمناظرة واستماع العلم ، بل رغبت فى مجاورة ملك الملوك بعد ان خابت آمالها عند الملوك ، فنجده يغذ السير سنة ٥١٦ هـ مع الحجاج الى مكة

---

(١) تاريخ دولة آل سلجوق ــ العماد الاصفهانى ص ٥٧ .
(٢) نفس المرجع ص ٧٨ .
(٣) الديوان ١٢٩/٠/١ ـ ١٣ .
(٤) انظر مقدمة المقامات .
(٥) المختصر فى أخبار البشر ـ ابو الفدا ـ القسطنطينية سنة ١٢٨٦ هـ جـ ٣ ص ١٧ .

لأداء فريضة الحج ، ولكنه يقيم هناك ولايعود معهم بل يقيم سنتين ، وفي طريقه الى مكة يتغنى بقصيدته الرائية والتي مطلعها :

سيري تماضر حيث شئت وحدثي　　اني الى بطحاء مكة سائر (١)

يستعرض فيها رغبة في مجاورة الكعبة ليشكو الى الله ذنوبه التي تكاثر الحصا وفي كبر الجبال فيقول :

حتى أنيخ وبين اطماري فتى　　للكعبة البيت الحرام مجاور
يثموذ بالركن يدعو ربه　　يشكو جرائر بعدهن جرائر
يشكو جرائر لايكاثرها الحصا　　لكنها مثل الجبال كبائر (٢)

وبعد أن سافر من بلده أكثر من مرة ، وجد ان السفر يجب أن يكون الى الله فقط وليس الى غرض دنيوي آخر ، فيقول :

يامن يسافر في البلاد منقبا　　اني الى البلد الحرام مسافر
إن هاجر الانسان عن أوطانه　　فالله أولى من اليه يهاجر
وتجارة الابرار تلك ومن يبع　　بالدين دنياه فنعم التاجر (٣)

وفيها يبين أنه خرب عمره في طلب الدنيا ، فيريد ان يستغل البقية الباقية من هذا العمر لعله يصلح مافاته في أول عمره فيقول :

خربت هذا العمر غير بقية　　فلعلني لك بالبقية عامر
وعهدتني في كل شر أولا　　فلعلني في بعض خير آخر
في طاعة الجبار ابذل طاقتي　　فلعلني فيها لكسرى جابر (٤)

---

(١) الديوان ١١/١٦٠ .
(٢) الديوان ١٢/١٦٠ .
(٣) نفس القصيدة .
(٤) نفس القصيدة .

وفى نهاية القصيدة يبين رغبته فى مجاورة البيت الحرام يحل ضيفا على الله الى أن يتوفاه ويبعث من هناك ، فيقول :

سأروح بين وفود مكة وافدا حتى اذا صدروا فما انا صادر
بفناء بيت الله اضرب قبتى حتى يحل بى الضريح القابر
ألقى العصا بين الحطيم وزمزم لايطبينى أخوة وعشائر
ضيفا لايخل بضيفه ويبذل أقصى ماتمنى الزائر
حسبى جوار الله حسبى وحده عن كل مفخرة يعد الفاخر
ساقيم ثم وثم تدفن أعظمى ولسوف يبعثنى هناك الحاشر (١)

ولكن هل طبق الزمخشرى هذا الكلام وأوفى بوعده ؟

ان الزمخشرى لم يمكث فى مكة فى جواره هذا الا سنتين ، لقى فيهما الامير ابا الحسن على بن حمزة بن وهاس الذى مد لشاعرنا يد العون وعرف قدره ، فأثر ذلك فى نفسية الزمخشرى ، فتغيرت هذه النفس الطموح الحاقدة الثائرة الى نفس مطمئنة راضية ، قد انبسط عليها سلطان الدين الاسلامى ونقى طبيعتها وصفى مزاجها من كل حقد وغى وتهالك على المجد ، فقد وطن الزمخشرى نفسه بأنه لم يخلق الا للدين الاسلامى، ولم يخلق الا لخدمته .

وقد قرأ فى هذا الجوار كتاب سيبويه على عبد الله بن طلحة اليابرى المتوفى سنة (٥١٨ هـ) (٢) ، وزار كل بقعة فى أرض العرب ، فهو يقول : " ووطئت كل تربة فى أرض العرب ، فوجدت (تربة) أطيب الترب ، وهى واد على مسيرة أربع ليال من الطائف " (٣) . ثم زار اليمن ايضا ومدح آل وزير هناك فهو يقول :

---

(١) الديوان ١٦٠ .
(٢) بغية الوعاة ـ السيوطى ـ عيسى البابى الحلبى ـ أولى سنة ١٣٨٤هـ جـ ٢ ص ٤٦ .
(٣) أساس البلاغة مادة (ترب)

والى الكرام بني وزير لم تــزل تجفو بنات غرير الاوطانـــا
وبنو زرير ماتــز ثيابهــم الا على الهضبات من شهلانـا (١)

ولكن نفس الزمخشرى برغم هذا الهدوء النفسى لم تتخلص من أدران الماضى جميعها ، فلا يستطيع تطبيق ماقاله ، فنفسه لاتزال تحن الى وطنه ، ويرغب فى العودة اليه ، فقد نسى مالاقاه من مر العيش ومن معاندة الحظ له وعدم تحقيق اى من أمانيه أو آماله ، ولكنه يبقى وطنه فوق كل ذلك .

لقد ترك الزمخشرى مكة عائدا الى وطنه ، ولكن الحظ الذى عانده فى بداية عمره لايزال له معاندا ، فيخيب أمله ويحن الى مكة والى أيامه فيها ، فيتغنى بقصائد تدل على شدة خوفه لترك مكة ورغبته الجامحة فى العودة اليها من ذلك قوله :

أأبتاع بالفوز الشقاوة خاسرا واستبدل الدنيا الدنية بالأخرى ؟
اذا خطرت بالبال ذكرى اناختى على حرم الله استفزتنى الذكرى
وادعو الى السلوان قلبا جوابنه لداعيه مهراق من المقلة العبرى
وما عذر مطوى بمكة رحلــه على غير بؤس لايجوع ولا يعرى
فما فر عنها يبتغى بدلا لهـا وربك لاعذرا ، وربك لاعذرا (٢)

وقولــه :

بكاء على أيام مكة ان بـى اليها حنين النيب فاقدة البكر
تذكرت أيامى بها فكأنــنى قد اختلفت زرق الأسنة فى صدرى
أبيت على الصخر المبارك باكيا كما الخنساء تبكى على صخـر (٣)

---

(١) الديوان ٢٠٠/٣ .
(٢) الديوان ١٠/١ـ١٤ .
(٣) الديوان ٣/٩ـ٥ .

ولم يستطع الزمخشري صبرا ، فكان لابد من العودة الى مكة ، فقيل له : " قد زجيت أكثر عمرك هناك ، فما الموجب ؟ ، قال : القلب الذى لا أجده هنا ثم أجده هناك "(١) .

وفى طريقه الى مكة يمر بالعراق فيزوره الشريف ابو السعادات هبة الله بن الشجرى مهنئا له بقدومه ، فلما جلس اليه بهره علم الزمخشري واخلاقه فانشده ابن الشجرى متمثلا :

كانت مساءلة الركبان تخبرني عن أحمد بن دؤاد أطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ماسمعت اذنى بأحسن مما قد رأى بصرى

وأنشده أيضا :

وأستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر الخبر

فلما فرغ من كلامه شكر الزمخشري الشريف ، وعظمه وتصاغر له وقال : " ان زيد الخيل دخل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحين بصر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رفع صوته بالشهادتين ، فقال له الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يازيد الخيل ! كل رجل وصف لى وجدته دون الصفة الا أنت ، فانك فوق ماوصفت ، وكذلك الشريف ، ثم دعا له وأثنى عليه "(٢) .

وتتبلور عند الزمخشري فكرة ، وهى اختيار (الطريقة الأويسية)(٣) من بين الطرائف ، والاستعلاء عن أمور الدنيا الفانية والتمرغ فى القناعة بل فى اليأس الذى انحدر اليه ، فنقل كتبه كلها الى مشهد ابى حنيفة ولم يبق

---

(١) أنباه الرواة ـ القفطى ـ دار الكتب المصرية ـ ج ٣ ص ٢٦٦ .
(٢) نزهة الألباء ـ بن الانبارى ـ تحقيق د . ابراهيم السامرائي ـ مكتبة الاندلس ـ ص ٢٩١ معجم الادباء ـ ياقوت ـ دار المأمون ـ ط أخيرة ـ ج ١٩ ص ١٢٨ .
(٣) نسبة الى أويس القرنى .

معه الا كتاب الله المبين . كتب ذلك في رده على استجازه السلفي له : " ... واما ماطلب عندي ، وخطب الي من العلوم والدرايات ، والسماعات والروايات ، فبنات خلمت على تربيتهن الشباب ، ثم دفنتهن وحثوت عليهن التراب ، وذلك حين آثرت الطريقة (الأويسية) على بنيات الطرائف وأخذت نفسي برفض الحجب والموائق ، ونقلت كتبي كلها الى مشهد أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ فوقفتها واصفرت منها يدي الا دفترا واحدا قد تركته تميمة في عضدي وهو كتاب الله المبين والحبل المتين والصراط المستقيم ... " (١) .

ويؤكد قول الزمخشري هذا ماقاله في قصيدته الفائية :ـ

سأبذل معروفي ومن كان عارفا ... سماحة منع العرف اسدى العوارفا
ووفقني حتى وقفت نفائسي ... واعلاق اسفاري فابرحت واقفا
على مشهد النعمان نور قبره ... كما نور الاسلام مالك سالفا (٢)

وكان من الطبيعي أن يشد الزمخشري الرحال الى مكة ، وفي طريقه اليها نظم قصيدته البائية ، عارضا فيها حاله مشيرا الى أن وطنه الحقيقي هو مكة ، وأن عودته الى خوارزم عبارة عن نزوة نفسية ، وهو الآن يعود الى بطحاء مكة كما يعود الأسد الى غابه :

أنا الجار جار الله ، مكة مركزي ... ومضرب أوتادي ومعقد اطنابي
وما كان الا ذورة نهضتني الى ... بلاد بها اوطان رهطي وأحبابي
فلما قضت نفسي ـ ولله درها ـ ... لبانة دار زندها غير خهاب
كررت الى بطحاء مكة راجعا ... كأني أبو شبلين كر الى الغاب

---

(١) مجلة المجمع العراقي ـ العدد ٢٣ سنة ١٩٧٣م . مقال بعنوان (استجازة السلفي للزمخشري) للدكتورة بهيجة باقر الحسيني .

(٢) الديوان ١١٢/٩٣ .

فمن يلق فى بعض القريات رحله   فأم القرى ملقى رحالى ومنتابى
ومن كان فى بعض المحاريب راكعا   فللكعبة البيت المحرم محرابى (١)

وفى طريق عودته الى مكة فى هذه الرحلة يعرج على الشام ، ويمدح تاج الملك بورى طغتكين صاحب دمشق ، ولكن لانجد فى هذا المدح زلفى ولا طمعا فى منصب بل هو خالص لوجه الله ، لأن الممدوح قد جمع العرب والتركمان وصد الصليبيين عن دمشق وهزمهم سنة ٥٢٣هـ (٢) . وأغلب الظن أنه أقام فى دمشق مدة ثلاث سنوات ، حيث مدح شمس الملك الذى خلف أباه سنة ٥٢٦ هـ (٣) .

ثم يواصل السير الى مكة ، فيصلها خائر القوى متعبا منهوكا مهموما مفرقا فى عبادة الله ، منصرفا اليه بكليته ، فهو يقول : " ... ولذت بحرم الله المعظم ، وبيته المحرم ... انتظر داعى الله صباح مساء ، وكأنى به وقد امتطيت الآلة الحدباء ، قد وهنت العظام ، ووهت القوى ، وقلت الصحة ، وكثر الجوى ، وما أنا الا ذماء يتردد فى جسد هو هامة اليوم أو غد " (٤) . وهكذا عاش شاعرنا الطموح عيشة الزهاد ينتظر داعى الله صباح مساء فى نهاية حياته ، وفى هذا يقول :ـ

قرب الرحيل الى الديار الآخرة   فاجعل الهى خير عمرى آخره
وارحم مبيتى فى القبور ووحدتى   وارحم عظامى حين تبقى ناخره
فأنا المسكين الذى أيامه   ولت بأوزار غدت متواتره
فلئن رحمت فأنت أكرم راحم   فبحار جودك يا الهى زاخره (٥)

---

(١) الديوان ١/١٣ .
(٢) الكامل فى التاريخ ـ ابن الاثير ـ دار صادر سنة ١٩٦٦ م جـ ١٠ ص ٦٥٧ ـ ٦٥٨ .   (٣) نفس المرجع جـ ١٠ ص ٦٧٩ ـ ٦٨٠ .
(٤) لحظ الالحاظ بذيل طبقات الحفاظ ـ للحافظ تقى الدين المكى ـ عنى بنشرها ـ القدسى ـ دمشق ـ ص ٣٣٩ .
(٥) نفس المرجع .

وقد كانت مدة جوار الزمخشري في هذه الرحلة ثلاث سنوات ، كما أنه ألف كتابه الكشاف في هذا الجوار ، ويقى من الاكرام والتقدير من ابن وهاس ، ما يليق بمقامه وحقه ، وتحلق حوله طلاب العلم من فتيان مكة وقصده طلاب العلم من أرجاء العالم الاسلامي يأخذون عنه حتى قال قائلهم وهو البديع الخوارزمي .

أمكة هل تدرين ماذا تضمنت بمقدم جار الله منك الاباطح ؟!
به واليه العلم ينمى وينتمى وفيه لارباب العلوم الناجح
محط رحال الفاضلين فلم يزل يحط اليه الرحل غاد ورائح
اذا انتابه صفر الوطاب رأيته تحول عنه وهو ملآن طافح
نمته الكرام الغر من خير اسرة هم قدوة الدنيا الكهول الحجاجح (١)

وأكثر الزمخشري من الفخر بمجالسه تلك ومما قاله :

وسميت بين العرب والعجم رحلة الى يزجون المطى عواسفا
الم ترانى حيثما كنت كعبة يحفون بى كالطائفين طوائفا
فشرقيهم يهوى الى النور قابسا وغربيهم يسعى الى البحر غارفا
ودونك ديوان المدائح فاطلع تجد ناظما فى الثناء وواصفا (٢)

وهكذا لقى الزمخشري الاحترام والتبجيل من طلاب العلم ، والرعاية والتقدير من ابن وهاس ، الا ان نفس الزمخشري تحن الى الوطن مرة أخرى ، فيشد الرحال عائدا الى وطنه ، ويعرج فى طريقه على بغداد ، وفى بغداد مع أنه بلغ من العمر عتيا ، لايتورع من أن يجلس مجلس الطالب لتلقى العلم فهو يقرأ بعض كتب اللغة على أبى منصور الجواليقى سنة ٥٣٣هـ (٣) . ووصل الى وطنه ويقى فى خوارزم الى أن وافته المنية سنة ٥٣٨ هـ . فرحمة الله عليه .

---

(١) ازهار الرياض — المقرى — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٤٢م — ج ٣ ص ٢٩٢ . (٢) الديوان ٧١/٩٣ .
(٣) وفيات الأعيان — ابن خلكان ج ١ ص ٢٤٥ .

اجازاتـــه ومراسلاتــــــه :

لقـد طلب الاجازة من الزمخشري أكثر من واحد ، ومنهم من اجازه ، ومنهم من ماطلـه فى ذلـك .

ومن الذين اجازهم الزمخشري أم المؤيد زينب بنت الشعـــرى المتوفية سنة (٦١٥ هـ) ، يقول ابن خلكان : " وبيني وبينه فى الرواية شخص واحد ، فانه أجاز زينب بنت الشعرى ، ولى منها اجازة " (١) .

وأثناء وجوده بمكة راسله الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفى ـ رحمة اللـه عليـه ـ فقد كتـب اليـه من الاسكندرية يستجيزه فـى مسموعاته ومصنفاته ، فرد جوابه بما لايشفي الغليل ، فلما كان فى العـــام الثانى كتب اليه أيضا مع الحجاج استجازه مرة أخرى اقترح فيها مقصوده ، ثم قال فى آخرها : ولايحوج أدام الله توفيقه ، الى المراجعة ، فالمسافـــة بعيدة ، وقد كاتبته فى السنة الماضية فلم يجب بما يشفى الغليل ، ولـــه فى ذلك الأجر الجزيل (٢) .

فكتب اليه الزمخشري جوابه ومنه قوله : " ... وما مثلى مع أعـــلام العلماء الا كمثل السها مع مصابيح السماء ، والجهام الصفر مع الغـوادى

(١) وفيات الأعيان ـ ابن خلكان ـ دار صادر ـ بيروت ـ جـ ٥ ص ١٧١ .
(٢) نفس المرجع جـ ٥ ص ١٧٠ .

وفى ازهار الرياض يذكر المؤلف الرسالة الاولى وردها ، وقد افتتح الكتابة فى ذلك بقوله : " ومن استجازه فأجازه الامام الحافظ أبو الطاهـر السلفى . (٢٨٣/٣) . وفى موضع آخر يقول على لسان الزمخشـرى : (ولقد أجزت له أن يروى) . (٢٨٥/٣) . وعن طلب الاجـازة للمـرة الثانية يقول : (ثم ان الشيخ السلفى عاوده الاستجـــازة فى السنة من الاسكندرية كأنه ماوصلته أجازته . (٢٨٧/٣) . والظاهر من هذا الكلام ان الزمخشرى اجاز السلفى ، الا اننى لم أجـد مايؤيد هذا الكلام فى مرجع آخر .

الغامرة للقيمان والأكام ، والسكيت المخلف عن الخيل السباق ، والبغاث مع الطير المناق ، وما التلقيب بالعلامة الاشبه الرقم والعلامة ، والعلم مدينة أحد بابيها الدراية والثانى الرواية ، وانا فى كلا البابين ذو بضاعة مزجاة ، ظلى فيها اقلص من ظل حصاة ، أما الرواية فحديثة الميلاد قريبة الاسناد لم تستند الى علماء نحارير ، ولا الى اعلام مشاهير ، وأما الدراية لايبلغ افواها ويرض مايبل شفاها ، الى ان قال :

" ولا يغرنكم قول فلان وفلان ... فى" ، وذكر جماعة من العلماء والشعراء اثنوا عليه ومدحوه ، ثم قال : ان ذلك اغترار بالظاهر المموه ، وجهل بالباطن المشوه ... " (١) .

وختمها بقوله : " اما المولد فقرية مجهولة من قرى خوارزم تسمى زمخشر ... ، ووقت الميلاد شهر الله الاصم فى عام سبع وستين واربعمائة ، والله المحمود ، والمصلى عليه محمد وآله وأصحابه " .

هذا آخر الاجازة ، وقد أطال فيها ولم يصرح له بمقصوده فيهما ، وما اعلم هل اجازه بعد ذلك أم لا (٢) .

وطلب الاجازة من الزمخشري رشيد الدين الوطواط الاديب الكاتب الشاعر ، " وكان من نوادر الزمان وعجائبه وافراد الدهر وغرائبه ، أفضل زمانه فى النظم والنثر واعلم الناس بدقائق كلام العرب وأسرار النحو والادب طار فى الآفاق صيته ، وسار فى الأقاليم ذكره ، وكان ينشئ فى حالة واحدة بيتا بالعربية من بحر وبيتا بالفارسية من بحر آخر ويمليهما معا " (٣) . وقد كتب رشيد الدين الوطواط الى الزمخشرى رسالة يستجيزه

---

(١) وفيات الأعيان — ابن خلكان — دار صادر بيروت — ج ٥ ص ١٧١ .
ومعجم الأدباء — ياقوت — دار المأمون — الاخيرة ج ١٩٨ ص ١٣٢،١٣٣
(٢) وفيات الأعيان — ابن خلكان — دار صادر بيروت — ج ٥ ص ١٧١ .
(٣) معجم الأدباء — ياقوت — دار المأمون — ط أخيرة ج ١٩ ص ٢٩ .

فيها يقول : " ان حضرة جار الله أوسع من أن تضيق على راغب في فوائده ، واكرم من أن تستثقل وطأة طالب لعوائده ، ومع هذا أرجو اشارة تصدر من مجلسه المحروس ، اما بخطه الشريف فان في ذلك شرفا يدوم لي مدى الدهور والأيام ، ويبقى على مر الشهور والاعوام ، واما على لسان من يوثق بصدق مقالته ويعتمد على تبليغ رسالته من المنخرطين في سلك خدمته والراتعين في رياض نعمته ورأيه في ذلك أعلى وأصوب "(١) .

وقد أجازه الزمخشري ، ويظهر ذلك من رسالة أرسلها الوطواط يهنئ الزمخشري بالعيد : " ولقاء سيدنا جار الله ادام الله مجده لنا معشر خدمه والمرتضعين درة فضله وكرمه عيد لايزال العيد له كتصحيفه باقية محاسنه دائمة ميامنه ، يهدى كل ساعة الى ابصارنا نورا والى ارواحنا راحة وسرورا "(٢) .

ولما ذاعت شهرة الزمخشري في الآفاق كتب اليه بعض من لايستطيعون مشافهة ، رسائل أو قصائد يثنون عليه فيها ، وكان الزمخشري بدوره يرد عليهم ، ونجد القفطي في ترجمته للزمخشري يروى لنا طرفا من ذلك فهو يقول : " كتب الامير شهل الدولة أبو الهيجاء ، مقبل بن عطية البكري ختن نظام الملك الحسن بن اسحق الى الزمخشري :

هذا أديب فاضل   مثل الدراري دوره
زمخشري فاضل   انجبه زمخشره
كالبحر ان لم أره   فقد أتاني خبره

فأجابه الزمخشري بقوله :

---

(١) مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط طبعة دار المعارف سنة ١٣١٥ هـ ج ٢ ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) نفس المرجع ص ٥٩ ، ٦٠ .

شعره أمطر شعبى شرفـــا ... فاعتلى منه نبهات الجسد
كيف لا يستأسد النبـت اذا ... بات مسقيا بنوء الأسد

وكتب اليه منتجب الملك أبو جعفر محمد أحمد كبراء دولة السلطان سنجر رسالة وقصيدة ، وسيرها اليه الى مكة عند مقامه بها : "كتابى الى جار الله العلامة عن سلامة كمل الله أسبابها ، ونعمة أوطف بالرغائب سحابها ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة على نبيه وآله الطاهرين .

بعد الملتقى وشط المزار ... وتمادى لوصلك الانتظار

يثنى فيها على أهل البيت ، ويذكر له اجتماعه بالشريف على بن عيسى ابن وهاس الحسينى من أهل مكة ، وكان علامة ، وقال : قد قلت فيه كلمة طويلة (١) ...

وذكر فصولا كثيرة فى الثناء على الشريف وعلى مصنفاته والتماس شىء من فوائد ابن وهاس ومن لغاته .

أما القصيدة فهى :

اليك يهزنى الحب المطاع ... ويسكرنى لرؤيتك النزاع
فهل لك يا شقيق النفس علم ... بما انبأت عنه واطلاع
ولو انى قدرت لطرت شوقا ... بحرف خطوها خطو زماع

---

(١) منها :

اولئك أعضاد النبوة رشحوا ... لقمع عتاة الشرك بالذبل السمر
هم ملجأ للخائفين وعدة ... لثأر منيم أو مخوف من الثغر
مفاتيح أسداد الخطوب اذا أعرت ... مساميح بالمعروف فى اليسر والعسر
من النفر البيض الذين نوالهم ... يفيض بلا من ويأتى مع العذر
ويلقاك بالبشرى ويأتيك بالمنى ... تحايا وجوه مشرقات عن البشر

(أنباه الرواة ـ القفطى ـ دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤ هـ ج ٣ ص ٢٧١)

وكنت بحيث يوصلنى الهكم | غدوى او رواحى لا اراع
وفى عدواء دارك عن ديارى | اراقب زورة لاتستطاع
يطيل الشوق اما ذا الليالى | اليك فهل لفرقتنا اجتماع
وانت لكل منقبة معان | ومن دور العلوم لك ارتضاع
تضىء بعلمك الدنيا فيضحى | له فى كل ناحية شعاع
ابت لنا كتاب الله فاعصه | لتنفعنا فنعم الانتفاع
اعيذك من اناس نحن فيهم | وحق الافضلين بهم مضاع
ترى قوما كأنك ماتراهم | وحسبك من لقائهم السماع
كأنهم وماعرفوا بخبر | بهائم فى مجاهلها رتاع (١)

والذى أراه فى هذه القصيدة ان منتجب الملك متحامل وحاقد على أهل خوارزم • لان صفات أهل هذه البلاد كما مر معنا تتناقض وما ذكره منتجب الملك فى قصيدته •

وللزمخشرى أكثر من قصيدة فى مدح منتجب الملك هذا (٢) •

---

(١) أنباه الرواة ـ القفطى ـ دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤ هـ ج ٣ ص ٢٧٠ـ٢٧٣ •

(٢) الديوان : ١٦٤، ٢٠٩، ٢٢٧، ٢٥٧ •

ثقافتـه وآثـــاره :

لقـد كان للبيئـة التى عاش فيها الزمخشرى الأثر الأكبر فيما خلفـه من مصنفات ، وقد تضافـرت أسباب متعددة فى حياته حتى وجدنا لــــه عشرات المؤلفـات فى جميع العلوم والمعارف الموجودة فى عصـره .

لقـد مر معنا أثناء عرضنا للبيئـة الثقافيـة كثرة العلماء والمكتبـات وتقدير الحكام وتشجيعهم للعلماء ، هذه العوامل جميعها دفعــــت الزمخشرى لأن ينهل من ألوان المعرفة المحيطة به . هذا بالاضافــة الى انه كان مبتور الساق ، فأحب أن يعوض عن ذلك بتفوقه فى العلـوم فضاعف جهوده فى اكتساب المعرفة ، وأبدى رغبة جامحة فى الحصـــول عليها ، هذا فى بداية حياته ، اما عندما شب وترعرع فقد ابتعد علـــى كل الأشياء التى تلهى الانسان وتأخذ من وقتـه ، فهو يبتعد عـــن الزوجة والولد ، ويعد هـذه الأشياء ملهية لـه عن الدرس والتحصيـل ، فتصانيفـه وتلاميذه هم أبناؤه . وعندما اكتملت رجولته نجد نقطة مهمـــة أثرت فى حياته ، تلك حمى المرض المنهكـة ، فهو بعدها يذهـــب الى العراق ليقابل العلماء ، ثم يتفرغ عند بيت الله لكى يضع لنا أهـــم تصانيفـــه .

بسبب هذه العوامل مجتمعة استطاع الزمخشرى ان يكتب هــــذه المصنفات الغنية بألوان المعرفة ، حتى أن المراجع التى بين أيدينــا تعدد له حوالى أربعة وخمسين مصنفا ، منها ماطبع ورأى النور ، ومنهــا الذى مايزال مخطوطا فى مكتبات العالم ، ومنها غير المعروف الذى لـــم نعثر له على أثر الى يومنا هذا . وليست جميع هذه المصنفات فى موضـوع واحد أومجال معين ، بل هى تشمل معظم المعارف التى كانت فى زمانـه .

وقبل الشروع فى تعداد هذه التصانيف والآثار نحب ان نطلع على رأى المؤرخين فى علم الزمخشرى .

كان الزمخشرى " اماما فى التفسير والنحو واللغة والأدب ، واسع العلم ، كبير الفضل ، متفننا فى علوم شتى " [1] .

وكان — رحمه الله — " ممن يضرب به المثل فى علم الأدب والنحو .. صنف التصانيف فى التفسير وغريب الحديث والنحو وغير ذلك .... وما دخل بلدا الا واجتمعوا عليه وتلمذوا له واستفادوا منه ، وكان علامة الأدب ، ونسابة العرب " [2] .

وألف شاعرنا فى الحقول الأدبية المختلفة فى : النحو واللغة والتفسير والحديث والفقه والعروض وأجاد فيها كل الاجادة حتى تباهى هو بمصنفاته فقال :

ترانى فى علم المنزل فارسا	وما أنا فى علم الاحاديث راسفا
فللسنة البيضاء فى مناجح	ويبقى كتاب الله منى المعارفا
وما أنا من علم الديانات عاطلا	فأحسن حلى لم يزل لى شانفا
وما للغات العرب مثلى مقوم	ابى كل ندب متقن أن يخالفا
وبى يستفيد النحو من ان يسوسه	نهى لم يجدها الذائقون حصائفا
وعلما المعانى والبيان كلاهما	أزف الى الخطاب منه وصايفا
وعلم القوافى والأعارض شاهد	بفسحة خطوى فيه اذ كنت زاحفا
أقرت بى الآداب أصلا لها ومن	رأى مشرفيات جحدن المشارفا
وديوان منظومى يريك بدائعا	وديوان منثورى يريك طرائفا [3]

(١) ارشاد الاريب لمعرفة الاديب — (معجم الأدباء — ياقوت — مطبعة هندية بالموسى بمصر — سنة ١٩٢٥ م .

(٢) المرجع السابق . (٣) الديوان ٣٩/٩٣ .

وقد عد الزمخشري هذه التصانيف أفضل من البنين والبنات لأنها لاتعقه فيقول :

وحسبي تصانيفي وحسبي رواتها بنين بهم سيقت الى مطالبي (١)

ولقد ذكر ياقوت معظم مصنفات الزمخشري في معجم الأدباء (٢) ، وكذلك عددها ابن خلكان في وفيات الأعيان عند حديثه عن الزمخشري (٣) .

ولقد قسمت هذه المؤلفات الى ثلاثة أقسام ، المطبوعة ثم المخطوطة ثم المجهولة ، ورتبت كل قسم منها على حروف الهجاء .

أ ـ المطبوعة :

(١) أساس البلاغة :

وهو معجم في اللغة العربية ،جمع المفردات ومعانيها الحقيقية والمجازية ، وكثيرا من النصوص البليغة التي وردت فيها . طبع الكتاب أكثر من مرة ، طبع في سنة ١٢٩٩ هـ ، وطبع سنة ١٣٢٧ هـ في المطبعة الوهبية بمصر وطبع بمطابع الشعب بمصر سنة ١٩٦٠ هـ .

(٢) أطواق الذهب :

عبارة عن مائة مقالة بغير عنوان ، أنشأها في مكة قبل تأليف الكشاف (٤) .
والكتاب كله ثورة على الاوضاع الاجتماعية والسياسية في عصره . طبع الكتاب مع ترجمته بالالمانية : فون جوزيف فون هامر في سنة ١٨٣٥م بفينا .

---

(١) الديوان ٨٩/٩ .
(٢) معجم الأدباء ـ ياقوت ـ الطبعة الاولى سنة ١٩٢٥م جـ ٧ ص ١٥٠ـ١٥١ ،
(٣) وفيات الأعيان ـ ابن خلكان ـ دار صادر ـ ١٦٨/٥ـ١٦٩ .
(٤) المجاحاة للزمخشري ـ تحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسيني ص ٢٤ .

وحذا حذوه فلايشر ونشره بليبسيك سنة ١٨٣٥م • كما نشره جوستاف •ـ(شتوتكرت) سنة ١٨٣٦م • وفى سنة ١٨٧٦م • اعتنى به المستشرق الفرنسى باربيه دى فيارد فترجمه الى الفرنسية • وفى سنة ١٢٨٨ هـ طبع مع ترجمة بالتركية بالقسطنطينية • وفى سنة ١٣٢١ هـ طبع بمطبعة التمدن بمصر بعنوان (قلائد الأدب فى شرح أطواق الذهب شرح الميرزا يوسف خان بن اعتصام الملك (١) وفى سنة ١٣٢٨ هـ طبع بمطبعة السعادة بمصر •وفى سنة ١٩٢٥م طبع بالمطبعة المحمودية بالقاهرة •

(٣) أعجب العجب فى شرح لامية العرب :

هو شرح لقصيدة الشنفرى التى مطلعها :

أقيموا بنى امى صدور مطيكم فانى الى قوم سواكم لاميل

طبع فى مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ •وفى مصر سنة ١٣٢٤ هـ •

(٤) الأنموذج فى النحو :

وهو كتاب صغير اقتضبه الزمخشرى من (المفصل) واهداه الى مجير الدولة أبى الفتح على بن الحسين الاردستانى :

و(انموذجا)انفذت منه بضمنه رجائى ارى فيه وجوه المناجح
اراقب من عون الوزير اطلاعه عليه •وحسبى منه لمحة لامح (٢)

طبع الكتاب بمطبعة المدارس الملكية بمصر سنة ١٢٨٩ هـ • وباستانبول سنة ١٢٨٩ هـ •

---

(١) الزمخشرى ـ د• أحمد الحوفى ـ ص ٦٢ •

(٢) الديوان ـ ٢٠/٤٠، ٤١ •

(٥) الجبال والأمكنة والمياه :

هو كالمعجم الجغرافي ، نشره المستشرق سالفر دي كراف بليدن سنة ١٨٥٦م ونشرته مدرسة آل كاشف الغطاء بالنجف الأشرف سنة ١٩٦٢م[١] . وحققه الدكتور ابراهيم السامرائي ، وتم طبعه سنة ١٩٦٨م ، بمطبعة السعدون ببغداد .

(٦) خصائص العشرة الكرام البررة :

يبحث هذا الكتاب في خصائص الصحابة العشرة المبشرين بالجنة — رضوان الله عليهم — حققته الدكتورة بهيجة باقر الحسني — ونشرته وزارة الثقافة والاعلام ببغداد سنة ١٩٦٨م .

(٧) الدر الدائر المنتخب في كنايات واستعارات وتشبيهات العرب :

نشر في المجلد السادس عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٨م ، بتحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسني ، ثم طبع منفردا بمطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٨م .

(٨) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار :

مختارات شتى من الأدب والتاريخ والعلوم ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٥ أدب في ٤٠٢ ورقة[٢] . وطبع بالقاهرة . حققته الدكتورة بهيجة باقر الحسني وسوف تنشر الجزء الأول منه قريبا[٣] .

---

(١) المحاجاة للزمخشري — تحقيق بهيجة باقر الحسيني ص ٢٨ .
(٢) الزمخشري — الدكتور احمد الحوفي — ص ٦٢ .
(٣) المحاجاة للزمخشري — تحقيق د. بهيجة باقر الحسيني ص ٣١ .

(٩) رسالة فى كلمة الشهادة أو مسألة فى كلمة الشهادة :

نشرت فى المجلد الخامس عشر من مجلة المجمع العلمى العراقى ، تحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسنى .

(١٠) شرح مقامات الزمخشرى :

مطبوع مع المقامات ، الطبعة الاولى بالقاهرة سنة ١٣١٢ هـ ،والطبعة الثانية بمطبعة التوفيق بالقاهرة سنة ١٣٢٥ هـ فى ٢٣٨ صفحة من القطع المتوسط .

(١١) الفائق فى غريب الحديث :

قال ابن الأثير فى مقدمة كتابه (النهاية فى غريب الحديث) " جاء الزمخشرى فصنف كتابه سنة ٥١٦ هـ ، وسماه الفائق ، ولقد صادف هذا الاسم مسمى ، وكشف عن غريب الحديث كل معنى ، ورتبه على وضع اختاره مقفى على حروف المعجم .

واثنى عليه ابن حجر العسقلانى فى قوله : وكتابه (الفائق فى غريب الحديث) من أنفس الكتب ، لجمعه المتفرق فى مكان واحد ، مع حسن الاختصار وصحة النقل (١) .

طبع الكتاب فى مجلدين بحيدرآباد الدكن سنة ١٩٢٤م . وطبع فى ثلاثة مجلدات بمطبعة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة ـ بتحقيق الاستاذين على البجاوى ومحمد أبى الفضل ابراهيم سنة ١٣٦٤ هـ ـ ١٣٦٧ هـ (١٩٤٥م ـ ١٩٤٨ م) .

---

(١) لسان الميزان ـ ابن حجر العسقلانى ـ طبعة أولى سنة ١٣٣١ هـ ، بحيدرآباد ج ٦ ص ٤ .

(١٢) القسطاس المستقيم فى علم العروض :

طبع فى مطبعة النعمان بالنجف الأشرف سنة ١٩٧٠م . تحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسنى .

(١٣) القصيدة البعوضية :

حققتها الدكتورة بهيجة ، ونشرت فى مجلة الاستاذ سنة ١٩٦٧م .

(١٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل :

طبع أول مرة بالمطبعة البهية المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٣هـ فى مجلدين وبهامشه كتاب (الانتصاف من الكشاف) ، لناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور الاسكندرى المالكى المشهور بابن المنير، ثم طبع بعد ذلك (١) .

ولقد كان الزمخشرى معجبا بمؤلفه هذا ، فاكثر من الثناء عليه فمما قاله :

وناهيك بالكشاف كنزا نضاره ... يعلم تمييز الجياد الصيارفا
وتخفق أوراق المصاحف هزة ... لهن معان يذهبن المصاحفا
فما فى بلاد الشرق والغرب ناقد ... يقلبها دهرا فيخرج زائفا
وليتهم بالغوص بعد اطالة ... لفكرهم يدرون تلك اللطائفا
أبى صاحب الكشاف الا اصابة ... لما ارتد عنه صائب النبل صائفا (٢)

وقال أيضا

ان التفاسير فى الدنيا بلا عدد ... وليس فيها لعمرى مثل كشافى
ان كنت تبغى الهدى فالزم قراءته ... فالجهل كالداء والكشاف كالشافى (٣)

---

(١) الزمخشرى . د . أحمد الحوفى ص٥٨ .   (٢) الديوان ٩٣/٦٦ .
(٣) مفتاح السعادة ٢/١٠٠ ، معجم الأدباء ١٩/١٢٩ ، أزهار الرياض ٣/٢٩٦

ويقول فيه ابن خلكان - لم يصنف قبله مثله[١] .

(١٥) المحاجاة بالمسائل النحوية :

طبع سنة ١٩٦٩م باسم الاحاجي النحوية ، تحقيق مصطفى الحدري منشورات مكتبة الغزالي . وطبع سنة ١٩٧٣م بمطبعة اسعد ببغداد تحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسني وقد كتبت فصلا في أول الكتاب عن حياة الزمخشري ، وعن مؤلفاته .

(١٦) المستقصى في أمثال العرب :

وهو معجم يضم ثلاثة الاف واربعمائة وواحد وستين مثلا عربيا مرتبة على حروف الهجاء حسب أوائل الأمثال . حققه محمد عبد الرحمن خان ، وتم طبعه بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد سنة ١٣٨٨ هـ .

(١٧) المفرد والمؤلف في النحو :

نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٧م في المجلد الخامس عشر ، تحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسني . وذكر الحوفي انه غير معروف[٢] .

(١٨) المفصل في صنعة الاعراب :

أشهر كتب الزمخشري في النحو : (ترجم الى الالمانية وطبع سنة ١٨٧٣م وطبع في لريستيانا سنة ١٨٧٩م ، وطبع مع شرح موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش في ليبسيك سنة ١٨٨٢م)[٣] ، وبادارة الطباعة المنيرية بالقاهرة في عشرة أجزاء .

(١) وفيات الأعيان - ابن خلكان - دار صادر - ١٦٨/٥ .
(٢) الزمخشري - الدكتور احمد الحوفي - ص ٦١ .
(٣) نفس المرجع ص ٦٠ .

(١٩) مقدمة الأدب :

ألفها لتعليم الفرس اللسان العربى ، وزودها بشروح باللغة الفارسية طبع القسم الاول والثانى من الكتاب وتزستاين فى مجلدين سنة ١٨٤٣م فى ليبسيك ، وطبع فى طهران باهتمام سيد محمد كاظم امام سنة ١٩٦٣م . (وبدار الكتب المصرية القسم الثانى والثالث والرابع والخامس فى مخطوط رقم (٢٧٢) فى ٢٢٠ ورقة وبين سطور القسمين الأول والثانى ترجمة فارسية للكتاب)(١) .

(٢٠) نوابغ الكلم أو الكلم النوابغ :

هى مجموعة حكم ونصائح مركزه مسجوعة سجعا ملتزما ، لاينتظمها موضوع أو فكرة . (طبع الكتاب المستشرق الهولندى هـ - سكولتنز سنة ١٧٧٢ م مع ترجمة الى اللاتينية . وفى سنة ١٨٧٥م طبع الكتاب مع ترجمة الى الفرنسية المستشرق الفرنسى ص . مينارد . وفى سنة ١٣٠٦ هـ طبع الكتاب محمد البيروتى فى بيروت)(٢) . وفى سنة ١٩٧١م حققت الكتاب د . بهيجة باقر الحسنى ، ونشرته مجلة العرب - الرياض فى الجزء ٩ والجزء ١٠ .

---

(١) نفس المرجع ص ٦١ .

(٢) المحاجاة - د . بهيجة - ص ٤٢ .

ب — المخطوطـــة :

(٢١) تعليم المبتدئ وارشاد المقتدى :

توجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة رسائل برقم (٤٢٥٤ س) (١) .

(٢٢) ديوان شعر — وهو موضوع دراستنا .

(٢٣) رؤوس المسائـــل (٢) :

وسماه ابن خلكان — رؤوس المسائل فى الفقه (٣) . وتوجد منه نسخـــة خطية فى مكتبة برقم (٣٦٠٠) (٤) .

(٢٤) شرح أبيات كتاب سيبويـــه :

توجد منه نسخة خطية فى خزانة مكتبة احمد الثالث فى استانبـــول . مؤلفـــة من احدى عشرة ومائة ورقـــة (٥) .

ولا عجب أن نجد الزمخشرى يفخر بكتابه هذا فى قصيدته التى يمدح بها مجير الدولة ابا الفتح على بن الحسين الاردستانى :

وفى شرح أبيات الكتاب لبعض ما يرى فى صفاتى مجملا اى شارح (٦)

(٢٥) شرح المفصـــل :

يقول السيوطى : (شرح بعض مشكلات المفصل) (٧) .

---

(١) المحاجاة — للزمخشرى — تحقيق د. بهيجة ص ٢٨ .
(٢) معجم الأدباء — ياقوت — أولى سنة ١٩٢٥ ج ٧ ص ١٥٠ وسماه (روح المسائل)
(٣) وفيات الأعيان — دار صادر — ٥/١٦٩ .
(٤) المحاجاة للزمخشرى — تحقيق د. بهيجة ص ٣٠ .
(٥) نفس المرجع ص ٣٢ .
(٦) الديوان ٢٠/٣٩ .
(٧) بغية الوعاة — السيوطى — مطبعة السعادة — سنة ١٣٢٦ هـ — ص ٣٨٨ .

وذكر بروكلمان أن للزمخشري شرحا للمفصل ومنه نسخة بليدن برقم (١٦٤) وأخرى بفينا برقم (٥٤)[(١)] ، وذكرت الدكتورة بهيجة انها اطلعت على نسخة خطية فى مكتبة برقم (٣٦٥٥) تقع فى ١٦٠ ورقة تاريخ نسخها (٧٩٤ هـ)[(٢)] .

(٢٦) قصيدة فى سؤال الغزالى كيف يجلس الله على العرش :

ذكرها بروكلمان ، واشار الى وجود نسخة خطية منها فى برلين برقم (٧٦٨٨)[(٣)] .

(٢٧) المنهاج فى الأصول[(٤)] :

ذكره بروكلمان باسم (المنهاج فى أصول الدين) ، وذكر له نسخة خطية فى المدينة برقم (٥١٦)[(٥)] .

(٢٨) مختصر الموافقة بين أهل البيت والصحابة[(٦)] :

توجد منه نسخة خطية فى خزانة مكتبة احمد تيمور باشا[(٧)] .

(٢٩) نزهة المستأنس ونزهة المقتبس :

توجد منه نسخة خطية فى مكتبة (ايا صوفيا) باستانبول تحت رقم (٤٣٣١)[(٨)] .

---

(١) تاريخ الأدب العربى — بروكلمان — دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٥ ج ٥ ص ٢٢٥
(٢) المحاجاة — للزمخشرى — تحقيق د . بهيجة ص ٣٢ .
(٣) تاريخ الأدب العربى — بروكلمان — دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٥ ج ٥ ص ٢٣٧
(٤) معجم الأدباء — ياقوت — أولى — ج ٧ ص ١٥٠ وفيات الأعيان — ٥
(٥) تاريخ الأدب العربى — بروكلمان — دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٥ ج ٥ ص ٢٣٨
(٦) ذكر الدكتور الحوفى — انه غير معروف ، وان الاصل لابى سعيد الرازى اسماعيل الزمخشرى — الحوفى ص ٥٨ .
(٧) المحاجاة للزمخشرى — الدكتورة بهيجة ص ٣٧ .
(٨) اطلعت عليه الدكتورة بهيجة فوجدته مختصر الربيع الابرار . المحاجاة ص ٤٢

(٣٠) نكت الاعراب فى غريب الاعراب (١) :

توجد منه نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية برقم (٢٥١٠٢ب)وهو مجموعة مسائل من الكشاف (٢) . وذكر الدكتور الحوفى انه غير معروف (٣) .

(٣١) النصائح الصغار والبوالغ الكبار :

يذكر جرجى زيدان ان النصائح الصغار مخطوط فى برلين وفى المتحف البريطانى .

ويقول الدكتور الحوفى انه وجد الكتاب باسم (النصائح الصغار والبوالغ الكبار) وانه مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم (١٣٤٧٨ز) مع نوابغ الكلم فى (١٦) ورقة ، وفى نهايته فصل به مائة حكمة للامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه (٤) .

جـ ـ غير المعروفة :

(٣٢) الاسماء فى اللغة .

(٣٣) الاجناس .

(٣٤) الأمالى فى النحو (٥) .

(٣٥) تسلية الضرير .

(٣٦) جواهر اللغة .

(٣٧) حاشية على المفصل .

(٣٨) ديوان تمثيل (٦) .

(٣٩) ديوان خطب (٧) .

---

(١) معجم الأدباء ـ ياقوت ـ اولى ـ جـ ٧ ص ١٥٠ .
(٢) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشرى ـ د. صالح فاضل السامرائى ـ دار التذير سنة ١٩٧٠م ص ٩٩ .
(٣) الزمخشرى ـ الدكتور الحوفى ـ ص ٦١ .
(٤) تاريخ آداب اللغة العربية ـ جرجى زيدان ـ مطبعة الهلال جـ ٣ ص ٤٨ .
(٥) الزمخشرى ـ الدكتور الحوفى ـ ص ٦٣ .
(٦) معجم الأدباء ـ ياقوت ـ اولى ـ جـ ٧ ص ١٥٠ ، وفيات الاعيان ـ ابن خلكان ـ دار صادر جـ ٥ ص ١٦٩ ، وسماه " الامالى فى كل فن " .
(٧) نفس المراجع .
(٨) معجم الأدباء ـ ياقوت ـ اولى جـ ٧ ص ١٥٠ .

(٤٠) ديوان رسائل ، ولعلـه المقصود بقولـه :

ديوان منظوم يريك بدائعا ديوان منثور يريك طرائفا (١)

(٤١) الرائض في الفرائض (٢) . (٤٢) رسالة الاسرار (٣) .

(٤٣) رسالة المسامة (٤) . (٤٤) الرسالة الناصحة (٥) .

(٤٥) سوائر الامثال (٦) . (٤٦) شافي العي من كلام الشافعي (٧) .

(٤٧) شقائق النعمان في حقائق النعمان (٨) .

(٤٨) صميم العربية (٩) . (٤٩) ضالة الناشر (١٠) .

(٥٠) عقل الكل . (٥١) الكشف في القراءات العشر (١١) .

(٥٢) متشابه أسماء الرواة . (٥٣) المختلف والمؤتلف (١٢) .

(٥٤) معجم الحدود . (٥٥) المفرد والمركب في العربية ، ولعله كتاب المفرد والمؤلف في النحو .

---

(١) الديوان ٩٣ .
(٢) معجم الأدباء ٧/١٥٠ ، بغية الوعاة ٣٨٨ .
(٣) معجم الأدباء ٧/١٥٠ . (٤) نفس المرجع .
(٥) نفس المرجع .
(٦) معجم الأدباء ٧/١٥٠ ، وفيات الأعيان ٥/١٦٩ .
(٧) وفيات الأعيان ٥/١٦٩
(٨) معجم الأدباء ٧/١٥٠ ، وفيات الأعيان ٥/١٦٩ ، تاج التراجم ـ مطبعة العاني بغداد سنة ١٩٦٢ ص ٧١ رقم ٢١٧ ، والاسم في الجميع (شقائق النعمان في حقائق النعمان في مناقب الامام أبي حنيفة) .
(٩) نفس المراجع ، وذكر الدكتور فاضل السامرائي ـ ان في مكتبة المتحف العراقي ببغداد مخطوطة اسمها (صميم العربية) رقم ١٠٠٢ منسوبة للزمخشري ، ولكن بالتحقيق في المواضيع التي تحويها المخطوطة تبين انها شرح لفصيح ثعلب . وقد وضع عليها اسم صميم العربية خطأ . انظر : (الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ـ د . فاضل السامرائي ص ٩١ـ٩٣) .
(١٠) وفيات الأعيان ـ ابن خلكان ٥/١٦٩ ، بغية الوعاة ٣٨٨ .
(١١) مجلة المجمع العربي العراقي ـ المجلد الثامن ص ٧٥٨ .
(١٢) استجازة السلفي الثانية (أزهار الرياض ـ المقري ـ مطبعة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ج ٣ ص ٢٨٧ .

وفاتـــــه :

لقد شاء الله أن تكون لكل بداية نهاية ، ويتوقف دولاب حياة هـذا العلامة في ليلة عرفة (١) من سنة ثمان وثلاثـين وخمسمائة ، بقصبـــة جرجانيـة خوارزم ، بعد رجوعه من مكة شرفها اللـــه .

وقد زار ابن بطوطة خوارزم في أوائل القرن الثامن الهجري ،وقال :
" وبخارج خوارزم قبر الامام العلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشـري وعليـه قبـة "(٢)

ويروى ابن خلكان فيقول : " وكان بعض الفضلاء قد انشدني هـذه الابيات بمدينة حلب ، وقال : ان الزمخشري المذكور أوصى أن تكتـب على لوح قبره :

الهى لقد اصبحت ضيفك في الثرى ... وللضيف حق عند كل كريـــم
فهب لى ذنوبي في قراى فانهـــا ... عظام ، ولا يقرى بغير عظـــيم (٣)

ورثـــاه أحد فتيان مكـــة بقولـــه :

فأرض مكة تذرى الدمع مقلتهـــا ... حزنا لفرقـة جار الله محمـــود (٤)

فرحمـة اللــه عليــه ، واثابــه عنا خـــير الجزاء .

---

(١) مفتاح السعادة — طاش كبرى زاده — دار الكتب الحديثة ج ٢ ص ١٠٠ .
معجم الأدباء — ياقوت — دار المأمون — الاخيرة ١٩٥ ص ١٢٩ .
وفيات الاعيان — ابن خلكان — دار صادر — ج ٥ ص ١٧٢ .

(٢) مهذب رحلة ابن بطوطة — المطبعة الاخيرية ببولاق سنة ١٩٣٤ ج ١ ص ٢٩٨

(٣) وفيات الاعيان — ابن خلكان — دار صادر — ج ٥ ص ١٧٢ .
مرآت الجنان — اليافعي — دار المعارف حيدرآباد — اولى ج ٣ ص ٢٧١ .
الإنساب — السمعاني — مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية — حيدرآباد اولى سنة ١٣٨٦ ج ٦ ص ٣١٦ .

(٤) وفيات الاعيان — ابن خلكان — دار صادر ج ٢ ص ١٢٣ .

((الفصـــل الثالـــث))

======

١ ـ احساسه بالفقر يدفعه للتكسف بالشعر •

٢ ـ انصرافه عن الزواج •

٣ ـ احساسه بالنقص لقطع رجله •

٤ ـ وقف كل حياته على العلم وافتخاره به •

٥ ـ اعتزازه بنفسه •

٦ ـ حبه للعرب والعربية الناشئ عن اخلاصه لثقافته العربية والاسلامية •

٥٥ ٥٥

٥٥

احساسه بالفقر يدفعه للتكسب بالشعر .

لقد نشأ الزمخشرى فى أسرة فقيرة — كما بينا ذلك سابقا — فأبوه رجل فقير مع أنه عالم فاضل ، فيقول عنه الزمخشرى :

من المروءة فى عليا متسع ... صدرا وان لم يكن فى المال متسع

وهذا الآب مع فقره صاحب عيال صغار يحتاجون الى الانفاق ، أما الزمخشرى فكان يتولى الانفاق عليه فى كثير من الحالات استاذه الضبى ، ويؤثر هذا فى نفس التلميذ ، فلما وجد فى نفسه القدرة على قول الشعر ، أراد أن يكتسب عن طريقه مايسد به حاجته ليخفف العبء عن استاذه ، ويستطيع مساعدة أسرته ، فيتجه بشعره الى الوزير نظام الملك ، ذاكرا له فقره ومساعدة استاذه له ، لعله ينال من هذا الوزير مثل ماينال غيره من الشعراء والأدباء والعلماء ، فيقول :

اليك نظام الملك شكواى فاستمع ... الى بث مجدود المعايش ضنكها

طريح خطوب كل يوم تنوبه ... ببائقة تنحى عليه ببركها

ولو لم يل الضبى عنى عراكها ... لغالت يد البلوى أديمى بعركها

والظاهر أن الزمخشرى لم ينل عند هذا الوزير حظوة فيهدد بالرحيل عن البلاد ، ومما زاد الامر سوءا أن مؤيد الملك قد سجن والده ، وترك أطفاله بدون معيل ، والزمخشرى فى هذه الفترة شاب حرم احدى رجليه فلا يستطيع العمل والكسب لسد متطلبات هذه الأسرة الفقيرة التى حرمت معيلها ، فيلجأ الى الشعر مرة أخرى ، فيستعطف مؤيد الملك لاطلاق سراح والده ، ويظهر فى هذا الاستعطاف مدى تأثر الاطفال بعد غياب معيلهم ، فيقول :

أكفى الكفاة مؤيد الملك الذى ... خضع الزمان لعزه وجلاله

ارحم أبى لشبابه ولفضله   وارحمه للضعفاء من أطفاله
ارحم أسيرا لو رآه من العدى   اقساهم قلبا لرق لحاله
ماأطول الليل الذى يقضيه فى   سهر، وأطول منه ليل عياله

ونجد الزمخشرى يسير فى طريق التكسب بالشعر لكى يسد بعض متطلبات حياته ، فيرحل الى خراسان ويمدح مجير الدولة أبا الفتح على بن الحسين الاردستانى ، وكان هذا الممدوح سخيا مع الزمخشرى فيمنحه على احدى قصائده ألف دينار وفرسا . ثم يرتحل الزمخشرى الى أصفهان ويمدح بها محمد بن أبى الفتح ملكشاه .

ولقد استمر الزمخشرى على حاله هذه حتى سنة ٥١٢ هـ عندما أصيب بمرض شديد ، فعاهد الله ان اشفاه من مرضه ان لايطأ عتبة أمير وكأنه شعر بأن المرض الذى أصابه نتيجة لتزلفه الى هؤلاء الحكام ومدحهم بما ليس فيهم .

وقد عرضت لتكسبه فى موضوع المديح فلا اطيل به هنا .

انصرافه عن الـــزواج :

لقد ظل الزمخشري طيلة حياته عزبا ، متفرغا للعلم وتحصيله ثـــم الكتابة فيه ، وقد أعد مؤلفاته وتلاميذه أبناء له ، بهم تقضى حوائجـــه وهو لا يخاف عليهم نوائب الدهر ، ولا يخاف عقوقهم كما يخاف الآبـــــاء من أبنائهم :

وحسبي تصانيفي وحسبي رواتها	بنين بهم سيقت الى مطابـــق
اذا الاب لم يأمن من ابن عقوقـــه	ولا ان يمق الابن بحضر النوائب
فاني منهم آمـــن وعليهـــــم	واعقابهم ارجوهـم للعواقـــب (١)

وقد نصحه قومه بالزواج ، ولاموه على تركه النسل ، الا أنه يعلـــل لهم سبب تركه النسل ، بأن الابناء جنود فساد ، ليس في كل الـــف منهم مصلح ، واذا ارتكب الابن الخليع فضيحة أو عمل عملا مشينا ، فـــان عملـــه هذا فضيحة لوالده ، فهو لهذا السبب يبتعد عن الزواج والنسل :

يموه قومي بالتنصح لومهـــــم	وان عناء لومهم والتنصـــــح
يلومونني أني نأيت بجانـــــبي	عن النسل الوى عنه رأسي واجمح
اتلحون لواما على النسك أهلـــه	اذا لم يفدك القول فالصمت اصلح
كأنكم لم تسمعوا ان من لـــــه	عيال شقي دهره ليس يفلـــح
قبيح بمثلي والبنون ـ كما أرى ـ	جنود فساد ليس في الالف مصلح
تصد لنسل مثلهم ، ان فعل من	يولد فعال القبائح ، قبـــــح
اذا ارتكب الابن الخليع فضيحـــة	فذاك لعمر الله للاب أفضـــح
وكل صنيع ليس للنفع جالبـــــا	وجر وجوه الضر فالمترك أروح (٢)

---

(١) الديوان : ٨٩ـ٩ـ١١ .

(٢) الديوان : ٦٥/١ـ٨ .

وفى قصيدة أخرى يعلل هذا الابتعاد بتعليل بعيد عن فطرة الانسان وعن روح الدين ، فهو يشفق على الآباء/ الذين يجهدون أنفسهم فى تربية أبنائهم ، وهم يأملون لهم الخير والرفعة ، حتى يسعد بهم آباؤهم وتقر بهم عيونهم ، ولكن الابناء ينشؤون أذلة ، ويصبحون مطية للغير ، فهو يترك النسل لذلك ويختار طريق الرهبنة فيقول :

تصفحت أولاد الرجال فلم أكد … اصادف من لايفضح الام والأبا

رأيت أبا يشقى بتربية ابنه … ويسمى لكى يدعى مكيسا ومنجبا

اراد به النشء الاغر فما درى … ايوليه حجرا ام يعليه منكبا

اخو شقوة مازال مركب طفله … فاصبح ذاك الطفل للناس مركبا

لذاك تركت النسل واخترت سيرة … مسيحية احسن بذلك مذهبا (١)

ونحن لانقبل منه مثل هذا التعليل ولانقتنع به ، فالامومة والابوة غريزة فى الانسان ، كما وان الابناء منهم الصالح ومنهم الطالح ، فلا ينطبق على الجميع ما تشاءم به الزمخشرى ، كما أن الاسلام لايقبل الرهبنة ممن قدر على الزواج وتحمل مسؤولياته .

ومع أن الزمخشرى قضى حياته عزبا ، الا أنه كان عفيفا بعيدا عن كل الأمور التى تخل بالشرف والحياء ، حتى وهو فى عز شبابه مع توافر اللذات التى تجذب الشيوخ اليها ، الا أنه يحفظ نفسه مع قدرته على الخوض فى هذه الملذات ، فهو يقول :

اذا نزق اللهو الشيوخ فاطلقوا … حباهم ، وطاشوا زاد حبوته عقدا

على انه فى عنفوان شبابه … وان عليه من رياش الصبا بردا

ولو شاء — لكن لن يشاء ولم يشأ … لجاوز فيما تشتهى الانفس الحدا (٢)

---

(١) الديوان : ٦٧/١ــ٥ .

(٢) الديوان : ٢٦/٣٥ــ٣٧ .

وفي موضع آخر يذكر عرض الغواني الوصل عليه ، ولكنه يبتعد عن ذلك ولايقبله لنفسه :

دعتني الى الوصل الدمى غير انني ... حماني جواب الداعيات التحرج (١)

واذا كانت هذه الصفة في صباه فهو في شيخوخته اوضح واظهر فبالاضافة الى مروءته وتقاه اللذين ينهيانه عن اللهو وجد ناهيا جديدا هو الشيب :

ترى كل جيداء تنصب جيدها ... كما رعت ظبيا بالصريمة حاقفا

يلم بجار الله طائف جنة ... اذا ماخيال زارهم طائفا

يكاد لزينات الصبا يستفزه ... ويدعو اليه ذاهب اللهو هاتفا

وهيهات هل يصبو ابن سبعين حجة ... وقد راح للموت الذريع مشارفا

كفاني مشيبي والمروءة والتقى ... صوارف عن غير الجميل صوادفا

ومن زل عن ظهر الشبيبة ينقلب ... الى اللهو داعيه عن اللهو صارفا (٢)

وهذا يبين لنا ان الزمخشري مع عزوبته ظل - كما يدعى - عفيفا متحرجا من اقتراف المعاصي طوال حياته .

ولم يكن الزمخشري بدعا في هذا ، فهو في كل آرائه وفلسفته عن المرأة والولد متأثر بآراء أبي العلاء المعري الذي يقول :

لو أن كل نفوس الناس رائية ... كرأى نفسي تناءت عن خزاياها

وعطلوا هذه الدنيا فما ولدوا ... ولااقتنوا واستراحوا من رزاياها (٣)

ويقول أيضا :

الأوانس ان تزور قبورها ... خير لها من أن يقال عرائس (٤)

---

(١) الديوان ٨/١٥ . (٢) الديوان ٢٢/٩٣-٢٧ .
(٣) رجعة الى أبي العلاء - عباس العقاد - دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٩٦٧ ص ١٠٣ .
(٤) نفس المرجع ص ١٠٤ .

وفى موضع آخر يقول :

خير النساء اللواتى لايلدن لكم   فان ولدن فخير النسل مانفع (١)

ويقول أيضا :

صحبتك فاستفدت بهن ولدا   اصابك من أذاتك بالسمات

ومن رزق البنين فغير ناء   بذلك عن نوائب مسقمات

فمن ثكل يهاب ومن عقوق   وأرزاء يجئن مصممات (٢)

وكما كان الزمخشرى يحب أمه وأباه ولم ينقم عليهما لانهما أنجباه ، فقد دعا المعرى الى اكرام الام والاب فيقول :

العيش ماض فاكرم والديك به   الام أولى باكرام واحسان

وحسبها الحمل والارضاع تدمنه   أمران بالفضل نالا كل انسان

واعط أباك النصف حيا وميتا   وفضل عليه من كرامتها الاما

أقلك خفا اذ اقلتك مثقلا   وأرضعت الحولين واحتملت تما

وألقتك عن جهد وألقاك لذة   وضمت وشمت مثلما ضم أو شما (٣)

فالمطلع على هذه الآراء يرى ان آراء الزمخشرى فى الزوجة والولد والأب والأم لاتختلف عنها كثيرا ، واعتقد أن السبب فى ذلك هو الظروف القاسية التى عاشها كلا الرجلين والتى تكاد تكون متشابهة .

ويدلنا هذا أيضا على أن الزمخشرى قد نظر فى شعر المعرى .

---

(١) المرجع السابق ص١٠٥ .

(٢) حكيم المعرة — دكتور عمر فروخ — دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع — بيروت لبنان ١٩٤٨ ص ٩٠ .

(٣) المرجع السابق .

احساسه بالنقص لقطع رجلـه :

لقد أثر قطع رجله على نفسه كثيرا ، لأنه عده نقصا فيه ، لذلك حاول أن يعوض هذا النقص بأن اندفع فى طلب العلم وتحصيله ليبلغ فيه حدا يغطى به على عرجه ، وهو فى الديوان يدافع فى أكثر من موضع عن هذا النقص ويبين انه لايعيب الانسان مثل هذا ، فهو يشبهه بالفلول فى حد السيف ، وقد حاول تغطية هذا الاحساس بالنقص بفضله وعفته ، فيقول :

غمرت بفضلى والتعفف وصمة ... اصابت بها الأيام بعض جوانحى

فلا تنكرى انى اصبت بمثلها ... فكم من فلول فى شفار الصفائح

لئن جرحتنى عضة من نوائب ... رمى الله فى أنيابها بالقوادح

واصبحت كالمقصوص ريش جناحه ... انوء بركن كلما قمت جانح

فعند مجير الدولة المستجار لى ... مداواة أدواء وآسو جرائح (١)

ويكرر هذا التشبيه فى قصيدة أخرى ، ويضرب المثل بالاحنف بن قيس ، وان حنفه لم يغض من حلمه فهو يقول :

ولا يروعك الكسر فى جناحه ... قرينة السيف الفلول فى الطرف

تمثلوا الاحنف فى الحلم وما ... غض من الأحنف عارض الحنف (٢)

ويعود فى موضع آخر فيبين أن عيب الانسان فى تصرفاته وأخلاقه لا فى صفاته الجسمية :

فلا تسخرى من ساق رجلى وغمزها ... ففى ساق حالى موقع الغمز أظهر (٣)

---

(١) الديوان ٢٠/٧ـ١١ .

(٢) الديوان ٢٣١/١٢ ، ١٣ .

(٣) الديوان ٣٠/٦ .

وكثيرا ماكان يحول هذا العرج بينه وبين مايحب ان يعمل فيقول :

يطير الى المعلاة لى كعب شيق ولكن جناح لاينوء مهيض (١)

هذا التكرار لقطع رجله بين الحين والآخر ، يدل على مدى تأثير هذا القطع على نفسه ، وانه يحاول أن يدفع عنه العيب به بشتى الحجج والبراهين .

وقف حياته على العلم وافتخاره به :

كانت بيئة الزمخشرى الخاصة والعامة تشجع العلم وتيسر اسباب الحصول عليه ، فيتلقى الزمخشرى العلم فى أول حياته فى زمخشر على يد استاذه أبى مضر الضبى ، وكان الزمخشرى ذكيا ومشغوفا بالعلم ويعجب الاستاذ بتلميذه ، فيتعهده برعايته وتوجيهه ويساعده بماله .

ولكن التلميذ لايكتفى بما فى زمخشر من علوم ، فيرتحل الى بخارى ليستزيد من مناهل علمائها ، وكانت ماتزال تابعة للدولة السامانية ولها صيت ذائع فى العلم حتى ان الثعالبى يقول " انها كعبة طلاب العلم ، ومطلع نجوم الأرض " (٢) . ولم يكتف الزمخشرى بهذا أيضا بل زار بغداد واجتمع بالعلماء وأخذ عنهم ، فقد اجتمع فيها بالفقيه الدامغانى وبالشريف ابن الشجرى وزار كذلك الشام ، ثم أقام مدة بمكة وصاحب فيها الشريف ابن وهاس ، وقرأ كتاب سيبويه على عبد الله بن طلحة اليابرى .

وفى طريق عودته الى وطنه عام ٥٣٣ هـ يعرج على العراق ، ويجتمع بأبى منصور الجواليقى ، ويقرأ عليه بعض كتب اللغة ويستجيزه فى روايتهما .
وفى هذا يقول القفطى . (ان الزمخشرى قدم علينا بغداد سنة ٥٣٣ هـ .

---

(١) الديوان ٣/٨ .

(٢) يتيمة الدهر ــ الثعالبى جـ ٤ ص ١٠١ .

ورأيته مرتين عند شيخنا أبى منصور الجواليقى قارئا عليه بعض كتب اللغة من فواتحها ومستجيزا لها (١).

والملاحظ هنا أن الزمخشرى وهو ابن السادسة والستين ، لم يتورع ان يجلس مجلس طالب العلم ، ليتلقى على من هو أعلم منه ، وهذا يدل على نفس شغوفه لنيل العلم والمعرفة .

ومن السهل ان نعرف من أسماء اساتذته ومن مؤلفاته التى أسلفنا ذكرها ، أنه درس اللغة ، والنحو والعروض ، والأدب والبلاغة والتفسير والقراءات ، والحديث والفقه ، وعلم الكلام والمنطق وبعد أن درس هذه العلوم وهضمها أخذ فى وضع المصنفات فيها فساهم فى كل مجال بأكثر من كتاب حتى بلغت مصنفاته حوالى ستة وخمسين مؤلفا .

ولهذا فقد اعتز بدراساته ومؤلفاته وافتخر بها فى كثير من شعره ، فيقول :

توانى فى علم المنزل فارسا وما أنا فى علم الأحاديث راسفا
فللسنة البيضاء فى مناجح ويخفى كتاب الله منى المعارفا
وما أنا من علم الديانات عاطل فأحسن حلى لم يزل لى شانفا
وما للغات العرب مثلى مقوم ابى كل ندب متقن ان يخالفا
وبى يستعيذ النحو من أن يسوسه نهى لم يجدها الذائقون حصائفا
وعلما المعانى والبيان كلاهما أزف الى الخطاب منه وصانفا
وعلم القوافى والأعاريض شاهد بفسحة خطوى فيه اذ كنت زاحفا
اقرت بى الآداب أصلا لها ومن رأى مشرفيات جحدن المشارفا
وديوان منظومى يريك بدائعا وديوان منثورى يريك طرائفا

وقد أوردت أمثلة أخرى من فخره هذا فى موضوع الفخر ، واكتفى هنا بما ذكرت خوف الاطالة والتكرار .

---

(١) أنباه الرواة — القفطى ج ٣ ص ٢٥٠ .

اعتزازه بنفسه

لقد كان الزمخشرى — رحمه الله — عزيز النفس يأنف من الضيم، ويفضل الغربة على الاقامة فى وطنه ان لم ينل مايصبو اليه من جاه ومنصب، فيرحل الى أى مكان يشعر فيه بالكرامة والعزة.

وأول مايطالعنا من عزة نفسه اعتداده بها وطلبه من نظام الملك أن يجد له نظيرا فى جميع المحافل، وتهديده له بالرحيل عن خوارزم كلها، فيقول :

فكل امرئ آماله عدد الحصى ... وهات نظيرى فى جميع المحافل

لئن كان امرى فى خوارزم ما أرى ... فان رحالى فى ظهور الرواحل (١)

ونجده فى قصيدة أخرى يبين مدى حبه لبلاده، ولكنها لما أصبحت منزلا لذله وقهره، فهو يصمم على الرحيل عنها وعدم الرجوع اليها، فهو يقول :

أحب بلاد الله شرقا ومغربا ... الى التى فيها غذيت وليدا

ولكن تواسى بالكرامة غيرها ... وهذى ارى فيها الهوان عتيدا

وما منزل الاذلال للحر منزلا ... وان كان عيش الحر فيه رغيدا

سأرحل عنها ثم ليست براجع ... واضرب عرضى فى البلاد بعيدا

فلا كنت ان خيمت فيها ابن حرة ... ولاعشت بين الصالحين حميدا (٢)

وكرر هذا المعنى فى مكان آخر، فهو يريد أن يسير عن موطن اللؤم الى بلد ترعى فيه حقوقه، فقال :

سأصبح عن مستوطَن اللؤم سائرا ... الى بلدة تَرْعَى حُقُوقِى كرامُها

لافصم عنى عروة الذل معصما ... بعروة عز لا يُخاف انفصامُها (٣)

(١) الديوان — ٢٥/٢١، ٢٢. (٢) الديوان : ١٧/١ — ٥.
(٣) الديوان : ١٩/١٨، ١٩.

وفى قصيدة أخرى يرى أن عيب نفسه فى اقامتها فى خوارزم وأن توحاله فى البلاد ليس اغترابا بل الاغتراب فى نظره ان يقيم بين الناقصين فيقول :

ولاعيب فى نفسى سوى فضلها مبلى   اقامتها فى أرض خوارزم عابُها
وتوحالها ليس اغترابا وانما   اقامتها فى الناقصين اغترابُها (١)

وتظهر عزة نفس الزمخشرى فى آماله العراض ، وهمته العالية التى تضيق عن اتساعها بروج السماء :

دعتنى الى الموصل الدمى، غير اننى   حمانى جوابُ الداعيات التحرجُ
ونفس جسيماتُ المعالى تشوقها   اذا غزلٌ شاقته خودٌ وهودج
لها هممٌ لو أنهن كواكب   لما وسعت تلك الكواكبَ أبرجُ (٢)

وفى قصيدة أخرى تظهر عزة نفسه واضحة ، فهو يبتعد عن موقف الذل والذى يثبطه عن ذلك همته العالية وعزة نفسه التى تركب حد السيف المرهف ولا تقترب من الهجان، وأنه لايزور الرجال متملقا لهم، بل ينأى بجانبه عن ذلك ، فهو يقول :

تثبطنى عن موقف الذل همة   الى جنبها حد السماك معفر
وعزة نفس تركب السيف مرهفا   وتسمع حسا من هجان فتنفر
ولست بزوار الرجال تملقا   وركنى عن تلك الدناءة أزور (٣)

---

(١) الديوان : ١٦/٢٢، ٢٣ .
(٢) الديوان : ١٥/٨ ـ ١٠ .
(٣) الديوان : ٣٠/ ١٧، ١٨، ٢١ .

حبه للعرب والعروبة الناشئ عن اخلاصه لثقافته العربية والاسلامية :

عاش الزمخشري فى عصر قوى فيه الحديث عن الشعوبية بتشجيع ذوى السلطة ممن لم يدخل الايمان قلوبهم ، فأخذ الشعوبيون يناقشون العرب فى كل شئ ويقللون من فضلهم وقيمتهم ، ولكن الزمخشرى المسلم يربط بين العروبة والاسلام ويعد ان أى طعن يوجه الى اللغة العربية أو الى العرب هو طعن فى هذا الدين ، فرسول الله — عليه الصلاة والسلام — عربى ، والقرآن الكريم نزل باللغة العربية ، لذلك نجده يدافع عن هذه الفكرة بكل ما أوتى من قوة ، مع انه ليس عربيا ، بل هو مسلم يدافع عن لغة دينه وأهلها . لذلك نجد له قصيدة طويلة سماها العربية (١) ، يدافع فيها عن فكرته السابقة ويظهر حبه للعرب وللعروبة .

يفتتح الشاعر قصيدته بذكر الديار وارتحال الحبيبة العربية ، مظهرا ذلك من خلال وصفه لأهلها ، ليدخل الى غرضه وهو مدح العرب فيقول :

من العرب الصيد الأولى أحرزوا العلا وطابت لهم أعراقهم والمغارس
غطارفة شم تربوا أعزة فما شم ريح الذل منهم معاطس

وقد عدد فى هذه القصيدة الكثير من صفات العرب الحميدة والتى تأصلت فى نفوسهم منذ القدم ، فهو يصفهم بأنهم اصلب نبعة ، وأنهم يقومون بتحمل أعباء المسؤولية وأعباء الدولة عبر العصور ، ويتعرض لآبائهم وصبرهم مشبها لهم فى الاباء بالخيل الشوامس ، وفى الصبر بالابل الخوامس :

والعرب العرباء أصلب نبعة وهل يستطيع الحز فى النبع ضارى

---

(١) الديوان : ٣ .

فيا أمة لو يشعر الصخر بالـذى تمارس جنح الصخر مما تمارس
اباء اباء الخيل وهى شوامس وصبر كصبر الهيم وهى خوامس

ثم ينتقل الى ذكر شجاعتهم وفروسيتهم ، ذاكرا من أيامهم في الجاهلية يوم داحس والغبراء ، ليدلل على شدة تحطمهم للحرب مهما طالت مدتها :

وما زال منهم فى الهزاهز كلها فوارس هيجا أو ليوث فوارس
مساعر ما يحمى الوطيس بمثلهم اذا فرعن جو القراع المغامس
فكم طعنة بكر يطير رشاشها لفتيانهم والحرب شمطاء عانس
ويكفيك من أيامهم وحروبهم بما جرت الغبراء أو جر داحس

ويظهر تعصبه للعرب واضحا عندما يذكر انتصاراتهم على الفرس وسلبهم تيجان ملوكهم :

وهم فرسوا أبناء فارس كلهم بأنيابهم وهى الرماح المداعس
وهم سلبوا التيجان هام ملوكهم ولم يقلوا عنهم وفارس فارس

ولم ينس الزمخشرى صفة الكرم التى اتصف بها العرب فيقول :

وأى سخاء يدعى كسخائهم بما ملكوا والجو اغبر عابس
بأسيافهم يعرون سوق عشارهم اذا نزل الاضياف والضرع يابس

وكذلك يذكر اجارتهم لمن يستجير بهم فيظهر هذه الصفة بشيء من المبالغة حتى ان الذى يستجير بعظام ميت من العرب يكون فى حصن حصين :

وان تستعذ منهم بأعظم ميت فذلك حصن مانع لك حارس
اذا اعتقلت كفاك منهم بذمة فخصمك فل ناكص عنك ناكس

ثم يبرز لنا محافظتهم على العرض ، وتضحيتهم بالارواح فى سبيله واعتزازهم بأصلهم ، وترفعهم على بقية الشعوب الاخرى ، ويورد لنا مثلا

على ذلك قصة النعمان بن المنذر مع كسرى وترفعه عن مصاهرتـه ولو كان فى ذلك حتفـه :

واعراضهم أعراقهم وكلت بهـا مهيمنة حتى أتقنها المدانس
وعن صهر كسرى صد نعمان بـأوه (١) فخنقه فى خانقين الفـوارس
وهان عليه يومه قبل ساعـة يكابد فيها صهو من لايجانس

ثم انتقل بعد ذلك الى اللغة العربية وانتشارها فى الأمصار مثـل انتشار ضوء الشمس فى اليوم المشمس ، ثم يقول ان الله لم يخلق أمـة على ظهر الأرض تناسبهم فى أى خصلـة :

وقل هل فشا فى الأرض غير لسانهم لسان فشو الضوء واليوم شامس
به عج فى أمصارها كل منـبر وطنت به فى الخافقين المدارس
على ظهرها لم يخلق الله أمـة تناسبهم فى خصلة أو تلابـس

ثم يقدم البرهان القاطع لتفضيله العرب على غيرهم من الشعوب ، وهو أن رسول الله ـ صلى اللـه عليـه وسلم ـ منهـم ، وان القـرآن الكريم انزل بلسانهم ويكفيهم هذا فضلا :

وواحدة تكفيك هاتيك حجـة بساطعها تنشق عنك الحنادس
أجل رسول منهم وبلسنهـم أجل كتاب فاعتبر يامنافـس

ثم يختتم القصيدة بتوجيه خطابه للشعوبيين بأن أحاديثهم هى مـن تضليل شياطينهم ، وأن مذهبهم باطل ولايغتر به الا الاشايب الحمقى :

وقل للشعوبيين ان حديثكـم اضاليل من شيطانكم ووسـاوس
لكم مذهب فسل يغر بمثلـه اشايب حمقى لا الرجال الاكايـس

وأى تعصب للعرب أكثر من هذا التعصب ، واعتقد ان الأثر الاكبر فـى حبه للعرب وللعروبة يرجع الى استاذه الضبى ، العربى الاصل ، فأثـر الاستاذ فى تلميذه فنشأ على حب العرب والعروبة منذ الصغر .

الباب الثاني

((الباب الثانى))

شعر الزمخشرى

الفصل الأول : مصادر شعره .

الفصل الثانى : موضوعات شعره .

الفصل الثالث : الخصائص الفنية .

الفصل الرابع : القيمة الأدبية والتاريخية للمخطوطة .

: : : : :

((الفصـــل الأول))

====

مصـــادر شعـــره

أ ـ المخطوطـــــــات .

ب ـ المصادر الأدبيـــة .

::::

(أ) مخطوطات الديـــوان :

١ ـ نسخة الاصل : وتوجد هذه النسخة فى مكتبة جامعة ييــــل فى (نيوهافن) فى الولايات المتحدة الامريكية ، وتحمل رقم ٧٠٥ ، وقد تم الحصول عليها عن طريق مراسلة الجامعة ، وقد أرسلوا لى (ميكروفيلم) عن المخطوطة ، وهى تقع فى مائتيـن وثمان وثلاثـين ورقة من الحجـــم الصغير ، فى كل صفحة اثنا عشر سطرا ، وقد ضمن كثيرا من القصائـــد والمقطوعات زيادة عن بقية النسخ ، وقد اشرت الى ذلك فى مكانه بقولـى (انفردت نسخة الاصل بذكره) .

كتبت هذه النسخة فى سنة ثلاث وخمسين وستمائة للهجرة أى بعـــد وفاة الزمخشرى بمائة وخمس عشرة سنة ، وقد نقلها الناسخ عن خــــط الزمخشرى نفسه ، حيث يقول الناسخ فى نهاية القصيدة رقم (٣٠٨) مانصـــه :

آخر ماأثبته الامام البارع العلامة جار الله فخر خوارزم فى ديـــوان منظومة بخط يده . ووقع الفراغ على يدى العبد الفقير الى رحمة ربــــه محمد بن محمد بن الحسن الصفارى فى سلخ جمادى الآخرة من سنـــة ( ) غفر الله لمن نظر فيـــه .

ومن ناحية الخط ، فقد كتبت بخط واضح .

وأثبت فيما يلى ماوجدته على اللوحات الاولى من شريط التصور : فقــد كتب على اللوحة الاولى (START) اى البداية . وكتب على الثانيـة (LANDBERG 705)

كما كتب على الثالثة : ديوان الزمخشرى (كلام غير واضح) .

LANDBERG 705 (كلام غير واضح)

أما الرابعـــة فكتب عليها : عام (   )

سنة ٥٣٨ .

ووفاة جار الله الزمخشري سنة ٥٣٨ هـ ، ووفاة الشريف الامـــــام

أبي الحسن بن وهاس الذي (   ) سنة ٥٥٧ هـ .

وعلى الخامســـة : (   )

(   ) كتب بمده (٠٠٠٠) مرجمي .

(   ) في راحتك وحمرة في أضلمـي .

بسم اللــه الرحمن الرحـــيم

(   ) من كتب السيد الاجل السيد محفوظ بن صالـح

(   ) اتصل اليه بالشراء الصحيح والثمن المستوفى ، فليلملم

ذلك .

كتبـه محمـد بـن عبد الرحمـن مصوك .

واللوحتان السادسة والسابعة : فاغتان :

وكتب على اللوحة الثامنـة :

الحمـد للـه .

العلامة جار الله رضى الله عنه وارضاه ، قد رتب ديوان المنظـــوم

على ترتيب بحور الدائرة المعروفة في الشعر ، وصدر في كل بحر ماكـــان

ولي بالتقديم والتصدير من مدح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ،

أو مدح الشريف الامام الفاضل ابى الحسن ابن وهاس الحسني الفاطمـــي

الرائدي عليه وعلى آله السلام

فأولهـــا :

المقول على بحر الطويل ، ثم المقول على بحر المديد ، ولم يكن عليه الا قصيدة

وعظيـــة ومقطوعة ، ثم المـقول على بحر البسيط ، ثم المقول على بحر الوافـر ،

ثم المقول على بحر الكامل ، ثم المقول على بحر الرجز ، ثم المقول على بحر الرمل ، ثم المقول على بحر السريع ، ثم المقول على بحر المنسرح ، ثم المقول على بحر الخفيف ، ثم المقول على بحر المضارع ، ولم يكن عليه الا أربعة أبيات ، ثم المقول على بحر المجتث ، ولم يكن على المحدث الا قصيدة ، ثم المقول على بحر المتقارب ، فالمقول عليها فى الديوان ثلاثة عشر بحرا ، وبحور الشعر ستة عشر بحرا ، وثلاثة لم يقل عليهما وهى الهزج والمقتضب و (   ) والله الهادى .

وكتب على التاسعة : من فضل الله على فقيره أحمد حسن بركات وفقه الله . من فضل الله على عبده داود عباس السالمى تاريخ صفر ١٢٩٣ .

اللوحة العاشرة : فراغ .

وعلى الحادية عشرة : لا اله الا الله العزيز الرحيم .

أودعت فى هذا الكتاب شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعلى هذه الصفحة كلام كثير ، ولكن المصور وضع ورقة بيضاء مكتوب عليها : كتاب ديوان الشيخ الامام

العلامة أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى .

رحمه الله تعالى .

فطمست هذه الورقة اللوحة ومعظم ماكتب عليها ، كما يظهر فى الصورة المرفقة صورة رقم (١) .

ثم تبدأ المخطوطة بمقدمة نثرية مسجوعة ، وقد كتبها الناسخ بفقرات بينها نجوم ، والصفحتان الاولى والثانية من المخطوط محاطتان باطار من

الزخرف يشبه زخرفة المصاحف الشريفة لسورة الفاتحة وأول سورة البقرة ، وأول هذه المقدمة النثرية قوله :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله الفقير اليه محمود بن عمر الزمخشري رحمة الله عليه : ابدأ بحمد الله على هدايته لأقوم السبل ، واثنى بالصلاة والسلام على خاتم الانبياء والرسل ...

ثم أثبت الناسخ الشعر مرتبا على بحور الشعر كما مر ، وفى كثير من الصفحات كتب بعض التعليقات فى الهوامش بخط يغاير خط الناسخ ، وهو خط ردئ وغير واضح ، ومكتوب فى جميع الاتجاهات ، ولم أتمكن من قراءة شئ منه ، فهو لصغره لم يظهر على القارئة واضحا .

وفى نهاية قصيدة رقم ٣١١ والتى مطلعها :

الى الله أشكوك ياساق حـر   قدحت بنوحك فى ساق حر

وآخر بيت فيها :

صلى الله عليه والتقى   مع الشرف القائم المستمر

وكتب بعده : " هذا آخر الديوان المنسوب الى الشيخ الامام الاجل العلامة رئيس الافاضل استاذ الدنيا شيخ العرب والعجم فخر خوارزم أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى برد الله مضجعه وطيب فى الجنات مهجعه .

كتب يوم السبت

سنة (   )

ثلاثة وخمسون (   ) .

(ومن بداية القصيدة ٣١٠ اختلف الخط ، وكتبت القصائد الثلاث ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ بخط يغاير خط الناسخ) .

ومع أن العبارة السابقة تدل على أن الديوان قد انتهى الا انــه كتب بعدها ، وقال أيضا ، وذكر القصيدة رقم ٣١٢ .

وبعدها كتبت قصيدة للشيخ اسماعيل بن محمد بن أبى بكر المقـرى رحمه الله تعالى مستعطفا بها السيد الشريف سلطان الحجاز المنيـف بدر الدنيا والدين الحسن بن عجلان تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنتــه بعد ان وقع بينهما حروب طالت .

وآخر لوحة فى شريط التصوير كتب عليها :

ديوان الزمخشرى :

لبعض علماء الغرب المتقدمين :

لاتلده على الوقوف بدار اصلها (　　)

جعلوا الى هداهم سبيل عم شهدوا (　　)

الحمد لله والصلاة والسلام (　　)

طالعه داعيا لسيده بدوام العزة والسيادة

نزيــل مكــة المشرفـــة .

وقد وضع هذا التنبيه فى أسفل كل صفحة فى المخطوطة :

FROM YALE UNIVERSITY LIBRARY.
NEW HAVEN CONNECTICOT U.S.A.
NOT TO BE PUBLISHED OF BEBRODUCED
PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION
OF THE YALE UNIVERSITY LIBRARY
NOW HAVEN CONNECTICOT.

أما بالنسبة للألف اللينة فقد كتبها الناسخ ألفا مقصورة فى معظـم المواضع ولم يتبع فى ذلك قاعدة معينة ، وكذلك الهمزة فقد لينت فى معظم الكلمات وكتب مكانها ياء ، والهمزة التى لم تلين فقد كتبها كمـا يحلو له دون أن يراعى فى كتابتها القواعد المتبعة اليوم .

ب) نسخة دار الكتب المصريـــة :

لقد اطلعت على هذه النسخة فى الدار ، وحصلت على شريط مصـور عنها من معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وقد كتبت فـــى القرن الثامن ظنا ، وهى تقع فى ١١٩ ورقة ، ٢٣٨ صفحة فى كـــل صفحة ٢٢ سطرا ، وهى بمقياس ١٧×٢٤ سم ، وهى مسجلة فى الـــدار تحت رقم ٥١٩ أدب ، وفى معهد المخطوطات رقم ٣١٢ .

خطها واضح وغير مشكول ، كما انها خالية من الحزم ، ولايوجـــــد شروحات عليها .

بدأت بالمقدمة المسجوعة نفسها ، ورتبت فيها الاشعار على حروف الهجاء .
كتـب فى نهايتها :

تم الديوان بحمد الله وتوفيقه والحمد لله على الكمال .
ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظـيم .

بلغ مقابلة مقابلـة
حسب الطاقـــة

وقد ارفقت صورة للصفحة الاولى وأخرى للصفحـة الاخيرة ، لاظهـــار الخط والبداية والنهايـة .

(٣) نسخة دار الكتب الظاهريـــة :

لقد ذهبت للمكتبة فى دمشق ، واطلعت على المخطوطة ، وأخـــذت صورة ورقية لها . وهى نسخة عادية حديثة مكتوبة بخط معتاد . وقولـــه : (وقال أيضا) وماشابه ذلك فى أول القصائد مكتوب بالحمرة ، وكذلـــك عبارة الختام .

كتبها محمود شكرى فى مدرسة حكيم حلبى فى اقسراى (تركية) سنة ١٣١١هـ . وتقع هذه المخطوطة فى ١٣٠ ورقة ، ٢٥٩ صفحـــة .

فى كل صفحة ٢١ سطرا ، ومساحة الورقة ٢٢،٥ سم × ١٧،٥ سم .
ورقمها فى المكتبة الظاهرية ٤١٦٣ .

وهذه بعض الملاحظات عليها :

(١) انها مليئة بالاخطاء والتصحيفات والتحريفات .

(٢) لقد رتب الشعر فيها على حروف المعجم .

(٣) يوجد على ثلثها الاول مقارنات مع نسخة أخرى ، ولم يذكر المقارن بأى نسخة عارضها .

(٤) أضيف اليها عدد من الاوراق تختلف فى نوعها وحجمها وشكلها وخطها عن أوراق المخطوطة ، وقد كتب على الورقة الاولى والتى تقع قبل بداية المخطوطة ترجمة للزمخشرى من كتاب نزهة الالباء فى طبقات الأدباء(١) .

أما الورقتان الواقعتان بين الصفحتين الثانية والثالثة من صفحات المخطوط فقد كتب على الاولى فقرة من المقدمة وتحتها شرح المفردات الصعبة فيها . وأما الثانية فقد كتب عليها شرح تابع لما قبله .

وورقتان بين الصفحتين ٤٠ ، ٤١ ، فقد كتب عليهما من الداخل فقط ، موجود فيهما شرح للكلمات .

كتب على غلاف هذه المخطوطة :

هذا الترتيب ماوجدنا من ديوان العلامة امام المفسرين فخر خوارزم مولانا جار الله زمخشرى ، واسمه محمود بن عمر رحمه الله تعالى .

---

(١) وقد ذكر فى ذيل هذه الصفحة ان الترجمة أخذت من طبقات الألباء .

رايت مكتوب(١) على نسخة هذا الديوان ولا أدرى قائلــه :

قف على ديوان محمود الــذى   حمدت ألفاظه بــين الــورى

غص على مافيه من معنى تجــد   زاخرا فى العلم يبــدى دررا

المشترى

٤١٦٣

وقد بدأت المخطوطة بالمقدمة السجعيــة :

بسم اللــه الرحمن الرحــيم

قال عبد الله الفقير اليه محمود بن عمر الزمخشرى رحمة الله عليه ، ابدأ بحمد الله على هدايته لاقوم السبل ، واثنى بالصلاة على خاتــم الانبياء والرسل ، فان الحمد مضمار لحمد الله فيه قدمة المجلى والصلاة على مصطفاه محمد قدوة المصلى ......

أما خاتمتها :

وقال أيضا

أبا الوفا ابنك مابالــــــه   ليس له منك التفات اليــه

ضيعته والحر تضييعــــــه   للولد الصالح عار عليـــه

والحمد لله رب العالــين .

تمــت .

كتبــه الفقير الحقير بالعجز والتقصير متراب اقدام الفضلا محمــــود شكرى فى مدرسة حكيم حلبى فى(٢) اقسراى سنة احدى عشر وثلثمائـــة وألف من هجرة من له العز والسعادة والشرف . فى شهر صفر الخير .

وقد ارفقت صورة للصفحة الاولى واخرى للاخيرة من هذه المخطوطة لاظهار الخط وعبارتى البداية والختام .

---

(١) هذا الشكل للكلمة ماكتب على غلاف النسخة وهو خطأ بين ، والصواب أن يكتب (رأيت مكتوبا) .

(٢) كتبت (در) وهى بمعنى فى . (٣) كتبت (هجرت) وهو خطأ .

(٤) نسخة رئيس الكتاب بتركيا :

لقد رتبت بنفس ترتيب نسختى المكتبة الظاهرية ودار الكتب المصرية وكتبت بخط نسخ واضح وفيه بعض الشكل وهى تقع فى ٢٠٩ ورقات من الحجم الصغير وفى كل صفحة اثنا عشر سطرا ، وتحمل رقم ٣٣٠ بالنسبة لمكتبة رئيس الكتاب ، أما الشريط المصور فى معهد المخطوطات فيحمل الرقم ٣١٣ ٠٠ قد أصابتها بعض الرطوبة وخاصة الجزء الاسفل منها والقريب من الحرف ، ضاعت معظم النقط ، أو انها لم توضع أصلا ، لذلك اهملتها فى المقارنة .

رموز مخطوطة الاصل والمخطوطات المعتمدة للمقارنة فى التحقيق والمهملة :

الرقم المتسلسل	مكان المخطوطة	الرقم	تاريخ النسخ	الرمز
١	جامعة بيل / امريكا	٧٠٥	القرن السابع / ٦٥٣ هـ	الاصل
٢	دار الكتب المصرية	٥١٩	القرن الثامن	د
٣	المكتبة الظاهرية/دمشق	٤١٦٣	القرن الرابع عشر	ظ
٤	رئيس الكتاب/ تركيا	٣٣٠	القرن الثامن	ر

ولقد اعتمدت نسخة (جامعة ييل بأمريكا) اصلا فى التحقيق ، وذلك لعدة أسباب :

أ ـ انها أقرب النسخ الى وفاة الشاعر ، فقد نسخت بعد وفاته بمائة وخمس عشرة سنة ، بالاضافة الى ان الناسخ قد نقع عن خط الزمخشرى

ب ـ خطها واضح ، قليل التصحيف والتحريف .

جـ ـ رتبت الاشعار فيها على حسب البحور ، كما رتبها صاحب الديوان اصلا ، أما فى بقية النسخ فقد رتبت الاشعار على حسب حرف الروى .

ولقد سرت فى تحقيقى على النهج التالى :

(١) أثبت ماورد فى نسخة الاصل على انه متن لمادة التحقيق واضعا الكلام غير الواضح أو الفراغ بين معقوفتين (   ) .

(٢) جعلت نسخة دار الكتب المصرية ، ونسخة المكتبة الظاهرية للمقارنة، وعارضت النص بهما ، أما النسخة الاخيرة وهى نسخة مكتبة رئيس الكتاب ، فقد أهملتها لكثرة التصحيف فيها ، لانها شبه منقوطة فقد سقطت معظم نقطها أو طمست مع الزمن أو لم توضح اصلا .

(٣) اشرت الى اختلاف الروايات ، واثبت الفروق بينهما فى الهامش الاول .

(٤) ضبطت النص الشعرى بالشكل فى المواضع التى تحتاج الى ضبط .

(٥) شرحت مايحتاج الى شرح من الالفاظ فى الهامش الثانى معتمدا على اللسان فى أغلب الاحيان ، بالاضافة الى معجم (أساس البلاغة) من أجل الاستعمالات المجازية ، ولانه للشاعر ، فالاحرى أن نعرف مقصود كلامه من معجمه ، وفى بعض الحالات كنت استعين بالقاموس لعبارته المختصرة فى اعطاء المعنى بخلاف اللسان لـولا نقصه عـن اللسان بحوالى عشرين ألف أصل تقريبا .

(٦) شرحت أسماء المواضع التى يحفل بها الديوان ، وقد اعتمدت معجم البلدان لياقوت ولسان العرب .

(٧) ترجمت للاعلام الواردة فى الديوان مع ذكر مصادر ترجمتها .

(٨) قومت التصحيفات والتحريفات التى أصابت أصل الديوان ، كما أشرت اليها فى النسختين المعتمدتين للمقارنة ، وعللت لذلك التحريف والتصحيف ما استطعت لذلك سبيلا .

(٩) حاولت تقويم وزن ما اختل من أبيات الديوان .

(١٠) اشرت فى الهامش الى ما اقتبسه الشاعر أو أشار اليه من آيات قرآنية أو أحاديث أو أمثال أو قصص .

(١١) رقمت القصائد والمقطوعات والنتف والابيات المفردة جميعا .

(١٢) خرجت الاشعار المنسوبة للزمخشرى من كتب الادب والتراجم وغيرها وقد جعلت ذلك فى ملحقين :

الملحق الاول : سجلت فيه الاشعار الموجودة فى الكتب التى ترجمت للزمخشرى وفى نفس الوقت موجودة فى الديوان .

والملحق الثانى : جعلته للاشعار الموجودة فى الكتب السابقة الذكر ولا أصل لها فى الديوان .

(١٣) زودت الديوان بملحق ثالث ذكرت فيه رقم القصيدة وبحرها ومطلعها وعدد أبياتها والغرض الذى قيلت فيه .

(١٤) زودت الديوان بفهارس مختلفة :

١ ـ فهرس الآيات القرآنية .

٢ ـ فهرس الاحاديث .

٣ ـ فهرس الامثال .

٤ ـ فهرس الاعلام .

٥ ـ فهرس الايام والحروب والغزوات .

٦ ـ فهرس القبائل والاقوام . ٧ ـ فهرس الاماكن .

٨ ـ فهرس القوافى مرتبة على حروف المعجم .

وذلك بحمد [illegible] عذب الموارد فرات

[illegible] المحدث والمحدث اصابه منه [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] وهذا [illegible]

صدوق اللسان [illegible] القطا [illegible] صر

لنا [illegible] صفحاه [illegible]

على [illegible] المرد [illegible] بكر [illegible]

[illegible] بغرة [illegible] المسكي بنقط الدرى [illegible]

هنيالة علمه والتقى مع الشرف القائم

هذا آخر الديوان المنسوب الى الشيخ [illegible]

الاجل العلامة [illegible] فاضل [illegible]

شيخ العرب والعجم فخر خوارزم ابي القاسم محمود بن [illegible]

الزمخشري برد الله وطيب الجنان مضجعه

كتبه [illegible]

احدى صفحات نسخة الاصل تبين عبارة الختام ـ

... انا ... ضرب القدر ...

... نطقي وبطعن ... اصاب الا ...

... نطقت اني انا مخل الحروب ...

الامام البارع العلامة

جار الله فخر خوارزم ...

منظوم ... بخط ... ووقع

الفراغ على يدي العبد الفقير الى

رحمة ربه محمد بن محمد ... الحسن الصفار ...

... في سلخ جمادى الاخرة من سنة ...

احدى صفحات نسخة الاصل تبين ان الناسخ أخذ عن

خط الزمخشري .

تواصوا بحفظ للمعالي من العدى — وقتل بأسياف الموالي الأعاديا
أما ركبوا الفتّ جراً فرضيتهم — على شارق اليوم الجهير واديا
أناس نصيب الخير والشر عندهم — ويومهما فيما أرادوا تماديا
هم العروة الوثقى بحامل مترع — ولا ابن خياف يطرق الحي هاديا
إذا حاجة حلت بهم وكلوا بها — أنامل سبطات تثني الأياديا
أباد جزيلات بواد عوائد — عوائدها العظمى تثني البواديا
وما سلكت طرق المعالي قبيلة — تطلب الأمن أولئك باديا
فأصبح لماك الله بأنمل مترف — لقتل هجان من أولئك غاديا

وقال [illegible]

أبا الوفا ابنك ما بالك — ليس له سنك التفات اليه
ضيعة والحر تضيعه — للولد الصالح عائد عليه

والحمد لله رب العالمين

تمت

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله الفقير إليه محمود بن عمر الزمخشري رحمة الله عليه
أبدأ بحمد الله على هدايته لأقوم السبل وأثني بالصلاة على خاتم
الأنبياء والرسل فإن الذكر مضمار لحمد الله فيه قدمة المجلي والصلاة
على مصطفاه محمد قدوة المصلي واتخذها ذريعة إلى من لا أشيم
الإخايل جوده ولا أشيم الا خايل جوده ولا أقتدح الأزناد
فضله التي لا تصلد ولا أصطب الأمن مزاد كرمه الذي لا ينفد
ولا أستجدي الأمن الافتقار إليه هو الأغنى والأمن الملق بين يديه
هو الخطر الأسنى وإياه أستل تحت سجوف الظلام وإليه أجأر في
ساعات النيام أن يقمصني شعار التوبة النصوح ويمنحني بطيب
الجسد والروح حتى إذا توفاني الملك بقبض الأرواح ألفاني
في ذنائي ثقة الستر والصلاح ولله عندي أيادٍ عمّ لا تعطو يد الشاكر
سموقها بل لا يستطيع باع الواصف لحوقها وما أجل الصنع فيه
... مكة مرضياً عهداً وموردا ولولا ابن وهاس وسائغ فضله
... وما شكري ذلك بإذا الشرفين
... بيت النبوة والرسالة ...

الموكل
لا تعطو

اليك بعثت العيس تحدو وراءها | عويلي ويكفيها عويلي حاديا
وان لسلمى في فؤادي قادحا | من الشوق لم تقصد عليه زناديا
اظل اناجي ذكرها وبذكرها | اذا جنّ ليلي ارفع الصوت شاديا
ولم انسها كالبدر بين اهلة | من الخفرات البيض تمشي تهاديا
فوددت منها ناظر العين لحظة | تشتى على احواض صد اصداديا
ايا وادي الايان الحمام خبرت | عن الحي ان ثم الركائب غاديا
تخذ عبرة كاللؤلؤ السرد رصعت | بها روعت الترتيل متن تماديا
كان لم يكن في خيتك لعامر | اذا كر ونادى فديتك ناديا
مراجيح وزن الحلم ايسار شتوة | ملبون بالنصر الصريح المناديا
اناخوا على احياء بكر تقحما | وزادوا عليها عزة وتناديا
تواصوا بحفظ بحفظ الموالي من العدى | وقتل باسياف الموالي الاعاديا
اذا ركبوا لفت حوافر خيلهم | على شرق شارق اليوم البصير الدواديا
اناس يتعيب الخير تحت الظهر عندهم | ويوما هاجيا ارادوا حصاديا
هم العروة الوثقى لما مل مغرم | ولابن فؤاد يطرق الحمى حاديا
اذا حاجة حلت بهم وكلوا بها | انامل سبطات تثني الايادیا
ايادٍ جزيلات بواد عوائد | تحوز اندها العظمى تثني البواديا
وما سلكت طرق المعالي قبيلة | فتطلب الا من اولئك هاديا
فاصبح لك الله بانسل معرق | لنسل هجان من لولاك فاديا

وقال ايضا

ابا الوفاء ابنك ما باله | ليس له منك التفات اليه
ضيعته والمرء تضييعه | للولد الصالح عار عليه

تم الديوان بحمد الله وتوفيقه والحمد لله على الكمال

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

بلغ مقابلة [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله المتبرئ اليه محمود بن عمر الزمخشري رحمة الله عليه الا احمد الله
على هدايته لاقوم السبل واثني بالصلاة على خاتم الانبياء والرسل فات الذكر
مضاد لحمد الله فيه قدمه الجلي والصلاة على مصطفاه محمد قدوح المصلي
واتخذهما ذريعتي الى من لا اشيم الا مخائل جوده ولا استمطر الا في حائل جوده
ولا امتح الا بزناد فضله التي لا تصلد ولا استطب الا من مراد كرمه
الذي لا يصرد ولا استعدي الا من الافقر اليه هو الاغنى والا من الملتق بين يديه
هو المطر الاسنى وايا ما اسال تحت سجوف الظلام واليه اجار في ساعات
النيام ان يمنحني شعار التوبة النصوح وينفع لي بطيب الجسد والروح
حتى [illegible] فى للملك الموكل بقبض الارواح الفاني في ذنابى [illegible] الستر
[illegible] ولله عند [illegible] لا تقطع [illegible] الشاكر [illegible] بل لا يستطيع
[illegible] وما احل [illegible] انا مغني بمكة مرضيا مرادا وموردا
ولولا ابن وهاس [illegible] وعيشه [illegible] استقبت [illegible]

ب — ماوجد في مصادر الادب من شعر لم يسجل في ديوانه :

لقد أنتشرت بعض أشعار الزمخشري في كتب الادب والتراجم ، وقد قمت بمقارنة هذه الاشعار بما وجدته من مخطوطات الديوان فوجدتها تقسم الى قسمين ، الاول موجود في المصادر وفي المخطوطات ، وقد جمعته في ملحق خاص به ، وأطلقت عليه (ملحق التخريج) ، والقسم الثاني اشعار نسبت الى الزمخشري وغير موجودة في ديوانه ، وقد خصصت لها الملحق الثاني ، ورتبتها فيه على حسب حروف الهجاء ، وذكرت المصادر التي أوردتها مفصلة .

ولكني أسجل هنا احصاء لهذه الاشعار لأبين قلتها الى ديوانه الكبير ، فبينما يبلغ شعر الديوان مايقرب من ٥٢٠٠ بيت ، نجد أن هذه الاشعار ٥٤ بيتا ، اي بنسبة ١/١٠٠ تقريبا .

وهذا جدول يبين المصادر التي أوردت هذه الاشعار مع عدد المقطوعات والابيات في كل مصدر :

	المصدر	عدد المقطوعات	عدد الابيات
١	أزهار الرياض	١٠	٢٦
٢	أنباه الرواه	٢	٦
٣	الانساب	١	٢
٤	شذرات الذهب	١	٣
٥	الكشاف	١	٣
٦	كنوز الاجداد	٢	١٠
٧	مرآة الجنان	٢	٥
٨	معجم الأدباء	٣	٧
٩	مفتاح السعادة	١	٢
١٠	النجوم الزاهرة	١	٢
١١	وفيات الأعيان	٢	٥

وقد تكررت بعض المقطوعات في أكثر من مصدر كما يبين ذلك الملحق الثاني في التحقيق والذى عنوانه : (مانسب اليه وليس في ديوانه) .

((الفصل الثاني))

موضوعات شعره

١ - المديح .

٢ - الرثاء .

٣ - الحنين الى مكة .

٤ - الغزل .

٥ - الفخر .

٦ - الشكوى .

٧ - الحكمة .

٨ - الهجاء .

المديـــح :

لقد شغل المديح معظم ديوان الزمخشرى فهناك أكثر من ثلاثـة الاف بيت فى المديح ، فمدحيات شاعرنا قد استغرقت أكثر ديوانــه ، وان هذه المدحيات قد هيأت له أسباب الاتصال بأصناف من عليـة القوم وكبرائهم على مختلف مراتبهم ومشاربهم ، فقد مدح معظم السلاطـين فى عصره وكتابهم ووزراءهم ، وخاصة نظام الملك وأبناءه ، كما مدح استاذه الضبى وبعض أصدقائه ومعارفه ومن لهم الفضل عليه ، هذا بالاضافة الـى مدائحه فى رسول الله صلى اللـه عليه وسلم فقد نظم الزمخشرى فيه أربـع قصائد سار فيها على نظام القصيدة العربية القديمة من حيث ابتدائها بالمقدمـة الطللية ثم الغزلية ، وبعد ذلك الدخول الى الموضوع .

ونترك هنا الكلام عن المقدمة وعن بناء القصيدة المدحية عنـــده لان لهذا الموضوع مكانا خاصا فى هذه الدراسة ، وننتقل الى الكـــلام عن مدحه للرسول عليه السلام ، فهو يتحدث عن تحمله أعباء الرسالـــة السماوية ، وعن هدايته بواسطتها للبشرية ، وعن مقاومة قريش له ، ثـم انتصاره عليهم يوم فتح مكة ، وعن معاملته الطيبـة لهم يوم الفتح ، ثـم انتشار الدعوة الاسلامية فى الامصار ، وقد ركز على دور هذه الرسالـــة فى هداية الناس واخراجهم من الظلمات الى النور ، ولم ينس دور الصحابـة رضوان الله عليهم ووقوفهم من خلف الرسول يشدون ازره ويدافعـــون عن دين الله بأرواحهم وأنفسهم .

ولن نتعرض بالتمثيل لكل هذا ، بل هناك سمة بارزة طبعت قصائده فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى مدح الرسول عليه الســـلام والرسالة ودورها ثم الانتقال الى مدح الصحابة ، ويختتم القصيدة بطلـــب الشفاعة لنفسه .

يقول فى مدحته التى يعارض بها قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد)

والحق فالحق ماجاء الرسول به ... سيف على هام أهل الشرك مسلول
والفضل فضل نبى من بنى مضر ... اليه أفضل خلق الله مفضول
محمد ان تصف أدنى خصائصه ... فيالها قصة فى شرحها طول
أبو المباك وعبد الله بينهما ... له مصاص من الانساب منخول
تالله مالاقه صلب ولا رحم ... الا على الطهر والانجاب مجبول
هو الذى ان يخالج فى نبوته ... ريب فما القول بالتوحيد مقبول
هو الذى وعد الرحمن ناصره ... نصرا عزيزا ووعد الله مفعول (١)

ويقول فى الصحابة رضوان الله عليهم :

حفته اشباع صدق كالليوث بهم ... دم الذين اشتضاموا الدين مطلول
اذا جرى ذكرهم رف القلوب له ... كما يرف الخزامى وهو مطلول (٢)

ثم يطلب من الرسول عليه الصلاة والسلام الشفاعة :

ياخاتم الرسل أن الطول منك على ... راجى الشفاعة يوم الحشر مأمول
فهل يصيب فتى لاحبل ذمته ... واه ولاعقده فى الصدق محلول (٣)

وفى قصيدة اخرى يظهر دور الرسالة ، ودور الصحابة رضوان الله عليهم فهو بعد مقدمته التقليدية يمدح الرسول بقوله :

أبو القاسم ابن الانبياء محمد ... رسول الهدى الهادى لاسد المسالك
فأسعد اهل الأرض تابع خطوه ... ومن زاغ عنه هالك فى الهوالك
الى الثقلين المصطفى كان مرسلا ... من المتعالى جده المتبارك
ولما اتاهم بالحنيفية التى ... هى الصبح جلى كل اسود حالك
آتاهم بآيات الكتاب فأصبحت ... بوازغ فى الآفاق غير دوالك (٤)

---

(١) الديوان : ١٣/٩٩ـ١٩ . (٢) الديوان : ٢٤/٩٩ ، ٢٥ .
(٣) الديوان : ٢٦/٩٩ ، ٢٧ (٤) الديوان : ١٧/١ـ٢١ .

وأما عن دور الصحابة فى مساندة الرسول فيقول :

وماكان الا البدر وتحتف حولـــه ... صحابة صدق كالنجوم السوابـــك

هم كشفوا عن وجهه كرب العدى ... كفاحا وخاضوا دونه فى المعـــارك

وقاموا بضرب للطلى متتابـــع ... وذادوا بطعن فى الكلى متدارك

الى ان دجا الاسلام وامتد ظله ... وعض على ابهامة كـل آفـك (١)

وفى نهايتها أيضا يعود الى طلب الشفاعة من الرسول عليه الصلاة والسلام :

اليك رسول الله جهزت مدحتى ... وانك اسمى كل باق وهالـــك

الا ان أدنى رشحة من نداك لم ... يقايس اليها بحر جود البرامـك

وانى لفى اسخى الجوائز طامـع ... فلا تك فى وادى تخيب تـــارك

وجائزتى فاعطف على شفاعـــة ... تنجنى الى رضوان من يد مالـك (٢)

أما اذا نظرنا فيما مدح به الزمخشرى علية القوم وجدنا مادة واحـدة كان يستعيرها لاضفائها على أكثر من ممدوح ، مراعاة فروق المنصـب وتقلب الاحوال ، فكل ممدوحيه اتصفوا بالشجاعة وبلغوا من الجود غايتـه وكلهم سامى الهمة ، ثابت الرأى .

وأبرز المعانى التى ترددت فى مدائحه ، المعانى السائرة الـتى تناولها الشعراء عادة من شجاعة وكرم ورفعة نسب ورجاحة رأى من أربـاب السيف والقلم ، ومما طرقـه بكثرة ماكان يشيد فيه بنسب الممدوح ان كـان ذا نسب كالذى صنعه مع ابن وهاس شريف مكة أو يشيد بمجده التليـد ، ان كان من أربابه مثل مامدح نظام الملك وأبناءه الذين ورثوا الملــك والمجد .

---

(١) نفس القصيدة من ٣٢ـ٣٦ (٢) نفس القصيدة من ٣٨ـ٤١ .

ففى مدحه لفخر الملك بن نظام الملك وصفه بأن الدولة قد زكت رائحتها بوزارته ، فكأن المسك قد فتق فى جنباتها ، وقد تطاولت عزة ورفعة حتى أصبحت أعلى من المشترى فى ارتفاعها ، وأن مجده ليس وليد الساعة بل قد توارثه ابا عن جد مثل تتابع الدر فى السلك الذى ينتظمه فيقول :

ولا شىء فى الدنيا يورث مفخرا ... سوى خدمة يرضى بها فخر ملكها
به الدولة المتمال طابت كأنما ... هى المسكة الذفراء ديفت بسكها
وطالت له عنق الوزارة نخوة ... وصار مناط المشترى تحت سمكها
مقاليدها ألقت اليه نفوسها ... فقد احرزت يمناه خالص ملكها
هى الارث من آباء صدق تتابعوا ... تتابع در فى مناظم سلكها (١)

ثم ينتقل الى فضل هؤلاء الوزراء على آل سلجوق ، فيذكر أن ملوك بنى سلجوق لن يستطيعوا القيام بملكهم بدون هؤلاء الوزراء ، فهم استقرت الامور وعم السلام وأن ملة الاسلام رجعت سليمة وان الكفار لم يستطيعوا الفرار منهم ، ويشبه انقاذهم للناس من براثن الكفار بانقاذ أصحاب نوح بالفلك :

هم الوزراء الصيد لولا اتساعهم ... لملك بنى سلجوق ضاقت بملكها
بهم نامت الدنيا وماتت شذاتها ... وقرت على التأييد دولة تركها
واعطتهم الامصار باليد عنوة ... ولو عندت ضاقت مرارة حلكها
فلو لم تطعمهم بملبك بأرضها ... لما سلم التركيب فى بملبكها
بهم ملة الاسلام أضحت سليمة ... ولم ينج من اشراكهم اهل شركها
لقد أنقذ الله العباد بملكهم ... كما انقذت أصحاب نوح بفلكها (٢)

---

(١) الديوان ٢/١٨ ١ـ١٦ ٠
(٢) نفس القصيدة من ١٧ـ٢٢ ٠

وبعد هذا يبين أهمية أقدامهم في ضبط أمور الوزارة والدولة فهي في قيمتها تفوق السيوف القاطعة ، وهي تحقن دماء من يوالونها بسفك دماء من يعادونها :

وأقلامهم فوق السيوف بكتبها ... تنسيك آثار السيوف بيتكها

تروح وتغدو للموالي والمعدى ... سواعي في حقن الدماء وسفكها (١)

أما بالنسبة لمدائحه في ابن وهاس فهي كثر ، وقد أطلق عليها اسم الوهاسيات ، وسبب كثرة هذه المدائح ، ان ابن وهاس شريف مكة قد عرف قدر الزمخشري في العلم فأجله وبجله ، ولقى الزمخشري عنده من الحفاوة مالم يلقه في بلد آخر أو عند حاكم آخر ، فأثر ذلك في نفسه فجاءت مدحياته فيه صادقة العبارة تنم عن عاطفة صادقة لولا بعض المبالغات التي صدرت عن الزمخشري في كثير من مدائحه فيه .

وهو يمدحه في أغلب الاحيان بناحيتين الاولى ، نسبه العريق في بني هاشم ـ لكون رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فيقول :

ولا كابن وهاس فتى ضنم يرده ... حساما وضرغاما وأخضر مزبدا

فتى هو حال بالمعالي بأسرها ... وقد حليت منه المعالي بأوحدا

نجيب نمته من ذواية هاشم ... نقيات اعراق اطابته مولدا

ولو شاء لم يعتد محتد هاشم ... نصابا كفاه بالنبوة محتدا

ومن يك ابنا للرسول وصنوه ... وزهرائه لم يأل فخرا وسوددا (٢)

أما الناحية الثانية التي يمدحه بها ، هي اخلاقه وصفاته الحميدة وعلمه الواسع ، فيقول :

---

(١) نفس القصيدة ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) الديوان ٥/١١ـ١٦ .

اذا قال قولا فالغفارى لهجـــة ولكنه يوم الندا طلحة يـــدا

ولم تتزيد قط فى قيله وان تذوكر أقوال الهداة تزيــدا

وتقرأ من سيماه فى قسماتـــه شهادة حق انه سهط أحمـــدا

وما العسل الماذى ممزوجة بـــه مشعشعة صهباء من راح صرخـدا

الذ مساغا من سجاحة خلقـــه اذا ضج ذو الخلق الشحيح وعربدا (١)

ثم ينتقل الى تبيان فضل ابن وهاس عليه :

وما أجل الصنع فيه اناخـــتى بمكة مرضيا مرادا ومـــوردا

لولا ابن وهاس وسابغ فضلـــه رعيت هشيما واستقيت مصــردا

ولى منه نصح الجيب والعقدة التى ابت ان يرى الراؤون اوثق معقدا

وان آته يوما بشأنى زبـــرة غدا فكسانيها لبوسا مســردا

ومن لف مجدى نفسه ونصابـــه وذاك ابن وهاس فقد بلغ المدى (٢)

والملاحظ فى ديوان شاعرنا ان هناك بعض الظواهر طبعت مدحياتـــه نذكرها فيما يلى :

أ ـ لقد ادخل الشاعر فى مدائحه عنصر المبالغة فهو يضفى على ممدوحيه جملة من الصفات والاعمال المبالغ فيها ليستدر عطفهـم .

ففى احدى قصائده التى يمدح بها صدر الملك يقول :

اراد عساميا من الفخر فاحتـوى عليه ، ولم يقنعه فخر عظامـــه

اذا ماد رارى الكواكب ابصـــرت مواكبه من خلفـــه وامامـــه

تمنت وما يغنى التمنى لو أنهـــا له خدم فى سيره ومقامـــه

ولو يستطيع النمش نضل تقـرب لاصبح تحجيلا لطرف غلامـــه

ولو تقدر الجوزاء كانت نجومهـــا مركبة فى سرجـه ولجامـــه (٣)

---

(١) نفس القصيدة من ١٧ـ٢٣ .
(٢) نفس القصيدة من ٢٨ـ٣٢ .
(٣) الديوان ١٧

والمبالغة فى هذه الابيات واضحة لاتحتاج الى تعليق .

وفى مدحته للسلطان سنجر يقول :

سماه كل الناس كعبة سؤدد ... اهل الحوائج منهم حجاجهـا
وكأنما السلطان سنجر كعبة ... للملك منتجب الملوك رتاجهـا
ركب السياسة وهى أصعب مركب ... فتطامنت لركوبه انتاجهـا
الفته دونهم فما الجامهـا ... الا على يده ولا اسراجهـا
لو انه ركب النجوم لما نبـت ... افراد ها عنه ولا أزواجهـا
لو ان عدلك شبته بمياههـا ... لارتد كالعذب الفرات اجاجهـا (١)

والمبالغة هنا واضحة أيضا حتى انه ليغرق فيها فى مثل قوله :

لو انه ركب النجوم لما نبـت ... افراد ها عنه ولا أزواجهـا

أو فى مثل قولـه :

لو ان عدلك شبته بمياههـا ... لارتد كالعذب الفرات أجاجهـا

فمن هو الذى تتطامن له النجوم جميعها حتى يركبها واذا مـزن عدله بمياه البحار المالحة لاصبح ماؤها عذبا فراتا .

ب — التكسب بالشعـر :

ان المبالغات السابقة ومثيلاتها كان يقدم عليها الشاعر كما قلنـا ليستدر عطف الممدوح فيغدق عليه العطاء والتكسب بالشعر يغرى الشاعر بأن يمدح الناس بما ليس فيهم لينال عطاءهم ، ولم يكتف الزمخشرى بذلـك لادرار العطف ، بل لقد صرح فى كثير من مدائحه بطلب العطاء والنوال ، فهو يقول لنظام الملك فى احدى مدائحـه :

---

(١) الديوان ٢٠٩/ ١٠ — ٣٢ .

وماحق مثلى ان يكون مضيعا ... وقد عظمت عند الوزير وسائلى
واعظمها انى نسيب نصابه ... اذا عرضت انساب هذى القبائل
فلا ترض ياصدر الكفاة بأن ترى ... اعالى قوم الحقوا بأسافل
فكل امرئ آماله عدد الحصى ... وهات نظيرى فى جميع المحافل
وكم قلت ألقى فى وزارتك المنى ... وادرك وحدى ما ارتجى كل آمل
ولم أدر ان الارذلين يرون ما ... تمنوا وانى لست أحظى بطائل
فوقع الى هذا الزمان فانه ... غلامك يجعلنى كبعض الاراذل (١)

ويقول لعبد الله :

وأبذل لاهل الفضل منك مودة ... فابن الفضائل لانبهن ودود
ومتى بذلت لهم ود اذا فليكن ... متخصصا بزيادة محسود (٢)

فهو حتى لايقبل ان يكون عطاؤه مثل غيره ، بل يريد زيادة .

ويستحث عبيد الله على العطاء بقوله :

وقائل هذا الشعر فعلك انما ... يقول فصيح الشعر فعل الممدح
وتنضم اكمال الثناء فان تصب ... ندا من سماء المرتجى تتفتح
فدونك طوقا فاخرا قد نظمته ... يجزل من المعنى ولفظ منقح (٣)

وبنفس الطريقة يمدح هبة الله ويحثه على العطاء :

اوحشتنى بمطال طال مدته ... وكان يمكن بالتعجيل ايناسى
انطق لسانى باحسان اقوم به ... خطيب شكر فقد طولت اخراسى
ان رمت سيفا على الاعداء منصلتا ... فرش نبالى وصل بالعرف امراسى
تجد لسانى عليهم صارما ذكرا ... كأنه سيف عباس بن مرداس
أرميهم بالقوافى النافذات كما ... ترمى الرماة بنبل غير انكاس

---

(١) الديوان : ٢٥/١٤–٢٣ .
(٢) الديوان :
(٣) الديوان : ٣١/٣٣–٣٥ .

أولى بمثلك ترشيحى وتربيتى ... لو قست ذلك من عقل بمقياس
(من يفعل الخير لايعدم جوازيه ... لايذهب العرف بين الله والناس) (١)

جـ ـ اعتزازه بشعره وادلاله به : لقد اعتز الزمخشرى بشعره كثيرا ، يقول فى قصيدة يمدح بها فخر المعالى :

واليك ذات متانة وسلاسة ... كالعين خالط ماءها احجارها
عمرت ماعمرت قصائدى التى ... هى فيك فهى طويلة اعمارها (٢)

ويقول من قصيدة يمدح بها الوزير شمس الدين :

نطق الورى خرز الاماء ومنطقى ... مكنون در أصطفيهن ثمين (٣)

وهو يجعل من شعره لباس زينة للممدوح ، فيقول لمؤيد الملك :

البس رعاك الله وشى قصيدة ... قد فوقته روية من مفلق
ادنى فضائله القريض وشوطه ... فيه كأشواط العتاق السبق (٤)

ويقول من قصيدة فى مدح نظام :

وطارت الى أقصى البلاد مدائحى ... وسارت مسير النيرات رسائلى (٥)

ونرى مما سبق ان للمديح عند الزمخشرى اكثر من اتجاه ، فهو يمدح الرسول عليه الصلاة والسلام والرسالة والصحابة رضوان الله عليهم نتيجة للشعور الدينى عنده ، ولكنه يقف حائرا أمام صفات هذا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، ولايستطيع أن يوفيه حقه من المديح فيعبر عن ذلك بقوله :

ومن فى كتاب الله أكمل مدحه ... فكل مديح ماخلا ذاك باطل

وأما الاتجاه الثانى فهو مدحه للحكام والامراء والوزراء ، وكان فيه متزلفا ، يطلق عليهم من الصفات ماليس فيهم لينال عطاياهم ، وأما الاتجاه

---

(١) الديوان ١١٩/١٧ـ٢٣ . (٢) الديوان : ١٧٧/٣٣ ، ٣٤ .
(٣) الديوان ١٧٥/٢٨ . (٤) الديوان ١٦٩/٣٦ ، ٣٧ .
(٥) الديوان ٢٥/٧ .

الثالث فهو مدحه لاستاذه الضبي ولابن وهاس شريف مكة ، وهــــذا الاتجاه في مدائحه ، كان الزمخشري فيه صادقا معبرا عما في نفسه لفضل هذين الشخصين عليه .

والملاحظ أن هناك بعض الظواهر طبعت مدحياته مثل المبالغــة والتكسب بالشعر ، والفخر بشعره .

الرثـــاء :

يعد الرثاء الغرض الثاني من حيث الكثرة في ديوان الزمخشــــري ، فهناك أحدى وعشرون قصيدة وتسع مقطوعات في الرثاء ، تعداد أبياتهـــا خمسة وسبعون وخمسمائة بيت . ويعد الرثاء من أكثر اغراض الشعـــر انسانية ، لأنه يصدر عن احساس الشاعر ومشاركته الوجدانية لأبنــــاء جنسه دون أن يحدوه لذلك رهبة أو طمع ، فهو ينبع عن المحبـــة والاخلاص والوفاء ، من الجانب الانساني في نفس الشاعر بعيدا عن كل مؤثرات الحياة الاخرى ومطامعها ، لذلك نجد الشاعر يرثي أقرب الناس اليه وأحبهم الى نفسه ، أو يرثي من لهم عليه يد في حياته من حيث تربيتهم له أو صداقتهم أو معروفهم عليه .

الرثاء نوع من المديح

واذا نظرنا في ديوان الزمخشري نجد ان نفسه قد تأثرت بفقد مـــن يحيطون به ، فهو يرى أن يد القدر تمتد الى هؤلاء الناس واحـــدا بعد الآخر ، فهي تحرمه من أبيه وأمه وخاليه ، ثم استاذه الذي رعاه بعلمه وماله ، ولاتكتفي بذلك بل تمتد الى أصدقائه والى الوزراء الذيــن أحاطوه ببعض الرعاية ، فيجد من الوفاء لكل هؤلاء أن يرثيهم بأبيـــات من شعره ليخلد ذكراهم الطيبة في نفسه وليزرف عليهم الدمـــع .

وهذا وذاك أقل مايقدمه الانسان الى من لهم فضل عليه وفاء لهم وتقديـــرا لجهودهم .

وأول طيطالعنا من رثاء الزمخشرى ، رثاؤه لوالده ، الذى رباه ورعاه فى صغره ، فهو يرثيه بقصيدة تعداد أبياتها ستة وثلاثون بيتا ، يقدم لها بمقدمة عن الموت وانه يحل بجميع الناس الشجاع منهم والجبان ولايمكن دفعه بأية وسيلة :

هل للذى أخذ الايام مرتجع ... ام هل لمرعى رعاه الدهر فتجع
شريعة الموت ورد ماله صدر ... والناس فى حسو انفاس الورى شرع
لايدفع الموت رعديد ولابطل ... لابد منه اكاس الناس او شجعوا
لو كان يدفع أنجى عنه مهجته ... فى قلة لاترام الا عصم الصدع
أو طائر فى قدامى ريشه طرف ... محلق فى سكاك الجو مرتفع (١)

ولو أن باستطاعته لفدى والده بنفسه وماله ، أو على الاقل لشاركه فى تجرع كأس الردى .

ولو قدت نفس حى مثلها لقدت ... نفسى ـ ابى البر ـ والمال الذى اسع
أو كنت نازعته كأسا تجرعها ... ولا كجرعة مسقى الردى جرع (٢)

ويذكر رعاية والده له ، وصفاته الخلقية ، وانه كان ورعا تقيا عالما ، وانه كان يصوم النهار ويقوم الليل من خشية الله ، ولو أنه فقير فهو عالى المروءة ، ولاينسى ان يذكر بعض صفاته الجسمية فهو لايزال شابا يزينه بلج حاجبيه وبعض الشيب فى حافتى رأسه :

فقدت نصحا واشبالا ورفرفة ... من منعم كان يرعانى ويصطنع
فقدته فاضلا فاضت مآثره ... العلم والأدب المأثور والورع
صام النهار وقام الليل وهو شج ... من خشية الله كأبى اللون ممتقع
من المروءة فى عليا متسع ... صدرا وان لم يكن فى المال متسع

---

(١) الديوان : ١٢٤/١ـ٥ .
(٢) الديوان : ١٢٤/٦،٦ ٧ .

قريب عهد يوحظ الشيب عارضه ... اثر الشباب ووحف الليل متبع

يزينه بلج فى حاجبيه كما ... يزينه فى حفافى رأسه نزع

اى امرء فوق مقرور القرى رفعوا ... واى حزم وحلم فى الثرى وضعوا (١)

ويختتم مرثيته بتجسيم المصاب الجلل الذى حل به وانه لن يستطيع الصبر عليه ، وان عينه لن تكتحل بالنوم ، والذى زاده حسرة وأسى انه فقد والده وهو بعيد عنه ، ولم يرو هذا الوالد غلته من ولده ، ولم يرو الولد كذلك غلته من أبيه ، وانه لن ينتفع من العيش بشىء بعد هذه الخسارة :

لو حل ماحل بى مافادح جلل ... بركن طود لكان الطود يتضع

باتت على كبدى نار مضرمة ... على فؤادى والاحشاء تطلع

ولا مجال لداعى الصبر فى خلدى ... وقد تبسط فى أرجائه الجزع

وان مما قرانى حسرة وأسى ... وضافنى الكرب من جراه والوجع

ان عاقنى شحط دار عن تفقده ... حتى قضى وهو من ذكراى ملتذع

ياحسرتى اننى لم أرو غلته ... وغلتى بزمان فيه نجتمع

أأرتجى بعده بالعيش منتفعا ... وكيف لى بعده بالعيش منتفع

قد كنت اطمع فى أشياء أدركها ... فاليوم لم يبق لى فى بعضها طمع (٢)

ونجد له فى رثاء امه قصيدة ومقطوعة ، أما المقطوعة فهو يبين فيها ان أمه كانت أهم شىء عنده ، وهو لا يأسف على احد بعدها ، فروحه وأرواح جميع أفراد العشيرة هينة بعد فقد أمه ، ولو أن حوادث الدهر تفدى بالنفس أو بالمال لفداها بكليهما حتى تبتعد عن أمه وتتركها تنعم بحياتها :

ياحادثات الدهر أمى بعدما ... أدركت أمى بالردى من شئت

روحى وأرواح العشيرة بعدها ... حلل عذرتك ايهن غشيت

---

(١) نفس القصيدة . (٢) نفس القصيدة .

تالله لو أحسست ادنى خشيتى يوم استقل نعشها لخشيت
لو كان يرشى حادث بالنفس أو بالمال أو بكليهما لرشيت (١)

أما القصيدة فهى رثاء جديد فى بابه يخفف عن النفس أحزانها ، فقد طار بالزمخشرى خياله الى ماوراء الحياة الدنيا ليتسمع الى نداء أمه ، فهو يتصورها فى الجنة وأنها تناجيه من هناك وتطلب منه أن يخفف من حزنه بل يبتعد عنه وعن مظاهره ، لانها تنعم فى الجنة بين ظلالها الوارفة ومن كانت هذه حالتها فلا يجوز ان يحزن عليها وهى تخبره بأن لها كرامة عند الله حتى انه استجاب لدعائها بأن يرضى عن ولدها .

والقصيدة جميعها بلسان والدته ، فهى تناديه فى مطلع القصيدة وتصف حزنه العميق عليها وانه تجاوز الحد فى حزنه :

أأبا الوفا وفيت أى وفاء وقضيت فوق شرائط الانباء
ولبثت شهرا كاملا مستعبرا قرح المآقى خافق الأحشاء
ايها فقد حققت فى جميع ما يحكون فى صخر عن الخنساء
وتعز عنى واسل سلوة صابر وتخط قولك لات حين عزاء (٢)

ثم تأخذ والدته فى وصف حالتها فى الجنة والنعيم الذى تسرح فيه صباح مساء وانها فى غاية السعادة والسرور :

ابنى انى فى الجنان مقيمة اختال بين ظليلة الافياء
حر الجحيم رضا الرحيم اعاذنى منه وأنزلنى مع الصلحاء
حفت خيام الحور حولى قبتى فيزرن عرصتها صباح مساء (٣)

وبعد أن تنتهى من وصف حالتها لكى تطمئنه على نفسها ، تطلب منه أن يترك الأحزان وان يخلع ثوب الحداد ، وأن يلبس الثياب الزاهية :

---

(١) الديوان : ١٩٣/١ــ٤ . (٢) الديوان ١٩٤/١ــ٤ .
(٣) نفس القصيدة .

من كان فى دار السلام حلولـــه   انى يرى فى الضيق والظلمـــاء
فاستبدلن بترحة فرحـــا ولا   تؤثر على ضحك طويل بكـــاء
ودع الثياب السود وادع بغيرهـــا   بالحلة الحمـــراء والصفـــراء (١)

وتختتم القصيدة باخباره انها قد دعت الله ان يرضى عنه وقد استجاب الله دعاءها :

واعلم بأنى قد دعوت اللــــه أن   تمطى رضاه فاستجاب دعائـــى (٢)

وهذا أسلوب جديد فى الرثاء فبدل أن يتكلم الشاعر عن لوعته وحزنـــه ثم يعدد صفات المرثى فى الدنيا يجرى الكلام على لسان المتوفى لكـــى يتحدث عن لوعـــة الشاعر ، ثم يخبر بأنه يقيم فى الجنة لكى يخفف حـــزن المحزونـــين بفقده .

واما بالنسبة لبقية أفراد أسرته فلم نجد له رثاء خاصا فيهم ، الا مـــا كان من رثائه لخاله بقصيده بدأها بمقدمة فى الحكمة ثم عدد مـــن تخطفهـــم الردى من أفراد أسرته ، فيقول عن يد المنون :

اودت بجدى وما أبقت أخي وطوت   عمى وصادت بأسباب الردى خالى (٣)

وقد تخطفت يد المنون بالاضافة الى ماذكر من أقربائه الكثير من رجـــال الحـــى حتى ان الزمخشرى يصف نفسه وحيدا فى ذلك الحى لذهـــاب أهله وأصدقائه . وفى نهاية القصيدة يرثى خاله بأربعة أبيات لا يتطـــرق فيها الى صفات خاله بل هى رثاء عام يصلح ان يرثى به كل ميـــت ، فمهجة خاله بعيدة عن ضوء الشمس ولاترى الاسحار ولا الآصال وقد سكـــن فى حفرة مظلمة بدون أهل ولا مال ، ولم يشاركه فيها الاثلاثة أثواب جديدة ثم يدعو للقبر بالسقيـــا على عادة الشعراء من قبله :

(١) نفس القصيـــدة .   (٢) نفس القصيدة .

(٣) الديوان : ١٢٥ .

تباعدت عن ضياء الشمس مهجته ... وفاتها روح أسحار وآصـــال

وحل فى حفرة غبراء مظلمـة ... فردا وحيدا بلا أهل ولا مـال

الا ثلاثة أثـــواب جديـــدة ... ورب ذى جدة شر من البـال

سقيا لقبر توارت فيه أعظمــه ... بكل ذى هيدب بالويل هطـال (١)

ولانحس فى هذه القصيدة بالعاطفة الجياشة التى أحسسنا بها فـى مرثيته لوالده وفى مرثيته لوالدته .

وبعد أن عرضنا لرثائه لأفراد أسرته نريد ان ننتقل الى لون آخـر من رثائه ، وهو رثاؤه أستاذه الضبى الذى رعاه بعلمه وماله ، فقد رثاه بقصيدتـين ومقطوعتين ، أما القصيدة الاولى فتقع فى ستة وأربعـين بيتا (٢) ، والثانية فى واحد وستين بيتا (٣) ، أما المقطوعتان فكل منهما فـى بيتـين (٤) .

ولولا خوف الاطالة لعرضنا كل ماقاله فى أستاذه فهو يكشف عـن عاطفة صادقة نحو هذا الاستاذ ، فقد اضفى على استاذه كل الصفات المستحبة ، ثم أظهر مدى لوعته وحزنه العميق على فقده ، وذكر كذلـك استفادته العلم والأدب منه ، وانه بالاضافة الى ذلك كان يرعاه بماله وهذه المراثى خير ماعند الزمخشرى من رثاء .

أما القصيدة الاولى (٥) فقد بدأها بمقدمة غزلية ولكنه ابتدأها بالبكـاء على فراق الاحباب ، وهذا من براعة الاستهلال :

سلام عليكم ادمعى قلما ترقـى ... اذا شمت من تلقاء ارضكم برقا

ومن عجب انى اذا لاح بـارق ... بأرضكم استمطرت اجفانى الودقا

---

(١) الديوان : ٣٧ .
(٢) الديوان : ٣٧ .
(٣) الديوان : ٤٠ .
(٤) الديوان : ٤١ ، ٤٢ .
(٥) الديوان : ٣٧ .

كما انه كان بارعا فى تخلصه من هذه المقدمة ودخوله الى غرضه الاصلى :

ولهفى على عصر تقضى مناسب سجايا فريد الدهر أو وجهه الطلق

هو المرتضى وجها وخلقا واننى لاشتاق ذاك الوجه بل ذلك الخلق

وبعد ان يضفى على استاذه من الصفات الحميدة ما استطاع الى ذلك سبيلا ، يعرج على ذكر قبيلته وانه كان أفضلها فسلمت له القبيلة مجدها ، ويختتمها بذكر لوعته واساه على فقد هذا الاستاذ .

أما القصيدة الثانية فتقع فى واحد وستين بيتا (١) ، قدم لها بمقدمة فى الوعظ وضمنها بعض حكمه عن الحياة والموت ، وبعد مقدمته الرائعة والتى بلغت خمسة عشر بيتا ، انتقل الى الموضوع ببيت يدل على براعته فى الانتقال من غرض الى غرض ، وهو قوله :

مازال موت المرء يخرب داره وموت فريد العصر قد خرب المصرا

ثم يذكر الصفات التى تحلى بها فى حياته :

اغار اذا ماعرض البحر طاميا ولم ار الا ناضبا ذلك البحرا

ويسخن عينى ان ارى البدر طالعا وان الليالى غيبت ذلك البدرا

وتشخص بى زهر الكواكب غيرة اذا ذكرت نفسى مناقبه الزهرا

فان لاح لى بحر وبدر وكوكب تعاميت أو أوليته نظرا شزرا

وماكان حتى ان اشبهه بهـا فقد كان اعلا من ثلاثتها قدرا

ثم يبين مدى لوعته عليه ، فيقول :

وصك بمثل الصخر سمعى نعيه فشبهت بالخنساء اذ فقدت صخرا

ونهنهت عينى ان تضن بدرها على رجل مازال يمنحنى الدرا

وقلت لطبعى هات كل ذخيرة فمن أجله مازلت أدخر الذخرا

---

(١) الديوان ص ٤٠ .

وابرز كريمات القوافي وغرهـا فمنه استفدنا العلم والنظم والنثرا
مضى الحبر والبحر الذى نصب لـه على الفوص والتطواف شطا ولا قعرا

وبعد أن يبين لهفته على غياب لسان استاذه الذى كان يقول الحق ، ولهفته على غياب ألفاظه العذبة ومعانيه التى تسحر العالم الفطن ، وكان ذلك مقدمة لمدح آل ضبة قبيلة استاذه ، ويكرر هنا ماذكره فى قصيدته السابقة من ان استاذه كان اعلاهم كعبا وابسطهم يدا واقربهم خيرا وابعدهم ذكرا ، ثم يختتم القصيدة بالبكاء على استاذه مشركا معه الندى والعلم والحلم والحجا والهمة الكبرى :

لبيك الندى والعلم والحلم والحجا ابا مضر ولتبكه الهمة الكبرى
فهمته لو أن أكبر شاهق اضيف اليها خيل كالجمرة الصغرى
فمن لاصطناع الفاضلين ومن لهم اذا رهبوا نابا من الدهر أو ظفرا
بقوا ضيعا ان كرروا الطرف ليروا من الناس صدرا بعده يثلج الصدرا
فذاك فريد العصر حقا فلن ترى عيونهم من بعده مثله حرا

أما المقطوعتان فاحداهن كانت أكثر شعره شيوعا فى الكتب التى تعرضت لذكر الزمخشرى ، وهى تتألف من بيتين يظهر فيهما وفاؤه لاستاذه :

وقائله ماهذه الدرر التى تساقطها عيناك سمطين سمطين
فقلت هى الدرر اللواتى حشابها أو مضر اذنى تساقط من عينى (١)

والمقطوعة الثانية فى نفس المعنى أيضا (٢).

فالقارئ لمراثيه لامه وابيه واستاذه ، يحس بوجود العاطفة واضحة فى هذه المراثى ، مما يدل على أن الشاعر كان يحب هؤلاء الناس حقا وقد تأثر لموتهم ، واذا انتقلنا الى بقية المراثى نشعر بنضوب عاطفته ،

---

(١) الديوان : ٤١ .
(٢) الديوان : ٤٢ .

فهو رثاء تقليدى يقوم به الزمخشرى تجاه المتوفى ، وكأنه يؤدى واجبا ملقى على عاتقه ، ففى مراثيه للنساء لايجد القارئ اى حزن أو تأثر أو مشاركة وجدانية من الشاعر فى المصاب الذى حل بالمتوفاة ، بل ان رثاءه لها يتحول الى مدح زوجها ويطلب منه التأسى عنها والسلو بأبنائها ، ففى رثائه لزوجة شمس المعالى نراه يعمد الى المبالغة لنضوب عاطفته :

على تاج النساء الشمس تبكى   توافق صنوعها شمس المعالى
وتندبها الليالى لابسات   حدادا والنجوم مع الليالى (١)

وان الشاعر لايبالى بموتها أو موت غيرها من النساء اذا ماسلم الرجال :

لئن تاج النساء مضت وفاتت   فقد ابقت لنا تاج الرجال
وأرباب الحجار ان يسلموا لم   أبال بموت ربات الحجال (٢)

فأى رثاء فى هذه الابيات لهذه المرأة أو غيرها من بنات جنسها وهو يكرر هذا المعنى فى مرثية اخرى اذ يشبه الرجال بالسيوف والنساء بالاغماد ، فاذا سلم السيف فلا يخيف الانسان انقطاع الغمد :

اذا السيوف البواتك انغصمت   فلا ترعك الغمود تنبتك (٣)

وفى البيت الذى يليه يشبه الرجال بالحصن المعدة للدفاع وحماية القبيلة لذلك فان النساء فداء لهم :

والحصن المقربات يوم وغى   ويوم سبق فداؤها الرمك (٤)

فلا يرى القارئ فى هذه المراثى للنساء الا الاستهانة بقيمتهن وعدم الاسف على موتهن فمراثيه فى النساء عبارة عن دعوة للرجل الى الصبر والسلو فهو لم يفقد شيئا ذا قيمة .

---

(١) الديوان : ٢٢١/١٥٦ .   (٢) نفس القصيدة : ٣ ، ٤ .
(٣) الديوان : ١٥/٢٨٠ .   (٤) نفس القصيدة : ١٦ .

لم يفقد شيئا ذا قيمة .

وفى مرثيته الثانية فى زوجة شمس المعالى يطلب منه الصبر وعدم الجزع لانه من قوم أسود والاسد اذا ماتت له لبؤة لايبكى عليها ، ثم يطلب منه أن يسلوها ، وان يستغنى بأشبالها :

اصبر ولاتجزع فانت الذى　　فى كل خطب نفسه صابره
أنت رعاك الله من معشر　　كانوا ليوث الغيضة الخادرة
والليث ان ماتت له لبوة　　لم تجر من أجفانه بادره
واسل بأشبالك عنها فهم　　أغصان تلك الدوحة الناضره (١)

ونجده يكرر هذا المعنى فى مرثية أخرى فيقول :

مازلت يوم الوغى كليث شرى　　مصطبرا والرماح تشتبك
فاصبر على لبوة تصيدها　　قاهر له من صروفه شرك
واسل بأشبالها فسوف ترى　　ضراغما فى الهياج تشترك (٢)

ويختتم مرثيته فى زوجة شمس المعالى بقوله :

وخذ مقالا ان يزر مأتما　　فهو لعمرى عرس حاضرة
نادرة فى الشعر لكنها　　من فهم مثلى ليست بالنادرة

وحتى وهو فى هذا المقام ، مقام الحزن ، لم يتورع عن الافتخار بشعره ، وكأنه نسى أنه فى مأتم فوردت كلمة عرس على لسانه ، ولو كان عند الشاعر ادنى مشاركة وجدانية أو احساس بالتوجع على الفقيدة لما وردت هذه الكلمة على خاطره .

ولقد رأينا انصراف الزمخشرى عن الزوجة والولد ، وهو يركز على هذا المعنى فى مرثيته لاحد ابنى عبيد الله ، فهو يرى ان اسعد الناس هم الذين لم يلدوا ولم يحصروا الأرض الخربة ، فلم يعرفوا طعما للثكل ، ولم

---

(١) الديوان : ٢٦٤ / ٢٠ـ٢٣ .
(٢) الديوان : ٢٨٠ / ١٢ـ١٤ .

يتأثروا لانهيار البيوت ، ويختتم قصيدته بالدعوة الى الزهد :

وأسعد الناس ناس قط ماولدوا ولاغدوا لخراب الأرض عمارا

فلم يذوقوا بأولاد اذا انقرضوا ثكلا ولاراعهم بيت اذا انهارا

عن طيب الزاد والوشي النفيس رضوا بأن ينالوا بها قوتا وأطمارا

ما استعبدت شهوة الدنيا نفوسهم حتى طوتهم يمين الموت احرارا (١)

فهو بدل أن يتفجع على الطفل الصغير الذى اختطفته يد المنون ، ويظهر ألمه وحزنه على هذه الزهرة التى ذبلت ، نجده يبين أن أسعد الناس من يبتعد عن الولد .

اما مراثيه فى علية القوم فهى أيضا خلو من العاطفة ، لذلك نجده يعمد الى المبالغة ليغطى نضوب عاطفته ، فيفيض على المتوفى من المهابة مايجعل ظواهر الكون تتأثر لموته اذ يفتتح مرثيته لمجد الملك بقوله :

الشمس قد سدت مطالعها والشهب قد خفيت لوامعها

لفجيعة نسيت لشدتها فى كل ناحية فجائعها

ويقول فى مرثيته لابن سمعان :

ذابت صخور خراسان لحرقتها فالنار ساطعة من نحو منبعها

وزلزلت مرو عن ارسى قواعدها فأبصرت قلقا فى غير موضعها

وكل مرتضع للثدى مطرح وكل مرضعة ترمى بموضعها (٢)

فأى فرق بين موت هذا الامام ، وبين هول يوم القيامة !

ويقول فى مرثيته لمحمد بن ارسلان :

محمد بن ارسلان الذى رثيت معالم العلم والاسلام حين رثى

ماكنت الا جميع الناس منفردا فكيف حل جميع الناس فى جدث (٣)

---

(١) الديوان : ١٢٨/٢٩ـ٣٢ . (٢) الديوان : ١٢٣ .
(٣) الديوان : ١٣٤/٢٦١ .

ويقول فى مرثيتـه للشارعى :

توفى فالأرض المضيئـة اظلمـت ... كأن الضحى قطع من الليل غاسـق
وناح الحمام الورق شجوا وتحتها ... من الوجد جف الايك والايك وارق (١)

ويكرر هذا المعنى فى مرثيته لعبيد اللـه :

ولم يبق فوق الأرض غاد ورائـح ... سوى نائح حتى الحمام المطـوق
له فوق قضبان الاراك تنـاوح ... تكاد قضب الاراك تشقـق (٢)

وخير مافى مراثيه المقدمات التى قدم بها الى هذه المراثى ، فمعظمها فى الحكمة والموعظة ، وضمنها كثيرا من الابيات التى تزهد الناس فـى هذه الدنيا وتجعلهم يعملون للآخرة ، فقد كان يستغل موقف المـوت الرهيب والذى يؤثر فى نفوس الناس فيجعلها تتذكر الاخرة ، وأن الدنيـا فانية لاقيمة لها ، فيدخل لهم من هذا الباب ، فيقدم لهم حكمتـه وموعظته .

ونرى مما سبق أن للرثاء عند الزمخشرى اكثر من اتجاه ، فهو يرثـى أمه وأباه وأستاذه الضبى بشعر معبر عن عاطفة جياشة نابعة من حـزن عميق مؤثر فى نفس السامع ، أما الاتجاه الثانى فهو رثاؤه لعلية القـوم وهنا يظهر نضوب عاطفته ، فيلجأ الى المبالغة فى الاوصاف التقليديـة يلقيها على المتوفى ، وأما الاتجاه الثالث فهو رثاؤه للنساء والاطفـال ، وقد كان موقفه فى هذا غريبا فهو يستهين بموت النساء ولايرى فى ذلـك مايحزن ، وبالنسبة للأبناء فعلى الرجال أن يتجنبوا الزواج والانجاب حـتى لايصابوا بمثل هذا الثكل ، فهو فى هذا الاتجاه يبتعد عن المشاعـر الانسانية ويظهر مافى دخيلة نفسه من كره للنساء والأولاد .

---

(١) الديوان : ٣/٤٦ ، ٩ .
(٢) الديوان : ٣/٧٣ ، ٤ .

الحنين الى مكة

لقد مر معنا فى حياة الشاعر انه بعد ان عافاه الله من مرضه ، توجه الى العراق فى طلب العلم ، ثم واصل سيره الى مكه لمدة سنتين ، متفرغا للعبادة ، فاشبع الناحية الروحية عنده ، كما انه لقى من الحفاوه والتكريم من ابن وهاس ما لم يلقه فى بلدة اخرى ، فطابت نفسه وارتاح للاقامة فى البلد الحرام ، ولكن الشوق الى الوطن ظل يعاوده بين الحين والاخر ، ولقد طغى هذا الشوق على نفسه فانساه ما لاقاه فى ذلك الوطن من مر العيش ، فقرر السفر ، ولما تحركت به الركائب عائدا الى وطنه ، تدفق فى نفسه الحنين الى مكه ، البلدة التى وجد فيها راحة نفسه وطمئنينتها ، فأخذ يذرف الدمع مدرارا ، وكلما ابتعد عنها زاد شوقه وحنينه اليها ، واخذ ينفث انفاسه الحاره ، التى تصدر عن قلب يحترق شوقا وحنينا ، الى ان عاد الى مكه مرة ثانيه ليجاور بها جواره الثانى ، فى هذه الفترة قال الزمخشرى الكثير من الشعر يعبر به عن هذا الحنين وهذا الشوق ، وسوف نحاول ان نعرض لهذا الشعر بشئ من الايجاز .

اننا نستطيع ان نقسم شعر الزمخشرى فى الحنين الى مكة الى قسمين : الاول جاء على شكل مقدمات لمدائحه لابن وهاس شريف مكة الذى عرف قدر الزمخشرى فاكرمه واجلسه ، فهو اذا تذكر مكة يتذكر معها هذا الشريف ، والثانى جاء على شكل قصائد ومقطوعات كلها حنين الى مكة ، وسوف نعرض الافكار التى اوردها فى شعره هذا ، فالقارئ لهذه المقدمات او القصائد او المقطوعات يجد ان معانيها مكرره ، فهى تبين مدى شوق الزمخشرى

وحنينه الى مكه والى ايامه فيها ، فهو يقول ان قلبه يحترق بنار الشوق فتخرج انفاسه كلهيب النار ، وتنسكب دموعه فتحرق وجنتيه وتحمل فيهما انهارا ، نجد هذه الفكره فى كثير من المواضع ، وهذه امثله على ذلك .

يقول فى احدى مدائحه لابن وهاس :

فؤادى من الشوق المبرح ريان الى حرم الله المعظم ظمآن
يروح ويغدو ما تغب سواده تباريح ينهبن العزاء واشجان
اذا جال فيه هاجس من تذكرى بمكة طسم التظت فيه نيران (١)

ويقول فى موضع آخر :

ولى نفس شبه اللهيب تصعدت به زفرة كالنار ذاكية الجمر
يذيب مضامين الشؤون بحره فتجرى شآبيب الشؤون على نحرى (٢)

ويكرر ذلك فى مطلع قصيدة اخرى فيقول :

حرم الله لى اليك اشتياق دون ادناه تقبض الاماق
نفس واقد متى يتصاعد ينحدر دمعى المهراق
ما ذكرت السكنى بمكة الا قدحت فى فؤادى الاشواق (٣)

ثم يبين لنا ان هذا النفس الحار الذى صدر عن كبد يتحرق شوقا لن يهدأ الا اذا رأى مكة مرة ثانية :

---

(١) الديوان ١/٦ - ٣ .
(٢) الديوان ١/٩ ، ٢ .
(٣) الديوان ١/٨٢ - ٣ .

هو النفس الصعاد عن كبد حرى ... الى ان ارى ام القرى مرة اخرى (١)

وفى نفس هذه القصيدة يبين لنا بكاءه كلما مر بخياله طيف مكه ، وطلبه من قلبه السلو والصبر ، الا ان جواب هذا القلب انسكاب الدموع من العين :

اذا خطرت بالبال ذكرى اناختى ... على حرم الله استفزتنى الذكرى
اكابد ليلا كالليالى وحسرة ... ودمعا غزير المستقى غائر المجرى
وادعو الى السلوان قلبا جوابه ... لداعيه مهراق من المقلة العبرى (٢)

ويبين مدى حزنه وحنينه بتشبيهه نفسه بالمرأة الواله التى فقدت ابنها ، فهى طائرة الفؤاد لفقدها فلذة من فلذات كبدها ، فهى تكاد تجن من شدة الحزن ، فيقول فى مقدمة قصيدة يمدح بها ابن وهاس :

الا ابلغا ام القرى وقطينها ... تحية نفس ما تغب حنينها
تحن الى البطحاء حنة واله ... بنات الليالى اثكلتها قرينها (٣)

ويعود فيكرر هذا المعنى فى قصيدة اخرى :

يطير الى المعلاة لى قلب شيق ... ولكن جناح لا ينوء مهيض
اضج كما ضجت من الوجد واله ... على نحدها ماء الشؤوه يفيض
غزا مع ابناء المقارعه ابنها ... كميش بما لا يستطاع نهوض
اخو غزوات لم يزل فى غمارها ... يخوض على علاته ويخوض
كمى اصابته من الحرب عضة ... وما الحرب الا للكماة عضوض

---

(١) الديوان ١٠/١ .
(٢) الديوان ١٠/١ ـ ١٢ .
(٣) الديوان ١/٧ ، ٢ .

نحوه اليها فهي طائـــرة الحجـــا   لاضلاعها مما تجن نقيـــض (١)

وفى موضع آخر يشبه حنينه بحنين الناقه التى فقدت البكر :

بكاء على ايام مكة ان بـــــى   اليها حنين الناب فاقدة البكـر (٢)

لقـــد حزنت الخنســاء على اخيها صخر ـ عندمــا قتل ـ حزنا شـــديدا وبكت بـكاء مرا ، حتى اشتهر ذلك عنها واخذ يضرب به المثل ، ولا يفـــوت الزمخشـــرى ذلك ، فهو يشبه حزنه لفراق مكـة وبكاءه عليها ببكاء الخنســاء علـــى صخـــر :

تذكـــرت ايامى بهـــا فكأنـــنى   قد اختلفت زرق الاسنة فى صدرى

ابيت على الصخـــر المبارك باكيـــا   كما كانت الخنساء تبكى على صخر (٣)

ويخبرنا عن نفسه بأنه جار الله ، ولكن الذى ابعده عنها هو شـــوقه الى وطنه ، فلمـا قضى لبانة نفسه ، كر الى مكة ليواصل جواره ، ويشـــبه عودته اليها بعودة الاسدة الـــذى يعود الى غابه :

انا الجار جار الله مكـة مركـــزى   ومضرب اوتادى ومعقد اطنابـــى

وما كان الازورة نهضتنى البـــــى   بلاد بها اوطان رهطـى واحبابى

فلما قضت نفسى وللـــه درهـــا   لبانة دار زندهـا غير خيـــاب

كررت الى بطحاء مكـــة راجعـــا   كانى ابو شبلين كرالى الغـاب (٤)

---

(١) الديـوان ٣/٨ ـ ١٠ .
(٢) الديوان ٣/٩ .
(٣) الديوان ٤/٩ ، ٥ .
(٤) الديوان ١/١٣ ـ ٤ .

وما ذلك الا لان مكة اصبحت من بين سائر القرى – مسكنه ومكان اقامتـه ، وان البيت الحرام هو محرابه من بين جميع المحاريب :

فمن يلق فى بعض القريات رحلة   فام القرى ملقى رحالى ومنتابـى
ومن كان فى بعض المحاريب راكعا   فللكعبه البيت المحرم محرابـى (١)

وهو اثناء اقامته فى مكة لا يضيع وقته عبثا ، بل يقضى وقته جالسـا قرب باب الكعبة او عند المستجار ، ويسكب الدمع مدرارا على الحجر المبارك ، وهو فى عمله هذا يفضل نفسه على ملوك الارض فى لهوهم وتلعابهم ، لان هـذه الاعمال المباركه هى لهوه وتلعابه :

اذا التصقت فى آخر الليل لبـتى   بملتزم الابرار من ايمن البـاب
او التصقت بالمستجار او التقت   على الركن اجفانى بسح وتسكاب
فقل لملوك الارض يلهوا ويلعبوا   فذلك لهوى ما حييت وتلعابى (٢)

لذلك فهو يطلب من لياليه فى مكة ان تعـود ، واذا حدثته نفسـه بالسفره عنها مرة ثانية ، فلن يطيعها ، بل يدعو عليها بأن لا تـرزق اليسـر ولا تعطى البشـر :

ليالى فى بطحاء مكـة صافحى   يمينى تصب نفسى غنيمتها الكبرى
فان حدثتنى بعد باليسر معرقـا   فلا رزقت يسرا ولا لقيت بشرى (٣)

ثم يتساءل ما عذر الانسان الذى يلقى رحلة بمكة ويضمن له عيشه وملبسـه ثم يسافر عنها يطلب بلدا غيرها ؟ ثم يجيب على سؤاله بالقسم مرتـين

---

(١) الديوان ١٣/٥ ، ٦٥ .
(٢) الديوان ١٣/٧ – ٩ .
(٣) الديوان ١٠/٧ ، ٨ .

ان مثل هذا الانسان لا عذر له ، وقد قصد بذلك نفسه :

وما عذر مطروح بمكة رحلة ... على غير بؤس لا يجوع ولا يعرى
فسافر عنها يبتغى بدلا بها ... وربك لا عذرى وربك لا عذرى (١)

ونتيجة حتمية لهذا الشوق ان يعود الى مكة ، فيصمم على العودة السريعة ، فيتخذ راحلة له قدمى السليك بين السلكة ليقطع بهما المسافة بين بلاده ومكة فى أسرع وقت :

مكة نفسى اسفا عليك ... طائرها محلق حوليك
انى وان طال المدى اليك ... سالكه بقدمى سليك (٢)

مما اسلفنا يتبين لنا مدى حب الزمخشرى لمكة ، وكم كان مشتاقا الى الاقامة بها ، فتظهر الابيات السابقة عاطفته الجياشة الى هذا البلد الحرام والى الاماكن المقدسة فيه . والحنين الى البيت الحرام طبيعى فى نفس المؤمن ، تحقيقا لدعاء سيدنا ابراهيم عليه السلام : " ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك الحرام ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم ... " (ابراهيم — ٣٧) .

---

(١) الديوان ١٠/١٣ ، ١٤ .
(٢) الديوان ١/٢٤٠ ، ٢ .

استعرض بلا موجب أشعار لا جديد فيها ولا ابتكار ولا عاطفة حتى ص ١٢٧

الـغـــزل :

لقد رأينا فى دراستنا لحياة الزمخشرى انه كان عزهاة عن النســاء ، وانه ابتعد عن الزوجه والولد طوال حياته ، ومن كانت هذه سيرته فلا نطمع ان نجد له غزلا حقيقيا نابعا من القلب ، لانه لم يكتو بنار الحـــب ، ولم يتيمه الهـوى ، ومع كل هذا نجد له الابيات الكثيرة فى الغـــزل ، بل نجد له القصائد الكاملـه فيه ، فكيف يعلل هذا ؟

لقد احب شاعرنا العرب وعشق حياتهم الاولى ، حتى انـــه جاب الجزيرة العربية بأسرها ، وقد بانت علامات هذا العشق فى شعره الذى صور فيه تلك الحياة بكل ما يتعلق بها من الامـاكن والالفاظ المتداولة ومقتضـيات المعيشة ، فصرنا نجد فى غزله مستلزمات الحياة البدوية مـــن الترحل والفراق والتحمل وشيم البرق وقطع الفيافى والقفار ، ولقد كثر فـــى شعره ايضا ذكر اماكن بأعينهـــا مثل : وجرة والعقيق واللوى والعذيـــب وراكـــى ونعمان وحزوى ... كما انه تطرب بذكر اسماء نسائهـــــم وترديد هذه الاسماء فطالعتنا ، امامة وسعدى وسعاد وسلمى وسليمى ونوار..

وما اعتقد ان شاعرنا الذى افنى عمره فى طلب العلم والتصدى للتأليف والتدريس والعبادة ، ان يكون فى وقته متسع من الوقت لكى يحب هــــذا الرهط من النســاء ، وانما اورد هذه الاسماء على عادة شعراء العرب من الوقوف على الاطلال ومن مخاطبة الحبيبه ومناجاتها والشوق اليها ، ووصفهـــــا بأحب الصفات الى النفس كما وانه من العبث عن نبحث عن صواحب هـــذه الاسماء فهن عرائـــس الشعر ليس غير .

رجل عزهاة وعزهاء : عازف عن اللهو والنساء

وان شعر الغزل في ديوان الزمخشري يقسم الى نوعين : الاول عبارة عن مقدمات غزلية لقصائد المديح ، وقد بلغت هذه المقدمات خمسا وعشرين مقدمة ، وعدد ابياتها مائتان وثلاثة وثمانون بيتا ، اما النوع الثاني فهو عبارة عن مقطوعات وقصائد كلها في الغزل ، فله خمس قصائد عدد ابياتها ستة وسبعون بيتا ، وثلاث مقطوعات تمداد ابياتها سبعة وعشرين بيتا .

والناظر في هذين النوعين من الشعر ، يجده غزلا تقليديا لا حرارة فيه ولا عاطفة ، فهو في مقدماته وقصائده ومقطوعاته ، يقلد الشعراء السابقين في معانيهم وتشبيهاتهم ، وهذه بعض الامثله من تشبيهاته وصوره .

فهو في كثير من المواطن يشبه حبيبته بالغزال فيقول :

استغيث الله من ترك الظباء ... كل شر جاءني من هؤلاء (١)

ويقول في موضع آخر :

انصفوني من غزال يلاقي ... جوره مشتهر غير خفي (٢)

ويقول ايضا :

بلى رب ليل قد طرقت خباءها ... فبت تناغي بعض غزلان ابطح (٣)

وتارة اخرى يشبهها بالحمامة المطوقة :

ياقلب ذات الطوق ويحك رق لي ... ام انت اقسى من حجارة تدمر

---

(١) ٢٤١ / ١ الديوان .
(٢) ٢٤٢ / ١ الديوان .
(٣) الديوان ٣١ / ٤ .

واحيانا يشبهها بالروض ، فثغرها يشبه الاقحوان ، وخدها كالورد ، واذا ما هزت قدها فهو مثل البانة الرطبة اللينة .

اذا ما الروض عن رآوا ... مشابه فيه من سعدى
حكت بالثغر والخد الـ ... أقاحى منه والوردا
وتحكى بانة لدنا ... اذا ماهزت القدا (١)

وهو لا ينسى حالات المحبين وما يكون من احوالهم فى حلهم وترحالهم ولقاءاتهم ، فهو يذكر تصدى الحبيبة عن السير ولومها على الرحيل ووداعها لمن تحب بغزير دموعها ، فهى تتصدى له عند عزمه على السير وتلومه على تركه ديارها الى ديار اخرى ، واصفة ديارها بأجمل الصفات ، ملقية على غيرها من ديار ، الصفات المنفرة لنفسه محاولة بذلك ردعه ، كل هذا ودموعها قد خضلت خديها ، وشكواها لشدة حرارتها لو مررت بها على شجر الخابور ، فانه لن يورق حزنا عليها ، فيقول :

تصدت لنا تثنى ازقتنا سعدى ... غداة انتوينا عن مغانى اللوى بعدا
وأخضل خديها دموع تتابعت ... تتابع در خان لى سلكه المقددا
وجاءت بشكوى لو تمر ببعضها ... على شجر الخابور ما اورقت وجدا
وقالت اعن نجد وروحاته الى ... تهامة ، حييت من تارك نجدا
اعن ظل أيك وارف متفيىء ... الى حر بيداء يذيب الصفا الصلدا
اسار الى أرض القتاد فهاجر ... اليها المرار الطيب النشر والرندا (٢)

---

(١) الديوان ١٥٥ / ٦ — ٨ .
(٢) الديوان ٣٦ / ١ — ٧ .

وعلى عادته فى تكرير معانيه ، يعيد لنا هذا المشهد فى قصيدة اخرى ، عندما لاذت به حبيبته يوم عزم على الرحيل ، وقد جرت دموعها وتصاعدت انفاسها خوفا من تفرق الشمل ، ثم يصف محاولتها فى اقناعه بالبقاء ، فهى تغريه باللهو تحت الظلال فى ايلة كثيفة الاغصان لا تستطيع اشعة شمس الضحى اختراقها ، مع حبيبة مشرقة الوجه ، عذبة المراشف ، كأن ريقها خمرة معتقة ، وهى تقدم له كل هذه المغريات لتثنى عزمه عن الرحيل ، ولكنه ماض الى وجهته :

لاذت بحقوى يوم زم الاينق ... وجرت سوابق دمعها المترقرق
وتصاعدت انفاسها مذعورة ... من ان يراعى شملنا بتفرق
قالت وقد ملأ الفراق فؤادها ... وجدا فهم شغافه بشقق
هلا اقمت ضجيع لهو تنثنى ... نشوان تحت ظلال عيش غيدق
فى ايكة حجب التفاف غصونها ... شمس الاضحى ، فكأنها لم تشرق
وكأنما غاظ الحمائم نورها ... فمتى تضاحك ناح كل مطوق
غزل الاصيل مع الاحبة والضحى ... مع كل مغنوج رخيم المنطق
متألق الخدين يهتف وجهه ... بالشمس فى غنى فلا تتألق
عذب مراشفه كأن رضابه ... نطف الحيا ممزوجة بمروق (١)

وقد ذكر احوالا اخرى من مثل المغازلة وطرق الخباء والخلو بالحبيب والمضاجعه والتقبيل .

---

(١) الديوان ١٦٩ / ١ — ٩ .

ففى طرق الخباء والمضاجعة يقـــول :

بلى رب ليل قد طرقت خباءهـا   فبت تناجى بعض غزلان ابطـــح
وبات سدول الليل ترخى عليكما   وتحجب عين الكاشـح المتصفـح
فأقدح احشـاء الضجعين منكمـا   تفرى الدجى عن مثل جبهة اقــرح (١)

وفى الخلو بالحبيب وتقبيله يقـــول :

ياحبذا ليلـة خلوت بهــــا   تلثمنى تارة والثمهـــــــا
ما زلت سكران لا افاقة بـــى   منذ سلقانى عقــاره فمهــــا (٢)

وفى موضع آخر لا يرى العيش الا فى تقبيل فم الحبيب ويتمنى ان يبقـــى فمه على فم حبيبته دائما ، فذلك عن الطعام والشـراب :

وأبى مقبله اللذيـــذ جنـــاه   ما العيش الا ان اقبل فـــاه
ياليت فاه على فمى ابـــدا ولا   اسقى الشراب ولا الطعـام آراه (٣)

اما فى المغازلة فيقول :

ولم انس اذ غازلته قـــرب روض   الى جنب حـــوض فيه للماء منحدر (٤)

وهو لا ينسى من اطوار المحبين الفراق والوصل والبخل وخلف الوعد وظـــلم الحبيب ، ففى الفراق يقول :

يالهف نفسى ساعة الافـــتراق   تفرق الاحبـاب مـــر المـذاق
وليس ذا اول عهدى بـــــه   لى كل يوم منه كأس وهــــاق (٥)

---

(١) الـديوان ٣١/٢ ـ ٦ .
(٢) الـديوان ٢٢٧ / ١ ، ٢ .
(٣) الـديوان ٢١٦ / ١ ، ٢ .
(٤) الـديوان ٣٣ / ١٥ .
(٥) الـديوان ١/٢٥٨ ـ ٢ .

اما في الوصل فيقـول :

فسـقى الاله ليالي الوصل الـتي   وصلت بطيب اصائل اسـحارها
قد بتهـا في غفلة فكأنـني   ذو نشوة قد اثلته عقارهـا (١)

وكثيرا ما تحدث المحبون عن بخل الحبيبة وخلفها للوعد ، وعدوا ذلك من الاشياء التي تزيدهم شغفا وهياما بها ، فماذا يقول شاعرنا في هذا المجـال ؟

فهو يخبرنا في احدى قصائده ، ان سعاد تنسى المواثيق التي بينهما مع انه لا ينسى هذه المواثيق ، وان مواعيدها تشبه مواعيد عرقوب ، حتى ييأس الانسان من كثرة المطـل ، ومع ذلك فهو يحبها ويعشقها :

نساءة لمواثيقي سـعاد علـى   انى لميثاق سعدى لست بالناسي
تحكى مواعيد عرقوب مواعدهـا   حتى تمتع بعد المطل باليـاس (٢)
لكن على ذاك نهواها ونعشقها   وما على احد في العشق من باس

وفي موضع آخر يشبه خلف موعدها بالبرق الذي يلمع دون ان يكون معه مطر : (٣)

وعدت زيارتها وموعد مثلهـا   ايماض برق كاذب الـلالاء .

وعن بخلها يقـول :

وهيهات الـذي يرجـو   ك طالب حاجـة اكـدى (٤)
عقدت الكف بالتسـعيـ   ـن بعد ثلاثـة عقـدا

---

(١) الديوان ١٧٧/ ١٠ ، ١١ .
(٢) الديوان ١١٩ /٢ ، ٤ ، ٥ .
(٣) الديوان ١٨١ / ٦ .
(٤) الديوان ١٥٥ / ١٣ ـ ١٤ .

واكثر ما كان يؤلم العشاق وجود العذال والحراس الذين يحولون بين لقاء الاحبة وتمتعهم بحياتهم على منوال ما يتمنون ، وبالشكل الذي يرتضون ، فشاعرنا يطلب من عاذله ان يكف عن نصحه ، فان قلبه يزداد في صبابته كلما ازداد في نصحه هذا .

يا عاذلي اغنني من العذل ... رمت فراقي فزدت في شغلي
بقولك ازداد في صبابته ... قلبي فاسكت ولا تقل
اياك ان تكثر النصيحة لي ... فما اتباع النصيحه من عملي (١)

وعن وجود الحراس الذين يمنعونه من الوصول الى من يحب يقول :

هيهات دون مزارها ... شرف تناطح هامة الجوزاء
مرخى الحجاب مغلق الابواب لا ... يمشي حواليه سوى الرقباء
من كل اشقر ان طرقت رأيته ... يدنو اليك بمقلة زرقاء
متشزر يسمو اليك مهمها ... ويشير بالسكية العجراء
وعوت اليك كلابه ، وكلامه ... مستنكر ينسيك كل عواء (٢)

فهو يصور ان حبيبته في قصر عالي الشرف ، مغلقة الابواب ومرخية الستور ، ولا يسير حولها الا الحراس ، وقد صورهم في اقسى صوره فهم شقر وعيونهم زرقاء ويتكلمون لغة لا يفهمها ، وكل منهم يحمل عصاء سميكه ولا يكفيه هذا بل يصطحب معه كلبه ، وكل هذا ليبين لنا الصعوبات التي تحول بينه وبين هذا الحبيب .

---

(١) الديوان ٢٧١ / ١ – ٣ .
(٢) الديوان ١٨١ / ١ – ٥ .

وفى صورة اخرى يعمد الى المبالغة ليدلك على صعوبة الوصول الى هذا الحبيب ، الذى لا يستطيع احد الوصول اليه حتى الفكر نفسه لايمكنه ان يرقى الى مكانه :

ومن لى بسعدى ومن دونها ... فياف يقول المهارى سراها
ومن حولها رقباء لها ... يزوون اعينهم والحياها
عصابة سوء اطافوا بها ... فليس يطول خيال حراها
ممنعة من نبات الملوك ... تحمى الاسود الضوارى مماها
كعصماء تنزل فى قلة ... مكللة بغمام ذراها
اذا طلب الفكر ان يرتقى ... اليها تعاظمه مرتقاها (١)

وينتقل المحب فى هواه من درجة الى اخرى اشد من سابقتها ، ففى اول مراحله يكون اسيرا للهوى ، ثم الجنون من الحب ثم الهوى القاتل وقد يبين الزمخشرى هذه المراحل الثلاث فى شعره .

يوجى فداء رجال بعد اسرهم ... غيرى ، وهل الاسير الحب من فاد
هيهات ان اسير الحب ليس له ... فاد ، وما القتيل الحب من واد (٢)

وفى موضوع آخر يقول :

يفك اسراه اخوها وما ... ينفك اسراها بلا فك
يسفك بعض الدم لكنها ... عمت جميع الدم بالسفك (٣)

---

(١) الديوان ٢٩٨/ ١ ـ ٦ .
(٢) الديوان ١٠٨ / ١١ ، ١٢ .
(٣) الديوان ٢٦٣ / ٤ ، ٥ .

وليست بعيدة عن اذهاننا صورة مجنون بني عامر ، الذي كان يمزق شبابه ويعيش مع الوحوش ، وشاعرنا ينقلنا الى صورة مماثلة لها في قوله :

فاليوم آخرج صاغرا عن قشرتي ... واحط عن عطفي رداء تستري

واهيم في برية مستأنسا ... بالمشبهات لها الظباء النضر (١)

لقد درج الشعراء على تشبيهات مألوفة بالنسبة لاعضاء الحبيبة وهيئتها ورائحتها وصوتها ، وبعد التتبع لشعر الزمخشري وجدته لم يخرج في تشبيهاته عن المألوف المعتاد ، فالوجه كالبدر ، والجبين كضوء الشمس ، والخد كالورد الأحمر ، والعين والجيد من المهاة ، والمبسم كالاقاحي ، والريق خمرة ، والخصر نحيف ، والساعد والساق خدلتان ، والردف مثل كثيب الرمل ، والرائحة تفوق رائحة المسك ، والقامة هيفاء تحكي غصن البان .

وان كان لابد من الاستشهاد من شعر شاعرنا ، فقد أخذت اربع لوحات مما رسم شاعرنا لحبيبته ، وحاولت ان تكون هذه اللوحات شامله لكل التشبيهات السابقة ، ففي الصورة الاولى يتحدث عن سعدى التي مرت بوادي منبج فعطرته كأنما فتقت فيه اوعية المسك وان وجهها يضيء فوق ضوء الشمس ، وفي وشاحها عطش لنحافة خصرها مع ان ساعدها جزل يملأ سوارها ، فيقول :

---

(٢) الديوان ٢٠٦ / ١١ ، ١٢

سعدى المليحة أين عنك مزارها — شطت برغم الواقعين ديارها
مرت هوادجها بوادى فنيج — فأطاب وادى منهج آثارها
مرت عليه فعطرته كأنما — فتقت صوار المسك فيه صوارها
لو كان اقمار السماء وجوهها — لاضاء فوق شموسها اقمارها
من كل مشرقة الجبين كأنما — بالشمس طالعه يلاث قمارها
بوشاحها عطش لدقة خصرها — لكن يساعدها يغص سوارها
(١)
سفرت عشاء فالبسيطة اشرقت — حتى تساوى ليلها ونهارها

وفى الصورة الثانية نرى الخيزران وقد اصفر لونه حياء عندما انثنى متنا تلك الحبيبة ، ونرى كثيب الرمح كيف انثال عند رؤيته ارتجاج ردفاها وشقائق النعمان كيف اكتست باللون الاحمر خجلا عند رؤية خديها ، ويظهر وجه سعدى منير يفوق نور البدر ، وان رائحتها لتعبق فوق رائحة المسك ، ثم يعمد الى الاغراق فى المبالغة عندما يقول بأن خيالها اذا مر ببلدته فسوف تعبق برائحة العنبر على مر الزمان .

يصفر من فرط الحياء اذا انثنى — متناك خوط الخيزران الاخضر
وكذاك ينهال الكثيب تشورا — ان تنهصنى فارتج ما فى المئزر
لو ان عود الاقحوان بدت لـه — منك المضاحك لم يكن بمنـولا
وشقائق النعمان احسبها رأت — خديك تلك حمرة خجلة وتشور
ابصرت سعدى عند حط نقابها — فعلمت ان البدر ليس بنير
وشممت من ارد ان سعدى نفحة — فعلمت ان المسك ليس بأذخر

---

(١) الديوان ١٧٧/١ ـ ٧٠

لو جاز بلدتنا خيالك مــــرة　　لتضوعت ابــدا بريــح العنــبر (١)

وفي قصيدة اخرى يتعرض للحظ العين ويشبهـــه بالسيف الذى اذا رآه الغازى سقط سيفه من يده ، لانه راى منيته فى ذلك اللحظ فاستســـلم ، ثم يشبهها بالظبى فى هيفه وعينه وجيده ، الا انها خدلـة الساق ، وان الحاظها سيوف قواطع مسلولة ، وانها اذا ضحكت ، فان ضحكهـــــا يغمد هذه السيوف فى قلب المحب ،

له مهند لحـظ ما يجـــرده　　الا هوى من يد الغازى مهنده

رأى منيته فى سيف مقلتـــــه　　فما درى كيف خلت سيفه يـــده

وما تكلف صب عنـــده جلـــدا　　الا انثنى ضائعا عنه تجلــــده

ظبى من الانس خدل الساق x فى هيف فى العين والجيد ظبى الوحش يحسده

بعينه عينه الكحلاء هازئـــــة　　وجيده ساخرة منـــه مقلـــــده

يسل باللحظ سيفا باتكا فاذا　　اراد ضاحكا فان الضحك يغمـــده

لو انصفت دولة الحسن التى ظلمت　　لقام كل مـلاح الارض تعبـــــده (٢)

اما بالنسبة للريق فهو خمرة ، وعندما تسائله الحبيبة عن ارتشافه للســــلافه من فيها ، وهو رجل تقى ورع ، يخبرها بأن انفاسه الحارة التى تصـــدع عن كبده الجرى قد طبخت هذه السلافه فهى غير مسكرة :

وقد رشفت سحيرا خمر ريقتهــــا　　فافتر مبسمها عن ضوء مقبـــاس

قالت اتــرشف من ريقى سلافتـــه　　وانت ذو ورع عف عن الكـــاس

فقلت ويحك انى لست راشـفهـــا　　الا وقد طبختها نار انفاســـــى (٣)

---

(١) الديوان : ١٨٣ / ٣ - ١٠ .
(٢) الديوان : ١١٤ / ١ - ٩ .
(٣) الديوان : ١١٩ / ٨ - ١٠ .

وان اجود شعر قاله شاعرنا فى الغزل قصيدته التى يغازل فيها احدى الجوارى فى روضة بجانب غدير ماء ، ولما طلب منها ان تحضر له وردا ـ واراد بذلك ورد خدودها ـ فتطلب منه مهلة حتى تتمكن من حسب الورد الذى طلب ، فيخبرها بأن لا صبر عنده ، فتدرك مرماه ، وتقول له : لا يجود ورد حاضر سوى ورد الخدود ، فيقنع بالموجود ، وجودتها جاءت من كونها قصيدة واقعية وتجربة مر بها الشاعر ، فهى مع الوصيفه التركية التى اهديت اليه ، فهو يبدأ القصيدة فى تبيان عدم رغبته فى سعدى ، وهذا دليل آخر على ان سعدى حبيبته تقليدية ، وان العيون النجل لا تؤثر عليه ويقصد بذلك عيون الفتيان العربيات ، لان تعلقه بالعيون الضيقه وهى عيون الفتيات التركيات ، :

الا قل لسعدى ما لنا فيك من وطر　　　وما تطبينا النجل من اعين البقر

فان العيون الضيقات واهلها　　　بهم علقت منا الضمائر الفكر (١)

ثم يتطرق الى وصف صور الترك ، وبعدها يبدأ فى وصف حبيبته بالاوصاف التقليديه ، فلحظها فاتر ، واللحظ اقوى ما يكون عند فتوره ، ومع ان عيون هذه الحبيبة ضيقه ، الا ان جراحاتها واسعه فى قلب المحب فهى تقتله بجفنها الضعيف ، ومع ان ساقيها قصيران الا ان متبنها طويل ، لذلك جاءت قامتها متناسبه فلا هى بالطويله ولا بالقصيره ، ثم يتطرق الى الخصر والارداف ، فالخصر نحيب والردف كبير ، اما شعرها فهو يغطى جسمها اذا ما اسدلت ذوائبها :

---

(١) الديوان ٣٣ / ١ ، ٢ .

بنفسي قوي لحظة وهو فاتر كذا اللحظ اقوى ما يكون اذا فتر
تضايقت العينان منه وانه يوسع في القلب الجراح اذا نظر
ويقتل بالجفن الضعيف ولم أزل اعوذ بربي من ضعيف اذا قدر
تقاصر ساقاه ولكن متنه طويل فما في القد طول ولا قصر
وقد جمع الضدان فيه فردفه على غاية الاطناب ، والخصر مختصر
متى ما يتجرد من شعار وآرخيت غدائره ، يلبس شعارا من الشعر (١)

وبعد هذه الاوصاف يصل الى غرض ، وهو مغازلة هذا المحبوب في الروض ، ويصيغها على شكل محاورة فيقول :

ولم أنس اذ غازلته قرب روضة الى جنب حوض فيه للماء منحدر
وقلت له : جئني بورد وانما اردت به ورد الخدود وما شعر
فقال : انتظرني رجع طرف أجيء به فقلت له : هيهات مالي منتظر
فقال : فلا ورد سوى الخد حاضر فقلت له : اني قنعت بما حضر
ايا حبذا تقبيل فيه ورشفة وبرد ثناياه اذا برد السحر
و ياحبذا وقت اراني معانقا لقد كخوط الخيزران اذا خطر (٢)

فالقارئ لهذه الابيات يحس بنفس الشاعر منطلقة على سجيتها تعبر عما تحس به دون روابط او قيود ، فجاء شعره قريبا من النفس محبب اليها .

---

(١) الديوان ٣٣ / ٨ ـ ١٤ .
(٢) الديوان ٣٣ / ١٥ ـ ٢٠ .

الفخـر :

ان الفخر من اهم الاغراض الشعرية ومن اكثرها طروقا عند الشعراء . فالشاعر يفخر بآبائه وآجداده ويعدد مكارمهم . وهو يفخر بقبيلته وأمجادها وحروبها وثاراتها . ويفخر بقومه على سائر الاقوام .

ولكنا اذا بحثنا خلال ديوان شاعرنا . فلن نجد له من هذا الفخر شيئا . لأنه استمد اصالته في هذا الفن من مطامحه البعيدة ، وهمته العاليه . فهو يعتد بنفسه وبعلمه ويطمع فى ان يوصله هذا العلم الى ما يريد من جاه ومنصب . لذا فهو يفخر بعلو همته . فهى ـ فى نظره ـ اعلى من السماء السابعه . وان المكارم والعلا قد اصبحت جميعا خدما له :

خلق الطباق السبع عاليـة لكن علت من فوقهـا هممـى
خدم الرجال المكرمات وقـد غرت المكارم والعلا خدمـى (١)

وهو يرى ان آهل زمانه ما حسدوه ورمقوه بأعينهم الا لانه آداب منهم . ولانه بذهم فى جميع الفنون .

تراشقنى اهل الزمان بأعـين لو انى صفاة خفت ان اتصدعا
وذنبى انى كنت آداب منهـم وابرع منهم فى الفنون وابدعـا (٢)

ويتطرق شاعرنا الى هذه الفنون فيعددها لنا . مبينا ما قدمه فى كل فن . وانه بذ اقرانه فيه وجاء بما لم يستطع احد ان يأتى بمثله . وسوف نحاول

---

(١) الديوان ١٩٥ / ١ ، ٢ .
(٢) الديوان ٢٦ / ١ ، ٢ .

تتبع الشاعر فى بعض مافخر به من علوم لنرى كيف كان يفاخر الآخرين بتفوقه فيها ، فهو عالم بالتفسير ورواية الحديث فيقول فى ذلك :

تراني فى علم المنزل فارسا ... وما أنا فى علم الأحاديث راسفا
وما أنا من علم الديانات عاطلا ... باحسن على لم يزل لى شانفا
فكم قد وحت يمناى منه دفاترا ... وكم وعت اذناى منه وظائفا (١)

وفى مجال التفسير يفخر بكشافه فى أكثر من موضع :

وناهيك بالكشاف كنزا نضاره ... يعلم تمييز الجياد الصيارفا
وتخفق أوراق المصاحف هزة ... لزهر معان يزدهين المصاحفا
فما فى بلاد الشرق والغرب ناقد ... يقلبها ودهرا فيخرق زائفا
وليتهم بالغوص بعد اطالة ... لفكرهم يدرون تلك اللطائفا
الى صاحب الكشاف الا اصابة ... لما ارتد عنه صائب النهل صائفا (٢)

وفى قصيدة أخرى يفخر بأن الكشاف واحد فى فنه ولايوجد فى التفاسير مايكافئه ، وان أخباره قد طارت فى جميع الآفاق :

تالله ما الكشاف الا واحد ... فى فنه انى له بمكافى
أوصافه فى كل قطر شاسع ... طارت بأبى قوادم وخوافى (٣)

وفى نفس القصيدة يعود فيقسم مرة اخرى بأن الأشياء الخفية قد أصبحت واضحة وجلية فى الكشاف ، ولو انه كتب فى أول الزمان لاصبح عمدة للسلف ، ويشير الى المعارضين للكشاف وانهم على غير حق ، وانهم لو انصفوا لجعلوا الكشاف تميمة وعلقوه فى صدورهم :

تالله ما الكشاف الا آخذ ... صفة الجلى به الدقيق الخافى
نكت الى نكت ترصف نظمها ... ينكت لحليها وصاف

---

(١) الديوان ٩٣/٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ . (٢) الديوان : ٩٣/٦٦ ـ ٧٠ .
(٣) الديوان : ٢٢٧/٣٧ ، ٣٨ .

لو كان فى أولى الزمان مصنفا ... ماكان الا عمدة الاسلاف
فيه أشاف للذى يبغى الهدى ... فيه لأكباد البغاة اشاف
لو انصفوا لتعلقوه تميمة ... لكن أبوا من قلة الانصاف
وطووا على حسد قلوبا دينها ... للدين والحق المنير مناف
والحق طود لايخلخل ركنه ... ومكابرات المبطلين سوافى (١)

وأما بالنسبة للغات العرب ، فلا يوجد من يثقفها مثله ، فقد شبه نفسه فى تثقيفها بسمهر فى تثقيفه للرماح ، أو كعمرو فى الرماية :

وما للغات العرب مثلى مثقف ... ابى كل ندب متقن ان يخالف
وليس لتثقيف الرماح كسمهر ... وليس كعمرو فى الرماية حاذقا
اقيد عندى سوها وصميمها ... وانقى اشابات سدا ولفائفا (٢)

وهو يفخر بمقدرته فى النحو وانه شرح كتاب سيبويه ويكفيه ذلك فخرا :

وبى يستميد النحو من ان يسوسه ... نهى لم يجدها الذائقون حصائفا
فقل اين خلى سيبويه كتابه ... يقل حجر جار الله مأواه حالفا
وما فى رواة الكتب راوية له ... سوى واحد فانظر فلست مصادفا
ولو لم تكن لى غير هذى فضيلة ... لبرزت سباق الاضاميم راعفا (٣)

كما انه افتخر بباعه الطويل فى علم المعانى والبيان ، فهو يشبه بنات أفكاره فيهما بالفتيات الجميلات الشريفات اللواتى يسلبن لب صاحب العقل حتى ولو كان عزهاة مبتعد عن اللهو وأسبابه :

وعلما المعانى والبيان كلاهما ... ازف الى الخطاب منه وصائفا
وصائف زينات يتيمن ذا الحجا ... وان كان عزهاة عن اللهو عازفا

---

(١) الديوان ٢٢٧/٤٢-٤٩ .
(٢) الديوان : ٩٣/٤٣-٤٥ .
(٣) الديوان : ٩٣/٤٦-٤٩ .

اذا ماأجتلاهن الحليم ابو هينه   فرقص فوديه وهز المعاطفا
بنات لي استولدتهن قريحتي   فجئن هشاميات صدق شرائفا
نجائب قد نازعن نسبة مقرم   نجيب لانجاب ، وعفن المقارفا (١)

ثم يواصل افتخاره ببقية معارفه ومؤلفاته ، فيذكر ديوان شعره ، وديوان نثره ، ومعرفته بعلم العروض .

وبما أنه قد بلغ من المعرفة هذا المبلغ ، فقد أصبح مقصدا لطلاب العلم من كل البلاد شرقيها وغربيها ، فهو يشبه نفسه بالكعبة وطلاب العلم بالطائفين الذين حضروا من جميع البلاد ليطوفوا بها .

وسميت بين العرب والعجم رحلة   الي يزجون المطي عواسفا
يؤمون قذافا بأشياء لم تكن   بأمثالها خضر البحور قواذفا
الم تر اني حيثما كنت كعبة   يحفون بي كالطائفين طوائفا
فشرقيهم يهوى الى النور قابسا   وغربيهم يسعى الى النور غارفا (٢)

---

(١) الديوان : ٩٣/٥٠ـ٥٤ .

(٢) الديوان : ٩٣/٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ .

الشــــــكوى :

ان الشكوى ظاهرة بارزة فى الشعر ، وذلك لرقة شعور الشعــراء وزيادة حساسيتهم فهم دائما ينشدون المثل العليا لانفسهم وللمجتمــع الذى يعيشون فيه ، ولان الواقع بعيد عن المثالية ، ويصل فيه المتزلفــون الى المناصب العالية ، فيؤثر ذلك فى نفوس المخلصين من ابناء الامــة ، واكثر الناس احساسا بذلك الشعراء والادباء لما ذكرنا من حساسيتهم ورقة شعورهم ، فيقارنون بين ماهم فيه وبين ماتسلم غيرهم ، فيوصلهم ذلك الى الحزن والكمد والثورة على الناس والحياة .

والزمخشرى فى بداية حياته ينهض بهمة عالية لتلقى العلــــم وتحصيله حتى يوصله ذلك لما يريد ، ولكن يخيب فأله ، ويجد من هــم دونه همة وعلما يتسلمون المناصب العالية ويتمتعون بالمال والمنصــب والجاه ، فيؤثر ذلك فى نفسه ، فيأخذ فى التململ والتذمر من هـــذا الوضع ، فنراه فى مطلع حياته يبث شكواه الى نظام الملك ، يشكـــو اليه حوادث الزمن التى تصيبه صباح مساء ، ولولا مساعدة استاذه الضبى لبالغت هذه الخطوب فى ايذائه ، وكان يأمل من نظام الملك ان يمد له يد العون ليخفف من بلوائه ، فهو يقول :

اليك نظام الملك شكواى فاستمع الى بث مجذوذ المعايش ضنكهـا
طريح خطوب كل يوم تنوبـــه بهائقة تنحى عليه ببركهـــا
ولو لم يلى الضبى عنى عراكها لغالت يد البلوى اديمى بعركهـا
رجوت سطاء منك ارقيه ويلهـــا فان لم يكن ويلى فتنضاح ركهـــا (١)

(١) الديوان ١٨/٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ .

ولكن شكواه هذه لم تفده شيئا ، فيعود الى الشكوى مرة اخرى ، فيوجه الى نظام الملك قصيدة يبين فيها فضله ومقداره وعلمه ، ويجمل من كل ذلك وشائج قوية الى هذا الوزير ولكننا نشتم في هذه القصيدة عزة نفسه وهمته العالية ، فهو لايلجأ الى الاستعطاف كما في قصيدته السابقة بل يلجأ بالتهديد بالرحيل عن البلاد .

بدأ الزمخشري قصيدته بمساءلة خليليه عن فائدة فضله الذي بلغه اذا هو لم يرفع على كل جاهل ، فهو يرى من الغبن والجهالة ان يصيب اصحاب النقص المناصب التي يستحقها اصحاب الفضل ، وهو يستبعد ان ينال حقه في مثل هذا المصر :

خليلي هل تجدي على فضائلـي ... اذا انا لم ارفع على كل جاهل ؟
من الغبن ذو نقص يصيب منازلا ... اخو الفضل محقوق بتلك الفضائـل
كفى حزنا ان يرغب الحلم والحجا ... تصدر باد طيشه غير عاقـــل
ومن لي بحقي بعدما وفرت على ... اراذلها الدنيا حقوق الاوائـــل
كذا الدهر كم شوهاء في الحلي جيدها ... وكم جيد حسناء المقلد عاطـل (١)

والذي يحزنه ويؤلمه هو شيوع صفاته ، حتى ان الركبان يتغنون بها في اسفارهم ، اما قصائده فقد انتشرت في طول البلاد وعرضها ، هذا بالاضافة الى مصنفاته التي لم تبق قولا لقائل ، ولكن مع كل هذا ، فهو يعيش في فقر مدقع ، فاذا نظر الى كفه لايجد فيها سوى انامله .

ومما شجاني ان غر مناقـــبي ... تغني بها الركبان بين القوافـل
وطارت الى اقصى البلاد قصائدي ... وسارت مسير النيرات رسائلـــي
وكم من امالي لي وكم من مصنف ... اصاب بها ذهني محز المفاصل

---

(١) الديوان : ١/٢٥ — ٥ .

ولى فى دقيق النحو والنقد منطق   اذا قلته لم ابق قولا لقائل
غنى من الاداب لكننى اذا   نظرت فما فى الكف غير الانامل (١)

لهذا نجده ، يتمنى ان يصبح غنيا ، فيرضى صديقه ويسخط عدوه ، وان يكون فى غباء باقل — الذى يضرب به المثل فى الغباء — لان الزمخشرى يرى انه من يبلغ بفضله وعلمه شيئا ، ولو اصبح مثل قس اياد ، او سحبان وائل :—

فيا ليتنى اصبحت مستغنيا ولم   اكن فخر خوارزم رئيس الافاضل
ويا ليتنى مرض صديقى ومسخط   عدوى وانى فى فهاهة باقل
فلست بفضلى بالغا ولو اننى   كقس اياد اوكسحبان وائل (٢)

ولما كان الوزير عالما ويحب العلماء ، فلقد اعتبر الزمخشرى ان هذه العلوم والفضائل هى وشائج قربى تربطه بهذا الوزير ، فمن المفروض ان لا يضيع حقه ، لان له آمال تكاثر الحصى ، ولايوجد له نظير فى جميع البلاد فيقول :

وما حق مثلى ان يكون مضيما   وقد عظمت عند الوزير وسائلى
واعظمها انى نسيب نصابه   اذا عرضت انساب هذى القبائل
وقد كان يرعى حق الناس قبله   على عدم القربى ويمد الوصائل
فلا ترض ياصدر الكفاة بان ترى   اعالى قوم الحقوا بأسافل
ولاتجعلونى مثل همزة واصل   فيسقطنى حذف ولا راء واصل
فكل امرئ آماله عدد الحصى   وهات نظيرى فى جميع المحافل (٣)

ويختتم شكواه بألمه من الواقع الذى يعيش فيه فهو يصمم على ترك وطنه ساخرا من كل الاوضاع التى تحيط به ، فهو يطلب من الوزير ان يجمله

---

(١) الديوان : ٦/٢٥ — ١٠ .
(٢) الديوان : ١١/٢٥ — ١٣ .
(٣) الديوان : ١٤/٢٥ — ٢٠ .

مثل الارذال حتى ينال نصيبا من العيش فلا يترك دياره العزيزة عليه

لان كان امرى فى خوارزم ما أرى   فان رحالى فى ظهور الرواحــل
وكم تلت القى فى وزارتك المــــنى   وادرك وحدى ما ارتجى كل آمــل
ولم ادر أن الارذلين يرون مــــا   تمنوا وانى لست احظى بطائــــل
فوقع الى هذا الزمان فانـــــــه   غلا مك يجعلنى كبعض الاراذل (١)

والمتتبع لشعر الشكوى عند شاعرنا يستطيع ان يقسمه الى ثلاثة اقسام :ـ

١ ـ الشكوى من الزمان ونوائبه :

لقد اكثر الزمخشرى من ترديد شكواه من الزمان الذى يرفع الاراذل ويضع الفضلاء ، فكل شكواه من الزمان تدور حول هذه الفكرة ، فالزمان فى نظره ظالم اعطى الحقوق الى غير اصحابها ، فيقول :

وديدن هذا العصر رفع مناســم   موقعة فوق الكواهل والــذرى
فذو النقص لماق من الارى محقدا   وذو النقص مضاغ من الشرى مخفوا (٢)

ويكرر هذا المعنى فى قصيدة اخرى فيقول :

عفاء على الدنيا طويل لرفعهـــا   مناسمها السفلى على اسنماتها
قضية جور قد جرت بين اهلهـــا   تذوب لها الاكباد من حسراتها
فياليت شعرى هل ارى انسها كما   ارى طيرها الغربان تحت بزاتها
وهل للامور المستقيمات فيئـــة   تسوى من الدنيا الصفا فى قنواتهـا (٣)

ولكن الى من يرفع الزمخشرى شكواه ؟

لقد رفع شاعرنا الى الوزراء الذين كانت بيدهم السلطة لعلهم يساعدونه على مواجهة نوائب الزمان ، فهو يستعين بعميد الله علـى ذلك ، لانه المتصرف فى الامور ولا يستطيع احد رد امره او رغبته فيقول :

---

(١) الديوان : ٢١/٢٥ ـ ٢٤ (٢) الديوان : ٥٨/٩٢ ـ ٥٩.
(٣) الديوان : ١٤/٤٣ ـ ١٧ .

اليك عبيد الله انهى شكايتى ... نكاية دهر ينتحى بصياله
بحقك فازجره وصه لينتهى ... فامرك امضى من مواضى نصاله
وقل يازمان السوء ملك قاصدا ... لمن عرف الناس اهتمامى بحاله
فأنت الذى الديوان طوع لحكمه ... وذلك طوق رفى رقاب رجاله
وانت الذى ان قال شيئا يريده ... فما فيهم من ينثنى عن مقاله (١)

وعندما رأى ان شكواه الى العبد لن تفيده شيئا ، فقد توجه بشكواه الى الله جل جلاله ، فيقول :

اشكو الى الله جفوة الزمن ... ودولة ماتزال تظلمنى
تؤثر جهالها بنعمتها ... وتقصد الفاضلين بالمحن
قلبى لايعرف السرور وما ... اعرف قلبى بشدة الحزن (٢)

ويقول فى قصيدة أخرى :

اشكو الزمان وما أرى لى مشكيا ... ممن يرى شمتى ورقة حالى
ياحسرتا من لى بصفقة رابح ... فى متجر والفضل رأس المال
ياويح اهل العلم كيف تأخروا ... والسبق كل السبق للجهال
فى ذمة الايام لى دين متى ... استقضه لاقيت طول مطال
فالى الهى المشتكى وبصنعه ... دون الانام منوطة آمالى (٣)

٢ - الشكوى من الناس :

وكما شكا الزمخشرى من الزمان وظلمه له ، فقد اخذ يشكو من الناس الذين يعيشون فى ذلك العصر ، لانهم لايقلون ظلما عن عصرهم فهم بعيدون عن كل مكرمة ، ظاهرى اللؤم ، ولايفرقون بين الجاهل والفاضل ، وهم وان اتصفت اجسامهم بالحسن فعالهم كلها قبيحة ، فهو يقول :

(١) الديوان : ١/٥٠ - ٥ . (٢) الديوان : ١/٢٧٤ - ٣ .
(٣) الديوان : ١٠/١٧١ - ١٤ .

واهل زمان قد تقضى صريحهم   فلم يبق فى اهل الزمان صريح
اولئك اما المكرمات لديهم   فمرضى واما لؤمهم فصحيح
ومثلا ن ذو نقص لديهم وفاضل   وسيان فيهم مفحم وفصيح
وكائن ترى من ذى محاسن وجهه   صبيح ووجه الفعل منه قبيح
فياليت القبح كان بوجههم   وياليت وجه الفعل كان صبيح (١)

ومن شدة تألمه من اهل عصره ، وخاصة اهل بلاده — خوارزم — الذين لم يقدروه حق قدره ، مما دفعه الى السير الى بلد آخر — لذلك نجده يصفهم بأقبح الصفات ، فلم يترك رذيلة الا وألصقها بهم ، فقد كان قاسيا عليهم فى قوله ، وما ذلك الا ردة فعل صدرت منه نتيجة ضياعه بينهم فهو يقول :—

فما بك غير عصرك من مصاب   وذلك لايرد بها المتاع
رزقت بنى زمان لم يمصوا   ثديا للكرام بها الصهاع
سقطت على نويس صفرتهم   طماع اراذل بئس الطماع
هم شر السباع فلا ذئاب   مكلحة الوجوه ولا ضباع
وما فوق الثرى سجن عظيم   كجو حوله قوم رعاع (٢)

٣ — معاندة الحظ :

لقد شكا الزمخشري من سوء حظه فى هذه الحياة وان لانصيب له فيها ، لان اسهمه فيها هن وغد وسفيح ومنيح ، وكلنا يعلم ان هذه الاسهم لانصيب لها ، انما وضعها العرب لتكثير الاسهم فقط عند قسمة لحم الجزور ، فهو يقول :

لى فى الدنيا سهام   ليس فيهن ربيح
فأساميهن وغد   وسفيح ومنيح (٣)

---

(١) الديوان : ١٠/٢٤ — ١٥ ٠   (٢) الديوان : ٣٠/١٣٨ — ٤٦
(٣) الديوان : ٣٠/١٣٨ — ٤٦ ٠

الحكمـــــــة :

لقد عاش الزمخشرى نيفا وسبعين سنة ، ذاق خلالها حلو العيش ومره ، وعاشر الفئات المختلفة فى مجتمعه ، ورحل من بلد الى آخـــر وأحس بآلام المجتمعات التى مر بها ، واطلع على الكثير من مشاكلهـــم فأثر كل هذا فى شعره فصاغ الكثير منه على شكل حكم يسديها الــى هذه الشعوب ، ولكن حكمه لم ترق الى مستوى حكم المتنبى وابى العلاء فهى لم تضع الحلول الشافية لما تعانيه هذه المجتمعات من مشاكــل وما يعترضها من صعاب ، بل جاءت على شكل مواعظ يسديها الـــى سامعيه من مثل قوله :

ليس السيادة اكمام مطـرزة ولا مراكب يجرى فوقها الذهب
وانما هى افعال مهذبـــة ومكرمات يليها العقل والادب
وما اخو المجد الا من نمى شرفا يوما فهان عليه النفس النشــب
وافضل الناس حر ليس يغلبــه على الحجا شهوة ولا غضـــب (١)

وقد جاءت معظمها فى مطالع قصائد الرثاء ، لان معانيها تدور حول الموت ومساواته بين بنى البشر ، فهو يقول :

قضاء ربك حد غير مسبـــوق باب يساق اليه كل مخلـوق
سيان من ليس مرموق المحل وذا جاه بابصار كل الخلق مرموق
ورب تاج وديباج يجـــرره كذى كساء رقيع الجيب مفتـوق (٢)

وكثيرا ما قارب بين الفقر والغنى وبين ذى الجاه والوضع وذكر القـــدر ونفوذه الى اى مكان محصنا (٣). والناظر لهذه الحكم يجد ان ثقافـــة الزمخشرى الاسلامية قد اثرت عليه كثيرا ، فمعظم معانيه مستمد مـــن التعاليم الاسلامية عن الموت والحياة وغيرها .

(١) الديوان : ١/١٠٥ ــ ٤ . (٢) الديوان : ١/١٢٩ ــ ٣ .
(٣) الديوان : ٤/١٢٩ ــ ٩ ، ١/١٣٠ ــ ٤ ، ١/١٣٣ ــ ٤ ، ١/١٣٣ ــ ٧ ، ٨٧/ ٤٦ ــ ٥٢ .

كما دون الزمخشرى قصيدة كاملة فى الحكمة وقد سماها الحكمية (١) وهى تقع فى واحد وخمسين بيتا ، ومعظمها فى الحكمة ، وهذه بعض حكمه فيها :

لقد شبه العيش بالشجرة الكبيرة التى استراح الناس تحتها فى وقت القيلولة ، ولكنهم سوف يطردون عنها مهما حاولوا البقاء .

وما العيش الا سرحه قيل تحتها　　سيطرد عنها القائلون وان لجوا (٢)

ومن الناس من يتخبط فى غوايته وضلاله ويدعى انه يهدى الى الله بالطريق الصحيح والحجج الواضحة .

وكم من خابط فى شبهة وهو قائل　　الى الحق بالبرهان اهدى واحتج (٣)

ويقول ان الرأى السريع لافائدة منه ، وانما النفع والفائدة فى الرأى الناتج عن امعان الفكر والتروى فى الامور ، ويشبه ذلك بمن يأكل الثمر قبل نضوجه فتؤلمه بطنه :

ولا خير فى الرأى الطهوج انما　　يفئ بخير حين خالطه النضج

ولم ينتفع الا برأى محنك　　ويورث مغص الاكل الثمر الفج (٤)

وصاحب الفضل عند الزمخشرى من لا يسيطر عليه الهوى ولا يؤثر عليه دل الغانيات .

فذو اللب من لم تغشه رضحة الهوى
ولم يصبه دل ولم يلهه غنج (٥)

ويختتم هذه القصيدة بنصيحة الى السلاطين واصحاب النفوذ ليعتبروا فى هذه الحياة ، ويطيعوا الملك الواحد القهار :

اما يشعر السلطان عزة ربه　　وذلته ان مس امعاءه سحج

فطلة ظهرا لبطن فلم يسال　　ان يبذل الدنيا لمنفعة يج

هو الملك الحق الذى الملك ملكه　　وما ملك عبد همه البطن والفرج (٦)

(١) الديوان ١٤ : ٠　　(٢) الديوان ١٤ : ١٨　　(٣) الديوان ١٤ / ٢١
(٤) الديوان ١٤ / ٢٥　　(٥) الديوان ١٤ / ٤٢
(٦) الديوان ١٤ / ٤٩ ـ ٥٠ .

الهجـــــاء :

لقد نظم شاعرنا فى معظم اغراض الشعر التى سادت فى عصـــــره وقبل عصره باستثناء الهجاء ، فلا يوجد له فيه سوى هجائه لأهـــــل خوارزم وبيتـــين فى هجاء أهل السنة مع شكنا فى نسبتهما اليه ، ومـــع اعتقادى الجازم بأنه كان قادرا على الهجاء كما كان قادرا على المديــح، الا اننى لاستغرب غياب الهجاء من ديوانه ، لأن الشعراء كانوا يضطرون الى الهجاء للوصول الى مطالبهم ، فهو سلاح الارهاب ، يلوحون به فـى وجوه البخلاء والمانعين للعطاء ، ويستخدمونه فى التشهير بالمخالفين لهـم فى العصبية أو المذهب السياسى أو المعتقد الدينى .

أما بالنسبة لشاعرنا فقد سلك طريقا غير هذا ، فهو فى مطلع حياتـــه يطمح للمنصب والجاه ، وان ينال من العطاء ماناله من هم دونه همـــة وعلما ، وعندما كان يفشل فى هذا عن سلطان أو وزير ، يلجأ الى التهديد بالرحيل ، فهو يعتز بعلمه ، ويعتبر رحيله عن ذلك الممدوح خسارة لـــه ولبلده ، ويكفيه ذلك ، فهو يبتعد عن الهجاء ، مكتفيا بالتهديد والرحيل وأما فى القسم الثانى من حياته فهو رجل قانع بعيد عن كل الأطمـــاع فلا حاجة به الى الهجاء .

أما بالنسبة لمخالفيه فى معتقده الاعتزالى ، فقد رد عليهم فى تفسيره فمجال النثر مجال رحب للمجادلة والنقاش والتفنيد والمنطق ، حـــتى أن بيتيه فى هجاء أهل السنة وردا فى الكشاف ولم يردا فى ديوانه ، وقـــد كتبا فى هامش نسخة الاصل بخط يغاير خط الناسخ ، وقد نسبهما الكاتب الى الكشاف والزمخشرى فى الكشاف يترفع عن نسبتهما الى نفسه فهو يقـــول " والقول ماقال بعض الموحدين :

لجماعة سعوا هواهم سنــــــة   وجماعة حمر لعمرى موكفــــه
قد شبهوه بخلقة فتخوفـــــوا   شنع الورى فتستروا بالبلكفــه (١)

على كل حال فيهما من الهجاء المقذع مايجعلنا ننضم الى اللائمين عليه لايرادهما فى تفسيره ، وخاصة وهما فى هجاء أهل السنة وخاصة وهم السواد الأعظم بين المسلمين ، ويكفيه مانال من هجاء من ردوا على هذين البيتين .

وأما هجاؤه لاهل خوارزم فقد ورد ضمن قصيدة يحن فيها الى مكة وأيامه فيها ، ويشكو أهل زمانه الذين لم يعرفوا قدره كما عرفه ابن وهاس شريف مكة ، فهو يصب عليهم جام غضبه ، ويصفهم بأرذل الصفات فأصلهم غير كريم لذلك تطبعوا بطباع الاراذل ، فهم لايعرفون طريقا للخير أو المعروف ، بل هم عبيد للبخل والحرمان .

رزقت بنى زمان لم يصــــوا   ثديا للكرام بها ارتضـــاع
سقطت على نويس صفرتهـــم   طباع اراذل بئس الطبـــاع
فلا بسطوا الى المعروف كفـــا   ولا طالت لهم فى الخير بـــاع
نويس فيهم النكـــد المكـــنى   ابا الحرمان والشح المطـــاع (٢)

ويقول انه فى عصر يقدم الصناع على العلماء وأهل الفضل :

ترى ملكا اشم ولا انتقـــــاد   لاهل الفضل منه ولا اصطنـــاع
ترى الصناع تنفعه بــــداه   وليس لعالم بهما انتفـــاع (٣)

فهم أكثر شرا من الذئاب والضباع ، فلا يأمل الانسان منهم الا الضرر :

---

(١) الكشاف ـ الزمخشرى ـ المطبعة التجارية الكبرى بمصر ط أولى سنة ١٣٥٤ هـ جـ ٢ ص ٩٢ .

(٢) الديوان : ١٣٨/٣١ـ٣٤ .

(٣) الديوان ١٣٨/٣٦ـ٣٧ .

هم شر السباع فلا ذيـــاب   مكلحة الوجوه ولا ضبـــاع
هم ضرر اتاك بغير نفـــع   عليك وربما نفع السهـــاع (١)

وكما لمنا الزمخشرى على بيتيه السابقين فاننا نقف ايضا امام هـــذه الأبيات موقف الاستهجان والاستغراب ، فأهل خوارزم الذين دافعوا عـــن ثغور الدولة الاسلامية وخرج من بينهم عشرات العلماء والأدباء ، لا يمكـــن أن يكونوا على هذه الصفات ، انما هى نفثة مصدور ، من انسان وجـــد حقه مضاعا ، وعلى كل فقد كان فى هجائه متحاملا مقدعا فيه ، وان دل هذا على شئ فهو يدل على نفس الزمخشرى الحاقدة على أبناء وطنـــه الذين لم يقدروه حق قدره ، وهو فى هذه الأبيات يعود بنا الى حياته الاولى والى طموحه ، وهذا يدل على أن جواره الاول فى مكة لم يصقل نفسه ويخلصها من كل اطماعها ، لذلك نجده ينزعج من الاقامة فـــى خوارزم ويكرر العودة الى مكة مرة ثانيـــة .

(١) الديوان : ١٢٨/ ٣٨-٣٩ .

الفصل الثالث

الخصائص الفنية لشعر الزمخشري

- المبحث الاول : بناء القصيدة .
- المبحث الثاني : المضمون .
- المبحث الثالث : الاسلوب .

===========

المبحث الاول

بنـــاء القصيـــدة

١ ـ المقدمـــة .

٢ ـ مطلـــع القصيـــدة .

٣ ـ حســـن التخلـــص .

٤ ـ حســـن المقطـــع .

٥ ـ وحدة البيت والتضميـــن .

٦ ـ وحـــدة القصيـــده .

٧ ـ الاوزان .

٨ ـ القافيـــة .

٥٥٥

بعد أن فرغنا من الحديث عن موضوعات شعر الزمخشري في الفصل الثاني ، نفرد هذا الفصل للكلام على خصائص شعره الفنية ، والتي نعرف عن طريقها مدى اصالة شاعرنا ، وهذا يقتضي منا دراسة دقيقة لشعره الذي وجدناه في مخطوطات ديوانه أو في غيرها من المراجع ، دراسة تستوعب الشكل والمضمون معا ، وهذا يخطونا الى دراسة قصائده من حيث المبنى والمعنى والاسلوب ، وبذلك نستطيع الحكم على شعره من خلال المعايشة الفعلية والتي تجعل حكمنا قريبا من الصواب .

المبحث الاول : بناء القصيدة

من المعروف ان القصيدة الجاهلية استقرت قبل الاسلام على نظام معين ، فاصبح لها تقاليدها التي تعارف عليها الشعراء ، ثم جاء من بعدهم النقاد فقرروها في مدوناتهم ، واول ما لاحظه النقاد ان القصيدة العربية عند شعراء الجاهلية مقسمة اقساما ، وان كل قسم منها يؤدي الى ما بعده ويكون مقدمة له ، " فان مقصد القصيد انما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والاثار فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر اهلها الظاعنين عنها ... ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد ، وألم الفراق ، وفرط الصبابة والشوق ، ليميل نحوه القلوب ، ويصرف اليه الوجوه ، وليستدعي به اصغاء الاسماع اليه ، لان التشبيب قريب من النفوس ، لائط بالقلوب ، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل ، والف النساء ، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب ، وضاربا فيه بسهم ، حلالا أو حرام ، فاذا

علم انه استوثق من الاصغاء اليه ، والاستماع له ، عقب بايجاب الحقوق ، فرحل فى شعره ، وشكا النصب والسهر ، وسرى الليل وحر الهجير ، وانضاء الراحلة والبعير ، فاذا علم انه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء ، وذمامة التأميل ، وقرر عنده ما ناله من المكاره فى المسير ، بدأ فى المديح ، فبعثه على المكافأة ، وهزة للسماح،وفضله على الاشباه ، وصغر فى قدره الجزيل". (١)

فمن كلام ابن قتيبه هذا والذى يرويه عن بعض أهل الادب ، نلاحظ ان نظام القصيدة كان يبدأ بذكر الاطلال ، ثم النسيب وبعده الرحلة ثم يدخل الى الغرض.

وهذه الاقسام غالبا ما التزم بها الشعراء الاقدمون ، وألزم النقاد بها الشعراء المتأخرين ، على ان يعدلوا بينها ولا يخرجوا عليها : " فالشاعر المجيد من سلك هذه الاساليب ، وعدل بين هذه الاقسام ، فلم يجعل واحدا منها اغلب على الشعر ، ولم يطل فيمل السامعين ، ولم يقطع وبالنفوس ظمأ الى المزيد". (٢)

ويستشهدون على ذلك بقول نصر بن يسار والى خرسان لبنى امية ، عندما اتاه احد الرجاز ، فمدحه بقصيدة تشبيهها مائة بيت ومديحها عشرة ابيات ، فقال نصر : والله ما بقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفا الا وقد شغلته عن مديحى بتشبيهك ، فان اردت مديحى فاقتصد فى النسيب ، فأتاه فأنشده :

---

(١) الشعر والشعراء — ابن قتيبة — تحقيق احمد محمد شاكر — دار المعارف بمصر ١٩٦٦ ، جـ١ ، ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٧٥ ، ٧٦ .

هل تعرف الدار لام الغمر   دع ذا وخبر مدحة فى نصر .

فقال نصر : "لا ذلك ، ولا هذا ، ولكن بين الامرين ".(١)

كما وانه ليس لمتأخر الشعراء ، ان يخرج على مذهب المتقدمين فى هذه الاقسام فيقف على منزل عامر ، او يبكى عند مشيد البنيان ، لان المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر ، والرسم العافى ، او يرحل على حمار او بغل ويصفهما ، لان المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير ، او يرد على المياه العذاب الجوارى ، لان المتقدمين وردوا على الدواجن الطوامى ، او يقطع الى الممدوح منابت النرجس والاس والورد لان المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والحنوه القرارة ". (٢)

هذا عن بناء القصيدة بشكل عام ، ولكنا نريد ان نتحدث عن كل جزء منها منفردا ، وما جرى عليه الشعراء وما قرره النقاد فى ذلك .

١ ـ المقدمة :

لم يقتصر شعراء الجاهلية على نوع واحد من المقدمات بل كانوا يستهلون قصائدهم اما بالمقدمة الطللية ، وهى الغالب ، او المقدمة الغزلية ، او مقدمة وصف الظعن ، أو مقدمة الشباب والشيب ، او مقدمة وصف الطيف ، او مقدمة الفروسية .(٣)

وقد استمر هذا الوضع طيلة العصر الجاهلى وصدر الاسلام والعصر الاموى ، لان الحياة لم تختلف اختلافا واسعا عنها فى الجاهلية ،

---

(١) المرجع السابق ج ١ ، ص ٧٦ .

(٢) المرجع السابق ج ١ ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٣) مقدمة القصيدة العربية فى العصر العباسى الاول ـ حسين عطوان ـ دار المعارف بمصر ، ص ٢٥٦ .

الا ما رأيناه من ابتداع الاخطل للمقدمة الخمرية وافتتاحه بعض قصائده بهـا .(١)

ولما جاء العصر العباسي واختلفت الحياة عن سابقتها في عاداتها ومثلها ونظام الاجتماع فيها ، وجدنا الشعراء العباسيين ينقسمون الى فريقين ، الفريق الاول يحافظ على التقاليد القديمة ، يدفعهم الى ذلك انكبابهم على التراث القديم وتمسك اللغويين بالنماذج الجاهلية ، الا انهم حافظوا على الشكل الخارجي لهذه المقدمات وجددوا في تفاصيلها وأجزائها ، والفريق الثاني تأثر على هذه التقاليد يدعو الى التخلص منها وعلى رأسهم ابو نواس ، فهو تارة يدعو الى نبذ افتتاح القصائد بوصف الدمن والرسوم ، ويسخر من اولئك الذين يتمسكون بهذا التقليد ويحضهم على وصف الخمر ومجالسها ، على ما يتضح في قوله :

قل لمن يبكي على رسم درس   واقفا ما ضر لو كان جلس
اترك الربع وسلمى جانبـا   واصطبح كرخية مثل القبس (٢)

ثم يدعو الى ترك ذكر الاطلال فيقول :

اترك الاطلال لا تعبأ بها   انها من كل بؤس دانية . (٣)

وأخذ يدعو شعراء عصره الى التلاؤم مع بيئتهم كما تلاءم شعراء الجاهليه مع بيئتهم ، فكيف يصف الشعراء العباسيون الاطلال ومشاهد الصحراء وهم يعيدون عنها ، ويتركون ذكر صور الحياة التي

---

(١) ديوان الاخطل - الطبعة الثانية - دار المشرق - ص٧٦ ، ٢٠٧ ، ٢٥١ .

(٢) مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الاول - حسين عطوان - دار المعارف بمصر ، ص ١٠٥ .

(٣) ديوان ابي نواس - تحقيق احمد عبدالمجيد الغزالي - طبع بيروت ص٦١١ .

تقع تحت سمعهم وبصرهم ، ويقول ان الانسان اذا قلد غيره لابد وان يقع فى الخطأ :

صفة الطلول بلاغة القدم — فأجعل صفاتك لابنة الكرم

فعلام تذهل عن مشعشعة — وتهيم فى طلل وفى رسم

تصف الطلول على السماع بها — آذو العيان كأنت فى العلم

واذا وصفت الشئ متبعا — لم تخل من زلل ومن وهم . (١)

اذا لابد فى القصيدة العربية الكاملة من مقدمة تبدأ بها ، وهى مقدمة طللية فى اكثر الاحيان ، فهل ابتدأت قصائد الزمخشرى بالوقوف على الاطلال؟ .

ان شعر الزمخشرى الذى بين ايدينا يمكن ان نقسمه الى ثلاثة اقسام ، قصائد قدم لها بمقدمات طللية ، وقصائد بدأها بمقدمات أخرى مثل المقدمة الغزلية ، ومقدمة شكوى الهموم ، وقصائد ومقطوعات بدأها بدون مقدمات .

وبما أن المقدمة الطللية هى التى تستأثر بالاهتمام من بين كل المقدمات وينصرف اليها الذهن عندما يطلق لفظ المقدمة فى مجال القصيدة العربية ، اذ انها اكثر المقدمات التزاما ودورانا ، فبها تفتتح القصائد فى الاعم الاغلب ، تبدأ بذكرها والوقوف على تقاليدها ، ومن أهم هذه التقاليد تعيين مكان الاطلال ثم ذكر ما بقى من آثار المنازل وما انطمس من رسومها ، مع ذكر ما فعلته الرياح والامطار فيها ، وكيف

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨٥ .

مكنتها الوحش ، مما يستدعى التصريح عليها والوقوف بساحاتها ، وذرف الدموع فى ربعها لذكرى الاحباب ، وقد يكون الشاعر وحيدا فى وقفته أو مع اصحابه ، وربما يصف الشاعر هذه الديار فحسب أو يصفها مع ظعن المحبوب التى غادرتها ، فهل التزم الزمخشرى بكل هذا ؟ .

لقد قدم الزمخشرى لكثير من قصائده بالمقدمة الطللية ، وخاصة مطولاته ، ومدائحه للرسول عليه الصلاة والسلام ومدائحه لابن وهاس شريف مكة ، ولكنه لم يلتزم بما التزم به شعراء الجاهلية ، بل سار على درب الشعراء العباسيين فى الابقاء على الاطار الخارجى لهذه المقدمة مع التغيير فى كثير من اجزائها ، وهذه شواهد من مقدماته الطللية ، فهذه مقدمة قصيدته العربية :

أيا عرصات الحى اين الاوانس ؟ رحلن وحلتك الظباء الكوانس
أعامرة بالامس تهتز نضرة مغانيك وهى اليوم قفر بسابس
بليت بشىء لم أزل مبتلى به فرسمك منه مثل رسمى دارس
جفتك وكانت من سناها الانس ريها نواشىء فى برد الشباب موانس
سها لفتات المسك فى كل ملعب بتجرير اذيال المراط كوانس
فعوضت من تلك الكوانس غيرها كوانس ما قالت لهن ملابس
وما اركس القلب المعذب بعدما سلا سلوة الا المعذب راكس
محلان للحى الجميع كلاهما محيق كما يمحو الصفيحة طامس
توالى بكاء فيهما وتقفا رواجس يخضلن الربى ورواس (١) .

(١) الديوان : ٣/١ ـ ٩ م

فهو يتطرق فيها الى مساءلة الاطلال عن الاوانس اللواتي ارتحلن وأخلين المكان للظباء الكوانس ، ثم يقارن بين الديار عندما كانت عامرة بأصحابها بالامس ، وكيف اصبحت اليوم قفرا ، ويشبه حالتها في دروسها بحالته ، ثم يعود الى ذكر الاوانس وتجريرها الاذيال ، وكيف أن العذيب وراكس قد اعادوا له ذكريات بعد أن تسلى عنها بعض الوقت ، وإن ذكر الديار في هذه المقدمة ولم يذكر اسم صاحبتها فهو في مقدماته الاخرى يصرح باسم صاحبة الاطلال على عادة شعراء الجاهلية من تعيين اسماء محبوباتهم اللواتي ترتبط هذه الاطلال بهن ، ولولاهن لما كان لهذه الاطلال الدائرة أي اثر في النفس ، والفرق أن الشاعر الجاهلي كان يصدر في ذلك عن صدق حس ، اما الزمخشري مقلد في ذلك ، لذا كانت العاطفة عند الجاهلي ظاهرة واضحة وعبراته متساقطة لهذه الذكرى ، اما العاطفة عند الزمخشري فناضبة لا تثير في النفس شجونها ولواعجها ، فهو يقول في مقدمة قصيدته له :

حييا ارسم المحل البالي ... وقفا في معارف الاطلال

وسلاها عن القطين عسى ان ... تجدا عندها جواب السؤال

اين سعدى ؟ واين اترابها الهيف الخصور الرواجح الاكفال

اللواتي اذا برزن هززن البان ما بين اشمس ورمال

واذا ما اجلن اعين آجال ... رمين النفوس بالاجال .

فهو يطلب من صاحبيه أن يقفا في الاطلال البالية وأن يسألاها عن سعدى وعن اترابها ، ثم يأخذ في وصف تلك الاتراب اللواتي غادرت هذه الاطلال .

وان كان ذكر اسماء الاماكن يصدر عن شعراء الجاهلية عن حس صادق كما قلنا ، لما كان لهذه الديار من اثر فى نفوسهم اثناء وجود الاحباب بها ، اما صدورها من الزمخشرى فهو بدافع التقليد ليس غير ، وليس ادل على هذا القول من مقدمته الطللية هذه :

تعالوا الى اطلال ميه نبكها ... وسيره غيلان بن عقبه نحكها
تعالوا اليها ريثما تتشقون فى ... ملاعبها ريا مساقط مسكها
عذيرى من حكم الغراب بفرقته ... ميى على شوك القتاد لوشكها . (١)

وفى مقدمة طلليه أخرى يأخذنا الزمخشرى الى ديار العامريه ليقف مثل وقفه مجنون بنى عامر :

بحزوى ديار العامريه فأتها ... وقف وقفه المجنون فى عرصاتها
وحزوى الى ذخر الشؤون فقيره ... فانعم بسقيا ءان تقل لك هاتها
مساحب اذيال الرياح وكم مشت ... بها ساحبات الذيل من خفراتها
تمادى بها وحش الفلا ولربما ... تهادت بها الحسناء بين لداتها . (٢)

فالزمخشرى فى مقدماته الطلليه هذه يذهب مذهب التقليد ، ولا يطلق شاعريته على سجيتها ، لانه لو فعل ذلك لما وردت الاطلال بخاطره ، لعدم وجود ذكريات له فى هذه الاطلال ، ولنستمع اليه فى هذه المقدمه التى تعبر عن دخيله نفسه اصدق تعبير ، فهو يقول :

---

(١) الديوان ١/١٨ — ٣ .
(٢) الديوان ١/٤٣ — ٤ .

لا يسكب الدمع فى ربع ولا دمنه ... ولا الوقوف على الاطلال من شجنه
ولا يرقص فودى رأسه طربا ... سجع الحمام اذا ما ناح فى فننه
ولا يبكى على آثار مرتحل ... من الاحبه قتل النفس فى طعنه
وليس يفتنه ذو ناظر حسم ... كأنه رشاء قد هب من وسنه
ظبى يميس فتحكى البان قامته ... لدنا أمال نسيم الريح من غصنه
وانما الادب الموروث فتنته ... ومدح اروع حسب الفضل من فتنه (١) .

فهو يخبرنا انه لا يسكب الدمع عند الاطلال ، بل لا يقف بهذه الاطلال البته ، كما وان سجع الحمام لا يطربه ، ولا يبكى خلف ظعن الاحبه عند ارتحالها ، كما وان الفتاه صاحبه النظر والتى تشبه الغزال الذى هب من نومه وتميس بقدها فتحكى قامتها غصن البان عندما تحركه النسيم ، فلا تثير هذه الاشياء فى نفسه شيئا ، انما الذى يفتنه هو حب الادب .

ونعود الان الى انواع المقدمات الاخرى عند الزمخشرى فنتحدث عن ثلاث منها ، وهى المقدمه الغزاليه ، والمقدمه الخمريه ، والمقدمه الحكميه ..

اما المقدمه الغزاليه فكانت فى العصر الجاهلى تأتى بعد المقدمه الطلليه ، فاذا ابتدأت بها القصيده دون المقدمه الطلليه فعلى غير العاده ، ومع ذلك تعتبر فيما بعد مقدمه تجوزا ، واما اذا اتت وحدها لا قبلها ولا بعدها فلا تعتبر مقدمه انما هى ابيات فى الغزل .

---

(١) الديوان ١٠١/١ - ٦ .

اما بالنسبة لمقدمة الزمخشرى الغزلية فقد جاءت على لونين ،
اللون الاول تابعة للمقدمة الطللية كما لاحظنا عند حدينا عن المقدمة الطللية ، فهو يبدأ بذكر الاطلال جاعلا ذلك سببا لذكر الحبيبة . اما اللون الثانى فقد كان شاعرنا يبدأ فى الغزل ثم ينتقل الى الغرض الذى يريده ، وغالبا ما يكون المدح ، وهذه امثلة من هذا اللون .

يقدم الزمخشرى لقصيدته التى يهنئ فيها احد الوزراء بمولود ذكر ، وقد كانت ام هذا الطفل تركية ، فيقول :

ألا قل لسعدى مالنا فيك من وطر ... وما تطبينا النجل من اعين البقر
فان العيون الضيقات وأهلها ... بهم علقت منا الضمائر والفكر
اذا نظروا لم يبد الا احوزارها ... وان ضحكوا ضموا الجفوف على الحور
بنفسى قوى لحظة وهو فاتر ... كذا اللحظ اقوى ما يكون اذا فتر
تضايقت العينان منه وانه ... يوسع فى القلب الجراح اذا نظر
ويقتل بالجفن الضعيف ولم أزل ... اعوذ بربى من ضعيف اذا قدر
قاصر ساقاه ولكن متنه ... طويل فما فى القدر طول ولا قصر (١)

وبعد عدة ابيات اخرى من الاوصاف الحسية التى صدد بها هذه الفتاه ينتقل الى مغازلتها :

ولم انس اذ غازلته قرب روضة ... الى جنب حوض فيه للماء منحدر
وقلت له : جئنى بورد وانما ... أردت به ورد الخدود وما شعر
فقال : انتظرنى رجع طرف اجئ به ... فقلت له : هيهات ا مالى منتظر
فقال : فلا ورد سوى الخد حاضر ... فقلت له : انى قنعت بما حضر

---

(١) الديوان ١/٣٣ - ٧ .

ايا حبذا تقبيل فيه ورشفــــة ويرد ثناياه اذا برد السحـر
ويا حبذا وقت اراني معانقـــا لقــد كخوط الخيزران اذا خطر
ويا حبذا باب الوزير فانــــه هو الوزر الحامي والا فــلاوزر (١)

فهــو بعد ان ينتهي من مغازلة حبيبته ومعانقتها ، يدخــل الى الفـرض من القصيدة كمـا لاحظنـــا .

وفــي قصيدة اخرى يمدح فيها مؤيد الملك يبــدأ بقولـــه :

له مهند لحظها يجــــدده الا هوى عن يد الغازي مهنده
راى منيته في سيف مقلتـــه فما درى كيف خلت سيفه يـده
وما تكلف صب عنده جلـــدا الا انثني ضائعا عنه تجلـــده
ظبي من الانس خدل الساق في هين في العين والجيد ظبي الوحش يحسده
يمينه عينه الكحلاء هازئـــة وجيده ساخر منه مقلــــده
تضايقت عينه لكن جراحتهـــا نجلاء في قلبي الذاكي توقـده (٢)

وهــي تقع في عشرة أبيات ، انتقل بعدها الى غرضه وهــو مدح مؤيـــد الملك .

اما المقدمة الخمرية فهي شبه معدومة بالنسبة لقصائد الزمخشري ، فرجل يقسم انه لم يذق الخمر وكذلك لم يذقها احد من افراد اسرته كما ذكرنـا عند التحدث عن اسرته ، فهل نتوقع منه ان يستخدمها في مقدمات قصائده فاذا كان الزمخشري صادقا مع نفسه لا نجد للخمر ذكرا في شعره ، وأمـا

---

(١) الديوان نفس القصيـــدة .
(٢) الديوان ١/١١٤ ـ ٦ .

اذا كان مقلدا لغيره فسوف نجد الكثير من وصف الخمر بين سطور هذا الديوان ، والحقيقة انني لم اجد له في الخمر الا ابياتا بسيطة وذلك عند تشبيهه رضاب الحبيبة بها ، ومقدمة قصيدته التي يمدح بها ابن اسحاق ، فيقول :

كرر على كؤوس الراح ياساقي حتى ترى الميل في عطفي وفي ساقي
ثم فارقني ان حل الهم يلسعني والرقية الراح والراقي هو الساقي
قالوا : المدامة ترياق لشاربها فهات يا املح الساقين ترياقي
مالي ابقى من اللذات باقية وان شرخ شبابي ليس بالباقي
هات التي شبهت ظلما بشمس ضحى لو عارضتها لغطتها باشراق
نارية النعت الا انها عدلت نار الخليل فلم تهمم باحراق (١)

ولكنه مع ذلك يختتم هذه المقدمة بالاستغفار عن النسيب في الخمر فيقول :

استغفر الله اني قد نسبت بها ولم اكن لحواها بمذواق (٢)
ولم يذقها ابي كلا ولا أحد عن اسرتي واتفاق الناس مصداقي

ولكنه يرى ان مدحه لابن اسحاق كفارة لهذا الاثم الذي وقع فيه بسبب نسيبه في الخمر :

وفي نسيبي بها اثم تمحصه كفارة وهي مدحي لابن اسحاق

وشاعر رأيه في وصف الخمر انه اثم ، لا نتوقع أن نجد عنده المزيد من ذكرها وهكذا كان .

(١) الديوان ١/١٠٤ - ٦ .
(٢) الديوان / نفس القصيدة .

ونــوع آخر من مقدمات ، وهي المقدمة الحكمية ، وقد وردت بكثرة في مطالع قصائد الرثاء ، وهي عبارة عن مواعظ ونصائح يوجهها ، تدور حول الموت وتساوي الناس امامه ، وان لا عاصم منــه ، وعن الحياة الاخـره وان على الانسان ان يعمل لها خير من عمله للدنيا ، لان الدنيـــا فانيه والاخره باقيــه ، فهو يقول في مطلع مرثيته لفريد المصـــر :

ايا طالب الدنيا ويا تارك الاخـرى ستعلم بعد الموت ايهما احــرى
ألم يقرعوا بالحق سمعك ـ قل بلى ـ وذكرت بالايات لو تنفع الذكــرى
اما وقر الطيعي الذي فيك واعـظه كأنك في اذنيك وقر ولا وقـــرا
ولابد للانسان من سكرة الــردى ومن ساعة لا صحو فيها ولا سكـرى
فذو اللب من لم يطعم النوم جفنه ولم يغتمض خوف التلقي بلا بشـرى
وأيقن ان الموت في كـل ساعـــة طلائعه تسري فقد أخذ الحـذرا
وما الذي يغني عن المرء عـــزة ولو ملك الدنيا اذا دخل القبرا
ايا عامر القصر المشيد وانمـــا علاليه قل لي فمن يعمر العمرا (١)

وقــد بلغت هذه القصيدة خمسة عشر بيتا ، انتقل بعدها الـــى غرضه وهو رثاء فريــد المصــر .

ويقــدم لمرثيته في خاله بمقدمة بلغت عشرة ابيات ، يتحدث فيها عن الدهر واخذه للناس ، وعن مرور الليالي وفي مرها مرور الاعمار ، ويشبه الناس بالظعن التي يحدوها الحادي ، ويشبه الموت بالمورد وكل النـــاس امامه سواسية ، ثــم يسخر من الفال والزجـر والتنجيـم ، ثم يطلب مــن الناس التقوى والعمل للاخــرة :

---

(١) الديوان ١/٤٠ ـ ٨ .

الدهر انكد لا يبقى على حال ... ما زال يلحق ادبارا باقبال
ايامه ولياليه موكلة ... بالناس فى قطع آجال وآمال
يمر مر الليالى من تمر به ... وفى مرور الليالى مر آجال
الناس فى هذه الدنيا كأنهم ... ظعن بواكر تحدى وهى كالال
وللردى مشرع وراده شرع ... لافضل فيه على ذئب لرئبال
فى الغيب ما يرجع الاوهام ناكصة ... والمرء مختدع بالزجر والفال
يخال بالفال باب الغيب منفتحا ... والغيب مستوثق منه باقفال
صنعوا سرابيل اعجبتم بلبستها ... ان التقى لو علمت خير سربال
اماكم ابعد الاسقار فاحتقبوا ... زادا ولا زاد الاحسن اعمال (١)

وهو يكرر المعانى السابقة فى مقدماته الاخرى ، فيقول :

قضاء ربك حد غير مسبوق ... باب يساق اليه كل مخلوق
سيان مرموق المحل بذا ... جاه بابصار كل الخلق مرموق
ورب تاج وديباج يجرره ... كذى كساء رقيع الجيب مفتوق
حجب الملوك يد المقدار تخرقها ... كم من حجاب بكف الدهر مخروق
ولا ترد الردى بيض السيوف ولا ... سمر الرماح ولا زرق المزاريق
ولا قلاع منيفات محصنة ... بذادة ورماة بالمجانيق . (٢)

ويقول فى مقدمة مرثيته لسراج الدولة :

ذو التاج يجمع عدة وعديدا ... والموت يبطش بالالوف وحيدا
يسطو على الملك العظيم الشان لا ... يخشى جنودا حوله وبنودا
فاعقد على التقوى فؤادك واطوه ... لا تنشرن لواءك المعقود
واطلب من الله السعادة فى التقى ... ترجو وحل الكوكب المسعودا

(١) الديوان ١/١٢٥ ـ ٩ . (٢) الديوان ١/١٢٩ ـ ٦ .

ان الكواكب فوق عجزك عجزهـــا فمن أين تمنح غيرهن جـــدودا
اعلمت ان قضاء ربك غالـــب يمضى وليس بحيلـــة مـــردودا (١)

وانطلاقا مما تقدم نرى ان الزمخشرى كان يفتتح بعض قصائده بمقدمات منها الطللية ، وغالبا ما تكون قصيرة ، لا يكاد يبدأ بها حتى ينتقل الى المقدمة الغزلية ، او غرضه الاصلى ، وغالبا ما يكون المدح . امــا المقدمة الغزلية فقد جاءت على نوعين كما رأينا ، تابعة للمقدمـــة الطللية على حسب نهج القصيدة العربية ، او مقدمة قائمة بذاتهـــا ، واما المقدمة الخمرية ، فلم تعثر الا علـى مقدمة واحدة له ، وامــا المقدمة الحكمية ، فقد افتتح بها مراثيه ، لان الموقف يتطلب ذلك ، وقد جاءت معظم معانيها مكررة — كما رأينا — على شكل مواعـــظ ونصائح عن الموت والحياة وموقف الانسان منهمـــا .

ومع هذا فقد خرج الزمخشرى على نظام القصيدة العربية بمقدمتها الطللية وغيرها من مقدمات ، فقد كان يبدأ قصائده او مقطوعاته بالدخول فى الغرض مباشرة دون مقدمه ، وهذه بعض الامثلة من شعره على ذلك .

يبدأ قصيدته فى مدح رضى الملوك بقولـــه :

رضى الملوك المجد يشهد ان فـى معاليك اسرارا بها المجد جاهل (٢)

ويبدأ احدى مدائحه لعبدالله بقولــــــه :

محلك عبدالله ليس ينـــــال ابى ذاك عز شامخ وجــــلال (٣)

ويبدأ كذلك مدحته فى سراج الدين فيقـــول :

---

(١) الديوان ١٨٨/١ — ٦ . (٢) الديوان ٢١/١ .
(٣) الديوان ٣٢/١ .

تمتع سراج الدين بالشرف الذى   أجل بنى الدنيا يود اكلمه (١)

وغيرها كثير.

وهذا يجعلنا نجزم بأن شاعرنا كان يقف بين تيارين او دافعين يتنازعانه ، الاول حبه فى ان يكون شعره على طريقة سابقته ، فجاء بالمقدمة الطللية وغيرها ، دون ان يكون له ارتباط بالديار وساكنيها ، والثانى حبه للتحرر والانطلاق على سجيته وخاصة وان اغلب الذين يمدحهم ليسوا بعرب ، فلا مانع من ان ينطلق عن قيد القصيدة العربية ويبدأ بالغرض مباشرة ، وهكذا عمل.

٢ ـ مطلع القصيدة :

لقد اهتم نقاد العرب بمطلع القصيدة ، وطالبوا الشعراء بأن يبذلوا غاية جهدهم فى اتقانه ، لانه اول ما يقع فى نفس السامع ، فيدفعه الى الاصغاء ان كان جيدا والى الانصراف ان كان فاترا أو مما يتطير منه ، فابن طباطبا العلوى يقول : " ينبغى للشاعر ان يحترز فى اشعاره ومفتتح اقواله ، مما يتطير منه او يستجفى من الكلام والمخاطبات كذكر البكاء ووصف الخطوب الحادثة ، فان الكلام اذا كان مؤسسا على هذا المثل تطير منه سامعه ، وان كان يعلم ان الشاعر انما يخاطب نفسه دون الممدوح ، فيتجنب مثل ابتداء الاعشى بقوله : " ما بكاء الكبير بالاطلال "."

---

(١) الديوان ١/٥٤ .

ومثل قول ذى الرمة : " ما بال عينك منها الماء ينسكب "(١).

ومن شروط جودة المطلع ان يتناسب شطرا البيت تناسبا تاما ، فيقول ابن حجة الحموى : وشرطوا ان يجتهد الناظم فى تناسب قسميه بحيث لا يكون شطره الاول اجنبيا من شطره الثانى "(٢) وقد سمى ابن المعتز براعة الاستهلال حسن الابتداء ، وأورد فى هذا الباب قول النابغة :

كليني لهم يا اميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطىء الكواكب (٣)

ومعنى براعة الاستهلال ان يكون مطلع القصيدة دالا على ما بنيت عليه ، مشعرا بغرض الناظم من غير تصريح ، بل باشارة لطيفة تعذب حلاوتها فى الذوق السليم ، ويستدل بها على قصده من عتب ، أو عذر ، أو تنصل ، أو تهنئة ، أو مدح أو هجاء .(٤)

وبعد أن عرفنا المقصود بمطلع القصيدة او ما سماه النقاد بحسن الابتداء او براعة الاستهلال ، وما يجوز فيهما وما لا يجوز ، علينا ان نعرف مطالع شاعرنا وفى اى موضع تقع ، والى اى حد طبق هذه الاراء .

لقد كان شاعرنا حريصا الحرص كله على مطالع قصائده ، لكى تكون طيبة الوقع فى الاسماع ، بعيدة عن التجافى والتنافر فى قسميها ، مشعرة بالغرض من القصيدة ، ولنر امثلة من مطالعه ومدى اجادته فيها ،

---

(١) الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء — تأليف ابى عبيد الله المرزبانى — المطبعة السلفية بمصر — ١٣٤٣ﻫ ، ص ٢٣٧ .
(٢) خزانة الادب وغاية الارب — ابن حجة الحموى — المطبعة المصريه ببولاق ، ص ٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٠ .

فهو يفتتح مرثيته لفريد العصر بقوله :

آيا طالب الدنيا ويا تارك الاخرى ستعلم بعد الموت ايهما احرى (١)

فهو يبدأ البيت بالنداء ، ويوجهه الى المنصرفين فى طلب ملذات الدنيا غافلين عن العمل للاخرة ، ثم ينبههم أن الموت سوف يدركهم ، وسوف يعلمون عندها ان العمل للاخرة أجدر من العمل لمتاع الدنيا الزائل ، ومع هذا فالبيت مشعر بأن القصيدة سوف تكون فى الرثاء .

وكذلك يفتتح قصيدته فى رثاء سراج الدولة بقوله :

ذو التاج يجمع عدة وعديدا والموت يبطش بالالوف وحيدا . (٢)

فهو ينبه السامعين الى ان الملك يجمع العدد والعدة لملاقاة اعدائه ولدفع الشر عن نفسه ، ولكن ليس ذلك بنافعه ، فالموت يستطيع ان يبطش بألوف الناس وحيدا ، فما دام ان الملك بعدته وجنوده لا يستطيع ان يقف فى طريقه ، فما احرانا نحن ان ننتبه له وان نستعد لهذا اليوم لانه لابد وان يدركنا ، فهو ينبههم الى منهايتهم المحتومة ، حتى لا يغتروا وينخدعوا بهذه الدنيا الفانيه ، وما احسن هذا التنبيه فى هذا الموقف ، بالاضافة الى انه مشعر بأن القصيدة فى الرثاء .

ويفتتح احد مراثيه بقوله :

يا كوكبا فى سماء المجد قد غارا ويا هلالا مضى لم يلق ابدارا . (٣)

---

(١) الديوان ١/٤٠ .
(٢) الديوان ١/١٨٨ .
(٣) الديوان ١/١٢٨ .

فبالاضافة الى تساوى شطرى البيت فى الجودة ، يدرك السامع أن هذه القصيدة فى رثاء طفل ، فالفصل كانت قصيدته هذه فى رثاء طفل لعبيد الله بن نظام الملك .

ويبدأ احدى مقطوعاته بقوله :

فؤادى من الشوق المبرح ريان   الى حرم الله المعظم ظمآن (١)

فهذا المطلع يدل على مدى شوق الشاعر الى مكة ، والى الكعبة المشرقة .

ويفتتح احدى مدائحه لابن وهاس بقوله :

معاليك والسمح الطباق سواء   معالى الورى ارض وسلك سماء (٢)

ويبدأ مدحته للرسول عليه الصلاة والسلام ، والتى يعارض بها قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) ، بقوله :

اضاء لى بالللوى والقلب متبول   نجدى برق بنار الحب موصول (٣)

والزمخشرى يسير على هذا المنوال فى معظم قصائده ، وعلى المستزيد ان ينظر فى الملحق الثالث من ديوان الزمخشرى .

٣ - حسن التخلص :

وهو الانتقال من جزء فى القصيدة الى جزء آخر ، وذلك بأن يخرج الشاعر مما بدأ كلامه به من النسب مثلا الى المدح او غيره ، ويقول عنه ابن حجة الحموى فى خزانة الادب : حسن التخلص : هو

---

(١) الديوان ١/٦ .
(٢) الديوان ١/٤٧ .
(٣) الديوان ١/٩٩ .

ان يستطرد الشاعر المتمكن من معنى الى معنى آخر يتعلق بممدوحه بتخلص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الاول الا وقد وقع فى الثانى لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما حتى كأنهما افرغا فى قالب واحد ولا يشترط ان يتعين المتخلص منه بل يجرى ذلك فى اى معنى كان ، فان الشاعر قد يتخلص من نسيب او غزل او فخر او وصف روض أو وصف طلل بال أو ربع خال او معنى من المعانى يؤدى الى مدح او هجو او وصف فى حرب او غير ذلك ، ولكن الاحسن ان يتخلص الشاعر من الغزل الى المدح ، وهذا النوع اعنى حسن التخلص اعتنى به المتأخرون دون العرب ومن جرى مجراهم من المخضرمين ولكنه لم يفتهم ، فانهم اوردوا لزهير فى هذا الباب قوله :

ان البخيل ملوم حيث كان ولكن الكريم — على علاته — هرم

انظر الى هذا العربى القديم كيف احسن التخلص من غير اعتناء فى بيت واحد ، وهذا هو الغاية القصوى عند المتأخرين الذين اعتنوا به.(١)

ولقد كان العرب ومن جرى مجراهم من المخضرمين يتخلصون بقولهم (دع ذا) او (عد عن ذا) ، اما الزمخشرى فقد اعتنى بما اعتنى به المتأخرون وجاء بما اعتبروه الغاية القصوى فى التخلص ، فقد احسن فى تخلصه من غرض الى غرض ، وكثيرا ما كان يأتى تخلصه فى بيت واحد على غرار بيت زهير ، فيكون شطره الاول فى النسيب

---

(١) خزانة الادب — ابن حجة الحموى — ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

مثلا وشطره الثانى فى المديح ، وما يشاكل ذلك ، ومـا انه لا يمكـن تقصى هذا النوع فى جميع شعر الزمخشرى لكثرته ، فاننا نكتفى بضـرب هذه الامثلـة :

يقـول فى قصيدة يمدح فيها نظام الملك :ـ

ومن اجله يطفى النهار سراجـه   فتى بالذى يجلوه حط لثامـه
(١)
يزين شعرى نظم اوصاف حسنـه   كما زين الاسلام عدل نظامـه

فالبيت الاول تابع لما قبله من النسيب ، والهاء من أجلـه تعـود على الحبيبة فى الابيات السابقة ، ثم اتجه ذلك الشطر الاول من البيـت الثانى والذى يتبع ما قبله أيضا وجـر لما بعده ، ثم جاء بالشطر الثانـى فى المديح مباشرة ، دون ان يشعر السامع بانه انتقل من غرض الـى غـرض .

ومثـال هذا ايضا قوله فى قصيدة يمدح بها عبيد اللـه :

الفصـل من حساد تميلـه   والورد من اعداد توريـده
(٢)
ليس له فى الحسن مثـلا ولا   مثل عبيد الله فى جـوده

فبينمـا هو آخذ فى ذكر محاسن حبيبه جاء بالبيت الثانـى ، شطره الاول فى النسيب وشطره الثانى فى المديح ، وانتقل الى غرضـه بكل سهولة ويسـر .

---

(١) الديوان ١٢/١٧ ، ١٣ .
(٢) الديوان ١٣/٢٥٢ ، ١٤ .

ومثال آخر على هذا يظهر في مدحته لمؤيد الملك ، فيقول :

اذا تمدد فوق المتن فاحمه ... رد الفراء الى قصر تمدده

وليس لى غير طول الصبر مستند ... كالملك ليس له الا مؤيده (١)

مؤيد الملك صدر ما جرى قدر ... الا بان يمر السادات سوءدده

هذه الامثلة من حسن تخلصه من النسيب الى المديح ، اما حسن تخلصه من الحكمة الى الرثاء ، فهذه امثله عليه .

يقول الزمخشري في قصيدته التي يرثي بها استاذه فريد العصر :

وكم رب قصر بات يؤنس اهله ... وفي غده قد اوحش الاهل والقصرا (٢)

ومازال موت المرء يخرب داره ... وموت فريد العصر قد خرب العصرا

فالبيت الثاني شطره الاول تابع لما قبله ، الا ان الزمخشري اعتبره كجسر يعبر عليه الى غرضه وهو الرثاء ، وقد احسن في ذلك ، فجاء انتقاله جيدا ، حيث ان السامع لا يشعر بأنه انتقل من جزء الى جزء لحسن الانتقال وبراعة الزمخشري فيه .

وهذا مثل آخر من تخلصه من الشكوى الى المديح :

يقول في قصيدة يمدح بها مجير الدولة :

واصبحت كالمقصوص ريش جناحه ... انوء بركن كلما قمت جانح (٣)

فعند مجير الدولة المستجار لي ... مداواة ادواء وأسو جرائح

فبينما هو آخذ في وصف حالته ، وانه اصبح مثل الطير الذي قصت جناحه ، فلا يستطيع النهوض ، ولكن له ملجأ ومستجار عند مجير

---

(١) الديوان ١١٤/١٠ — ١٢ .
(٢) الديوان ٤٠/١٥ ، ١٦ .
(٣) الديوان ٢٠/١٠ ، ١١ .

الدولة ، فهو الذى سوف يداويه ويأسو جراحه ، فهو يستغل اسم مجير الدولة فيجعل من نفسه فى حاجة الى الاجارة حتى يدخل الى مدح مجير الدولة دون أن يشعر السامع أن الزمخشرى انتقل من غرض الى آخر ، ولقد اختلف تخلصه هذا عن سابقه ، لانه جاء فى بيتين •

وهذه الامثلة التى ضربناها قليل من كثير •

٤ ـ حسن المقطع :

والمراد به حسن الخاتمة ، وقد اهتم به الشعراء والنقاد غاية كبرى لانه آخر ما يبقى فى الاسماع ، وربما حفظ من بين سائر الكلام لقرب العهد به ، وأن يكون مؤذنا بالانتهاء بحيث لا يبقى تشوقا لسماع شئ بعده • ويقول ابن حجة الحموى : " وهذا النوع الذى يجب على الناظم والناثر ان يجعلاه خاتمة لكلامهما مع انهما لابد أن يحسنا فيه غاية الاحسان ، فانه آخر ما يبقى فى الاسماع ، وربما حفظ من دون سائر الكلام فى غالب الاحوال فلا يحسن السكوت على غيره " • (١)

ويقول ابو هلال العسكرى : وكلما رأينا بليغا الا وهو يقطع كلامه على معنى بديع ، او لفظ حسن رشيق • (٢) وفى موضع آخر يقول : " ينبغى ان يكون آخر بيت فى قصيدتك اجود بيت فيها ، وأدخل فى المعنى الذى قصدت له فى نظمها ، كما فعل ابن الزبعرى فى آخر

---

(١) خزانة الادب ـ ابن حجة الحموى ـ ص ٥٦٢ •
(٢) كتاب الصناعتين ـ العسكرى ـ ص ٤٦٣ •

قصيدة يعتذر فيها الى النبى صلى الله عليه وسلم ويستعطفه :

فخذ الفضيلة عن ذنوب قد خلت   واقبل تضرع مستضيف تائب

فجعل نفسه مستضيفا ، ومن حق المستضيف ان يضاف ، واذا أضيف فمن حقه ان يصان ، وذكر تضرعه وتوبته مما سلف ، وجعل العفو عنه مع هذه الاحوال فضيلة ، فجمع فى هذا البيت جميع ما يحتاج اليه فى طلب العفو.(١)

ومن امثلة المقطع الحسن فى الشعر ،قول لقيط فى آخر قصيدة :

لقد محضت لكم ودى بلا دخل   فاستيقظوا ان خير العلم مانفعا (٢)

لانه قطع قصيدته على حكمة عظيمة الموقع .

وبما ان الشعراء والنقاد قد اهتموا به ، فما موقف شاعرنا منه ؟

وهل أجاد فيه ، ام جانبه التوفيق؟.

لقد اعتنى شاعرنا بمقاطع قصائده كما اعتنى بمطالعها ، وحسن الانتقال فيها من غرض الى غرض ، فمن امثلة المقطع الحسن عند الزمخشرى ، قوله فى آخر قصيدة يمدح بها الرسول عليه الصلاة والسلام :

ومن فى كتاب الله اكمل مدحه   فكل مديح ما خلا ذاك ناقص . (٣)

فما دام ان الله سبحانه وتعالى قد اكمل مدح رسوله فى كتابه العزيز بقوله تعالى : (وانك لعلى خلق عظيم) (٤) ، فمهما مدحه البشر فلن يوفوه حقه ، وقد ختم الزمخشرى قصيدته بهذا المعنى الرائع ،

---

(١) المرجع السابق ص ٤٦٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٦٤   والدخل : الفساد
(٣) الديوان ٢/ ٦٠ .
(٤) سورة القلم آية ٤ .

واعتقد جازما بأن كل من يسمع هذا البيت يعلم بأن القصيدة قد انتهت ، ولن يطلب السامع مزيدا من القول .

وفى قصيدته التى يهنئ مؤيد الملك بالوزارة ، يختتمها بقوله :

دعاك ربك واسترعاك امته فأنت أحوط مسترعى ومتملك (١) .

فبعد ان جعله بمرتبة الانبياء حتى ان الله دعاه لكى يسترعيه الامه ، وان الممدوح هو خير من يقوم بهذا العمل ، لم يتعب هذا القول قولا لقائل .

وفى مدح مجير الدولة يختتم قصيدته بقوله :

وخير لباس شرف المرء لبسه لباس ثناء طيب الذكر صالح (٢) .

فبعد ان جاء بخير لباس ، وألبسه للممدوح ، وهو لباس الذكر الطيب ، فلن يستطيع ان يأتى بشئ بعد هذا .

واما فى مرثيته لنجاح فيقطعها بقوله :

وما حى على الحدثان باق وكل حمى منيع مستباح (٣) .

ختمها بهذه الحكمة التى يدركها كل صاحب عقل .

ويقطع احدى مراثيه بحكمة رائعة لانها موافقة للواقع ، فيقول :

والمرء بين شريحى فرحة واسى وواقف بين ارزاء واعراس (٤) .

من كل ما سبق نرى ان الزمخشرى قد أجاد فى اختيار مقاطع قصائده وهذه الامثلة بعض ما عنده .

---

(١) الديوان ١١٥/٦ .

(٢) الديوان ٤٧/٢٠ .

(٣) الديوان ١٤/١٤٦ .

(٤) الديوان ١٤/١٢٧ .

٥ ـ وحدة البيت والتضمين :

ان معظم نقاد العرب يتفقون على استقلال البيت الواحد بمعناه ، وهم في هذا يستجيبون للطبيعة العربية التي تؤثر الايجاز ، وترى أن البيت الواحد ايسر على الالسنة ، وتفضل لذلك ان يكون البيت الذى يدور على السنتها تام المعنى غير محتاج الى سواه ، وفي هذا يكمن سر اعجابهم بالحكمة الرضية والمثل السائر كل الاعجاب . وعد النقاد من العيوب في الشعر أن يحتاج البيت الى غيره ليتم معناه ، وسمى المرزباني ـ صاحب الموشح ـ البيت المحتاج في اكمال معناه الى غيره مبتورا ، فهو يقول : " ومن عيوب الشعر (المبتور) وهو ان يطول المعنى عن ان يحتمل العروض تمامه في بيت واحد فيقطعه بالقافية ، ويتمه في البيت الثاني ، مثال ذلك قول عروة بن الورد :

فلو كاليوم كان على امرى ومن لك بالتدبر في الامور

فهذا البيت ليس قائما بنفسه في المعنى ولكنه اتى في البيت الثاني بتمامه فقال :

اذا لملكت عصمة أم وهب على ما كان من حسك الصدر (١)

وفي موضع آخر يميز صاحب الموشح بين البيت المتعلق بقافية سابقة ويسميه التضمين ، اما اذا كان التعلق مما يقتضيه المعنى مع صحة الوقوف على البيت الاول ، فيسميه بالاقتضاء ، فهو يقول : " حدثني على بن هارون قال : التضمين احد عيوب القوافي الخمسة وليس يكون فيه اقبح من قول النابغة الذبياني :

---

(١) الموشح ـ المرزباني ـ ص ٨٦ .

وهم وردوا الجفار على تميم وهم اصحاب يوم عكاظ انى
شهدت لهم مواطن صالحات اتينهم بحسن الود منى

أما قول امرئ القيس :

وتعرف فيه من ابيه شمائلا ومن خاله ومن يزيد ومن حجر
سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا ونائل ذا ، اذا صحا واذا سكر

فليس ذا بمعيب عندهم وان كان مضمنا لان التضمين لم يحلل قافية البيت الاول مثل قوله (انى شهدت لهم) ، وقد يجوز ان يوقف على البيت الاول مبن بيتى امرئ القيس ، وهذا يسمى عند نقاد الشعر الاقتضاء ، ان يكون فى الاول اقتضاء للثانى ، وفى الثانى افتقار الى الاول ". (١)

اما صاحب العمدة فيقول : " والتضمين : ان تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها كقول النابغة : وهم وردوا ... (٢) اى انه اعتبر التضمين شامل لكل الانواع .

اما القاضى ابو يعلى فقد عرف التضمين بقوله : " هو تمام وزن البيت قبل تمام معناه " (٣) ، واطلق على بيتى النابغة الاغرام ، وجعل التضمين مثل قول الشاعر :

اما وى ان يصبح صداى بقفرة من الارض لا ماء لدى ولا خمر
ترى ان ما املكت لم يك ضرنى وان يدى مما علقت به صفر . (٤)

---

(١) الموشح — المرزبانى — ص ٤١ .
(٢) العمدة — ابن رشيق — ج ١ ص ١٧١ .
(٣) كتاب القوافى — ابو يعلى — ص ١٦٥ .
(٤) المرجع السابق ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

بغض النظر عن الخلافات السابقة فى التسمية فقد اشتهر اسم تعلق البيت الاول بالثانى ، بالتضمين ، ولكن الذى علينا أن نعرفه ، انه اذا كان التعلق للقافية فهو العيب ، وهو ما اطلق عليه البلاغيون التضمين ، واعتبروه من عيوب القافية ، وكلما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثانى بعيدة من القافية كان اسهل عيها من التضمين .

اما شاعرنا فالبيت الشعرى عنده مستقل بمعناه بشكل عام ، لذلك كثرت الحكم فى شعره ، ومع ذلك فقد كثر الاقتضاء فى شعره أيضا كثرة ملحوظة ، ومما ان الشواهد على وحدة البيت فى شعره عديدة وهى الاكثر بالنسبة للشواهد المتعلقة بالاقتضاء والتى تعد خروجا على القاعدة وشذوذا عن الاصل .

ومن الجدير بالذكر ان التضمين الوارد فى شعر الزمخشرى انما هو من النوع المسمى بالاقتضاء ، اذ ليس التعلق للقافية ، انما هو لاتمام المعنى فى البيت الاول .

وهذه امثلة على ذلك :

يقول الزمخشرى فى قصيدة رقم (٥) :

وما العسل الماذى ممزوجة به ... مشعشعة صهباء من راح صرخدا
ألذ مساغا من سجاحة خلقه ... اذا ضج ذو الخلق الشيح وعربدا .(١)

---

(١) الديوان ٥/٢٢ ، ٢٣ .

وفى قصيدة رقم (٧) يقـول :

ولو كنت نظاراً بعين بصيرة   تأمل ذات الحق كى يستبينها
اذا كنت مختاراً خشونة عيشتى   هناك ولم اختر خوارزم لينها (١)

وفى قصيدة رقم (١٣) يقـول :

فلما قضت نفسى - ولله درها -   لبانة دار زندها غير خياب
كررت الى بطحاء مكة راجعا   كأنى ابو شبلين كر الى الغاب (٢)

وفى نفس القصيدة أيضا يقـول :

اذا التصقت فى آخر الليل لبتى   بملتزم الابرار من ايمن الباب
او التصقت بالمستجار او التقت   على الركن اجفانى بسح وتسكاب (٣)
فقل ملوك الارض يلهوا ويلعبوا   فذلك لهوى ما حييت وتلعابى .

واكثر التعلق كان عند الزمخشرى فى الشرط حيث ان فعل الشرط يأتى فى بيت وجوابه فى بيت آخر ، لعدم اتساع الوزن لجملتى الشرط. وكما لاحظنا فى الاراء السابقة ان معظم النقاد لا يحدونه عيبا .

٦ - وحدة القصيدة :

ان اهتمام الشعراء والنقاد بوحدة البيت لم يصرفهم عن العناية بوحدة القصيدة ، ويعنون بوحدة القصيدة : تلاحم اجزائها وانسجام اقسامها ، فكأنها جسم واحد متناسق الاعضاء ، متحد التركيب ، وقد رأينا كيف حرص الشعراء المتأخرون على حسن التخلص من الغزل الى

---

(١) الديوان ٩/٧ ، ١٠ .
(٢) الديوان ٣/١٣ ، ٤ .
(٣) الديوان ٧/١٣ ، ٨ ، ٩ .

غيره من الاغراض ، ليظهروا ان علمهم متناسق وغير مقسم الى اشلاء متناثرة ، ويمكن أن تحقق القصيدة هذه السمة بأساليب منها وحدة الموضوع ، وتجاوب اوصالها بحسن التخلص من فكرة الى فكرة ، وبناء الخواتيم على المقدمات بحيث يستدعي كل معنى مابعده ، فلا يبدو النشاز بين فقرها ولا يظهر التفكك في فكرها .

ولقد حاول النقاد ان يقرروا هذه القواعد لتكون اساسا يبني عليه الشاعر قصيده ، فيروي صاحب الموشح عن ابن طباطا العلوي قوله :

" ينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره وتنسيق ابياته ويقف على حسن تجاورها او قبحه ، فيلائم بينها ، لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها[1] "

ويقول الجاحظ : " والقصيدة اذا كانت كلها امثالا لم تسر ، ولم تجر مجرى النوادر ، ومتى لم يخرج السامع من شيء الى شيء لم يكن لذلك عنده موضع "[2] .

حتى أن التضمين والذي اعتبره الكثير من النقاد عيبا في القصيدة العربية ، يعتبره ابن الاثير نوعا من التلاحم والترابط ، واستشهد على ذلك بآيات من القرآن الكريم[3] ، مع الفارق في القياس . وقد كفانا النقاد النقاش حول موضوع التضمين اهو عيب ام لا ؟ ، بان اجمعوا او كادوا على عيبه .

---

(١) الموشح — المرزباني — ص ٢٣٧ .
(٢) البيان والتبين — الجاحظ — تحقيق عبدالسلام هارون — ط ٣ ج١/ ٢٠٦ .
(٣) المثل السائر — ابن الاثير — ص ٢٩٤ .

مما تقدم نرى ان الشعراء والنقاد العرب تمسكوا بوحدة القصيدة ، ومع هذا فقد تعرضت وحدة القصيدة العربية الى هجمات كاسحة ، فكثيرا ما اتهمت القصيدة العربية بأنها مفتقدة الى هذه الوحدة ، والحقيقة ان هذه تهمة تحتاج الى دليل ودعوى تفتقر الى برهان ، ذلك لان الشعر العربي القديم اكثره ذاتي ينطق بلسان صاحبه ويعبر عن خلجات نفسه ونوازعها ، فمعظم الشعر العربي القديم غنائي ، والقليل منه موضوعي . والقصيدة العربية وان كانت في كثير من الاحيان تتكون من اغراض عدة كالغزل والمدح والحكمة والوصف ، فليس ذلك بموجب ان تتفكك الوحدة او تصبح القصيدة اخلاطا ، فقد جعل مقصد القصيد كل غرض من هذه الاغراض مقدمة لما بعده ، كما مر معنا في رأى ابن قتيبة في بناء القصيدة العربية ، فالشاعر كان يتصور لها وحدة متصلة الاجزاء يسلم الواحد منها الى صاحبه .

ولعل من اقوى النصوص التي وردت عن نقاد العرب في وحدة القصيدة هو ما رواه ابن رشيق اذ يقول : " ان القصيدة مثلها مثل خلق الانسان في اتصال بعض اعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الاخر ، وباينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه ، وتعفى معالم جماله . ووجدت حذاق الشعراء وارباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذه الحال احتراسا يحميهم من شوائب النقصان ، ويقف بهم على محجة الاحسان " .(١)

---

(١) اسس النقد العربي ـ احمد احمد بدوى ـ ص ٣٢٦ .

وهـذا رد واضح على من ينكرون الوحدة فى القصيدة العربيـة ، فالقصيدة وان اختلفت اجزاؤها تكون وحدة مترابطة منسجمة كاملة الاتصال، مثلها فى ذلك مثل خلق الانسـان.

ولكـن علينا ان لا نطلب من شعرنا الغنائى او ننتظر منـه وحـدة مثل الوحدة التى نلاحظها فى الشعر العربى الحديث وخاصة الوضعيـى منـه ، كمـا هو عند خليل مطران مثلا ، لان هذا الشعر الموضوعـى يعبر فيه الشاعر عن ذوات الاخرين بشكل قصصى تاريخى يسـود فيـه الوقائع الواحدة تلـو الاخرى ، انما نلتمس الوحدة فى شعرنا القديـم يربط معانيه كيفما تشعبت بشخصية الشاعر وذاته ، اذ هـو المحور الـذى تدور عليه هذه المعانـى.

وبالنسبة لشعر الزمخشرى ينطبق عليه ما ينطبق على الشعر العربى القـديم ، ومع ذلك فان اشعاره تتميز على هذا الشعـر بأنها اكثـر ذاتيـة واكثر وحدة فـى قصائدها ، وخاصة المقطوعات ، فالزمخشرى كـان شاعرا فرديا بالدرجة الاولى ، فهو لم يتكلم باسم قبيلة ولا باسم حـزب سياسـى.

والامثلة على ذلك من الكثرة بحيث لا تحصى ، فمعظم قصائده التى لا تبدأ بمقدمات ، والمقطوعات ، فى موضوع واحد ، يبـدأ الشاعر بـه وينتهى فيـه لا يحيـد عنـه.(١)

---

(١) انظر نماذج من ذلك / الديوان ١٠، ١٣، ٢٨، ٣٢، ٣٥، ٣٩، ٤٧.

بعد هذا الحديث عن وحدة البيت والقصيدة في شعر الزمخشري نأتي الى موضوع آخر لا يتعلق بهيكل القصيدة وأجزائها بقدر ما يتعلق بموسيقاها وانغامها ، واعني وزنها وقافيتها .

٧ـ الاوزان :

حصر الخليل بن احمد (١٠٠ ـ ١٧٥ هـ) اوزان الشعر التي نظم عليها العرب في خمسة عشر بحرا ، واجهد تلميذه الاخفش (ت٢٢١) نفسه ان يجد غيرها فلم يظفر الا ببحر واحد سماه المتدارك ، لانه تدارك به على الخليل .

والملاحظ ان كل ما قيل من شعر جاهلي وحتى آخر العهد الاموي لا يخرج بحال عن هذه البحور الستة عشر ، ومع ان معظم الشعراء في العصر العباسي وبعده ظلوا ينظمون عليها ، الا ان بعض المولدين قد نظموا على اوزان غيرها ، وقد جاء هذا الجديد على نوعين ، الاول : مأخوذ من البحور الجاهلية بالقلب او التحريف ، فالمستطيل مثلا مقلوب الطويل واجزاؤه (مفاعيلن فعولن) اربع مرات وما جاء بالتحريف مثلا المتوافر فهو محرف الرمل ، فقد ابدلت النون الساكنة في فاعلاتن بكاف متحركة ، وحذف السبب من تفعيلتي الضرب والعروض فصارت فاعلاتن ، فاعلن ، واصبح وزن المتوافر (فاعلاتك ، فاعلاتك ، فاعلن) مرتين ، والثاني : ما جاء على اوزان غير اوزان البحور وهو فنون سبعة ، ثلاثة لا يجوز فيها اللحن مطلقا وهي الدوبيت ، والسلسلة ، والموشح ، وثلاثة ملحونة دائما وهي الزجل والكان كان والقوما ، وواحد

كالبرزخ بين هذه وتلك ، يكون معربا وملحونا ، على الا يجتمع الاعراب واللحن فى دور واحد وهو الموالیـــا . (١)

ويقـدم لنا الزمخشرى رأيه فى الاوزان فى مقدمة كتابه (القسطـــاس المستقيم فى علم العروض ، تحت عنوان : " بناء الشعر العربى علـــى الوزن المخترع الخارج عن بحـور شعر العرب " . بقوله : " لا يقدح كونـه شعرا عند بعضهم ، وبعضهم أبى ذلك وزعم انه لا يكـون شعرا حــتى يقتصـــر فيه على وزن من اوزانهم ، والذى ينصر المذهب الاول أن حد الشعر : (لفظ موزون مقفى يدل على معنى) فهذه اربعة اشـــياء : اللفظ ، والمعنى ، والوزن ، والقافيـــة .

فاللفـظ وحده وهو الذى يقع فيه الاختلاف بين العرب والعجـم ، فان العربى يأتى بـه عربيا والعجمى عجميا . فأما الثلاثة الاخـــر : فالامر فيهـا على التساوى بين الامم قاطبة . الا ترى انا لو عملنـــا قصيدة على قافية لم يقف بها احد من شعراء العرب ، ساغ ذلك مساغا لا مقال فيه . وكذلك لو اخترعنا معانى لم يسبقوا اليها ، لـم يكـــن بنـا بأس ، بـل يعد ذلك من جملة المزايا ، وذلك لان الامم عـــن آخرها متساوقة الى المعانى والقوافى والافتنان فيها لا اختصاص لهــــا بأمة دون امة ، فكذلك الوزن يتساوى الناس فى معرفته ، والاحاطــة به ، فان الشيئين اذا توازنا وليس لاحدهما رجحان على الاخر فقـد عادل هذا ذاك ككفتى الميزان . (٢)

---

(١) انظر تاريخ الادب العربى — السباعى — ص ٣١٦ ، ٣١٧ .
(٢) هذا الرأى يماثل رأى ابن خلدون فى مقدمه الفصل الخامــس والخمسين : (فى صناعة الشعر ووجـه تعلمه) . (القسطاس — الزمخشرى تحقيق د . بهيجـة الحسينى — هامش ص ٥٦ .

ثم أن من تعاطى التصنيف فى العروض من اهل هذا المذهب فليس غرضه الذى يؤمه ، ان يحصر الاوزان التى اذا بنى الشعر على غيرها لم يكن شعرا عربيا ، وان ما يرجع الى حديث الوزن مقصور على هذه البحور الستة عشر لا يتجاوزها ، وانما الغرض حصر الاوزان التى قالت عليها العرب اشعارها ، وليس تجاوز مقولاتها بمحظور فى القياس على ما ذكرت .(١)

فالحاصل ان الشعر العربى - من حيث هو عربى - ما يفتقر قائله فيه الى أن يطأ اعقاب العرب فيه الا فيما يصير به عربيا ، وهو اللفظ فقط . لانهم هم المختصون به ، فوجب تلقيه من قبلهم ، فأما اخواته البواقى فلا اختصاص لهم بها البتة لتشارك العجم والعرب فيها والله اعلم .(٢)

ومع رأى الزمخشرى هذا فى الاوزان الا انه لم يخرج فى نظمه على الاوزان العربية المعروفة ، بل انه لم ينظم عليها جميعها ، فقد جاء شعره فى الديوان على ثلاثة عشر بحرا .

وهذا جدول يبين البحور الشعرية التى نظم عليها الزمخشرى شعره وجانب كل بحر القصائد والمقطوعات وعدد الابيات التى نظمت فيه :

---

(١) يناصره فى هذا الرأى السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ فى كتابه (مفتاح العلوم) . (القسطاس - الزمخشرى - تحقيق د . بهيجة باقر الحسينى - هامش ص ٥٧) .
(٢) القسطاس - الزمخشرى - تحقيق د بهيجة باقر الحسينى ص ٥٦ - ٥٧ .

الرقم	البحر	عدد القصائد	عدد المقطوعات	مجموع الابيات
١	الطويل	٥٠	٤٦	١٩١٨
٢	المديد	١	١	٢٨
٣	البسيط	٢٢	١٥	٥٨٣
٤	الوافر	١١	١٢	٣٩٧
٥	الكامل	٣٢	٣٩	١٢١٤
٦	الرجز	٣	٧	١٠٦
٧	الرمل	٣	٨	١٢٥
٨	المريع	٥	٦	[illegible]
٩	المنسرح	٥	٦	١٧٦
١٠	الخفيف	٨	٥	٢١٨
١١	المضارع	—	١	٤
١٢	المجتث	١	—	٥٠
١٣	المتقارب	٧	٩	١٩٨

من الجدول السابق نلاحظ كثرة نظم الزمخشرى على البحر الطويل ، واذا ما ذهبنا نحلل هذه الكثرة ، وجدنا ذلك يعود الى ان هذا البحر طويل التفعيلات مديدها ، تام الاجزاء عديدها ، يعطى الناظم فيه قدرة كافية للتعبير عن افكاره ، ومعانيه بكل حرية فهو يستوعب الانفعالات الطويلة التى تخرج من نفس متأججة .

وقريب من هذا البحر فى خصائصه بحور البسيط والوافر والمتقارب والكامل ، مع شئ من التقارب بينهما .

" فالبسيط يقرب من الطويل ، وان كان لا يتسع مثله لاستيعاب المعانى ، ولكنه يفوقه رقة ، والوافر آلين البحور يشتد اذا شددته ويرق اذا رققته ، واكثر ما يجود به النظم فى الفخر وتجود به المراثى ، والكامل اتم البحور السباعية يصلح لاكثر الموضوعات ، وهو فى الخبر اجود منه فى الانشاء واقرب الى الشدة منه الى الرقة ، والمتقارب بحر فيه رنة ، ونغمة مطربة ، وهو اصلح للعنف والسير السريع ."(١)

فكما لاحظنا كل بحر له خصائصه التى تميزه عن غيره ، وبذلك يكثر نظم الشاعر على البحر او يقل حسب خصائص هذا البحر واتساعه للمعانى التى يريدها الشاعر .

٨ ـ القافيـــة :

لقد التزم العرب القافية فى القصيدة الواحدة ، كما التزموا فيها الوزن ، فلم يغيروا حرف القافية فى قصيدة مهما طالت ، بل لم

(١) اسس النقد الادبى ـ احمد احمد البدوى ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

يحيدوا عن نظم راعواها فى مجموع الحروف التى تشملها القافية فى نهاية البيت ، وقد اختلفت الاقوال فى معانى القافية (١) ، ونأخذ من بينها أحد قولين للخليل بن احمد وهو ان القافية الساكنان الاخران من البيت وما بينهما مع حركة ما قبل الساكن الاول منهما ، وعلى هذا القول تكون القافية فى قول الشاعر :

اذا ما أتت من صاحب لك زلة   فكن انت محتالا لزلته عذرا

تكون القافية حركة العين والذال والراء والالف .(٢)

وقد استمر هذا الالتزام بالقافية عند الشعراء الى نهاية العصر الاموى ، كما كانت الحال فى الاوزان ، ثم افلت الشعراء بعده من القافية كما افلتوا من الوزن ، وقد انحصر خروجهم عنها فى ثلاثة ألوان : المزدوج ، والمشطر ، والمسمط .

ولكن شاعرنا التزم القافية فى جميع شعره ولم يخرج عنها فى اى بيت منه ، ولم يستعمل هذه الالوان.

ومن الملاحظ ان الزمخشرى لم يستغرق احرف الهجاء فى النظم -بالنسبة للروى - ومن هنا كثرت بعض قصائده على روى معين ، وقلت على روى ، وانعدمت على روى آخر ، وهذا جدول حروف الروى والقصائد والمقطوعات المنظومة عليه ، وعدد الابيات على كل حرف :

(١) انظر كتاب القوافى لابى يعلى التنوخى ص ٢٩ ومابعدها .
(٢) كتاب القوافى لابى يعلى التنوخى ص ٣٧ .

الرقم	حرف الروى	عدد القصائد	عدد المقطوعات	مجموع الابيات
١	الهمزة	٣	٥	٩٠
٢	الباء	١٢	١٥	٤١٤
٣	التاء	٥	٤	١٤٠
٤	الثاء	٢	١	٤٨
٥	الجيم	٤	٥	٢٠٠
٦	الحاء	٦	٤	٢٣٤
٧	الخاء	—	—	—
٨	الدال	١٦	١٤	٥٩٥
٩	الذال	—	٢	٥
١٠	الراء	٢٦	٢٢	٨٦٣
١١	السين	٦	٥	١٦١
١٢	الشين	١		٤٧
١٣	الصاد	١	١	٦٢
١٤	الضاد	٢	٤	٥٥
١٥	الطاء	١	—	٢٢
١٦	العين	٨	٤	٢٧٤
١٧	الغين	—	١	٨
١٨	الفاء	٤	٧	٢٨١

الرقم	حرف الروى	عدد القصائد	عدد المقطوعات	مجموع الابيات
١٩	القاف	١٢	٦	٣٦٥
٢٠	الكاف	٦	٦	٢٠٠
٢١	اللام	١٤	١٠	٣٦٥
٢٢	الميم	٦	١٢	٢٢٣
٢٣	النون	٥	١٧	١٧٦
٢٤	الهاء	٤	٨	١٤٩
٢٥	الواو	—	٤	٨
٢٦	اللام ألف	—	٢	٩
٢٧	الياء	٤	٤	١٣٧
٢٨	الالف	١	—	٣٨

اما من حيث الاطلاق والتقييد فى قوافى شاعرنا فقد استخدم النوعين ، ونظرة سريعة الى الملحق الثالث تريك القوافى المطلقة والقوافى المقيدة .

وللقافية موضعان احدهما يستعمل فيه على سبيل الاستحباب والاخر يستعمل فيه على سبيل اللزوم ، فالذى يستحب فيه عروض البيت ، والذى يلزم فيه ضربه ، ومن الامور التى تتعلق بهذين الموضعين ، التقفيه والتصريع والتخميع .

اما التقفية فهى أن يأتى الشاعر فى عروض البيت بما يلزمه فى ضربه من غير ان يرد العروض الى صيغة الضرب ، ومثال ذلك قول الشاعر :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فالتقفيه ايتاؤه فى قافية النصف باللام التى هى الروى والياء هى الوصل ، وهذان الحرفان هما اللذان لزماه فى القافية ومع ذلك فلم يغير صيغة العروض لان العروض مفاعلن والضرب مفاعلن. (١)

اما التصريع فهو أن يغير صيغة العروض فيجعلها مثل صيغة الضرب ، ويستصحب اللوازم فى الموضعين (٢) . ومثل هذا تعريف صاحب العمدة : (التصريع : ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه ، تنقص بنقصه وتزيد بزيادته ، نحو قول امرئ القيس فى الزيادة :

قفانبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان

فالعروض هنا مفاعيلن وهى فى سائر الابيات مفاعلن. (٣)

واما التخميع فهو أن يخلى الشاعر عروض البيت من التصريع والتقفيه ويدرج الكلام فيكون وقوفه على القافية. (٤)

واذا ما تصفحنا اشعار الزمخشرى وجدناه قد استخدم التقفيه فى كثير من قصائده ، فنظرة سريعة الى الملحق الثالث تريناان

---

(١) القوافى - ابو يعلى التنوخى ص ٤٥ ، ٤٦ ، والعمدة ج ١ ص ١٧٣.
(٢) القوافى - ابو يعلى التنوخى - ص ٤٦ .
(٣) العمده - ابن رشيق - ج ١ ص ١٧٣ .
(٤) القوافى - ابو يعلى التنوخى - ص ٥٢ .

اكثر من مائة وستين قصيدة ومقطوعة مقفاة .

وكان الزمخشري يكرر التقفية في نفس القصيدة الواحدة كما في قصيدة رقم (٣) ، فهو يقول في مطلعها :

ايا عرصات الحى اين الاوانس ؟ رحلن وحلتك الظباء الكوانس

ثم يعود في البيت الثامن عشر فيقول :

اباء اباء الخيل وهى شوامس وصبر كصبر الهيم وهى خوامس

ومثل هذا ايضا ما جاء في قصيدة رقم (٣٣) فيقول في مطلعها :

الا قل لسعدى مالنافيك من وطر وما تطبينا النجل من اعين البقر

ثم يعود في بيت ٢٨ فيقول :

ايا دوحة العلياء طاب لك الثمر ثانت سقاك الله من اطيب الشجر

كما وان الزمخشري قد استخدم التصريع بكثرة وخاصة في البحر الطويل ، حيث لا تأتى العروض تامة مفاعيلن ، بل تأتى مفاعلن ، الا انه استعملها تامة في كثير من مطالع قصائده ، وهو جائز من اجل التصريع ، ففى مطلع القصيدة رقم (٦) يقول :

فؤادى من الشوق المبرح ريان الى حرم الله المعظم ظمآن

فالعروض هنا مفاعيلن ، مع انها في سائر الابيات مفاعلن .

وكذلك يفتتح قصيدة رقم (١٠) بقوله :

هو النفس الصعاد عن كبد حرى الى ان ارى ام القرى مرة اخرى

فالعروض مفاعيلن ، وفي سائر الابيات مفاعلن .

ومثل هذا ايضا قصيدة رقم (١١) ، وقصيدة رقم (٤٧) .

ومع ذلك فقد جاء التخميع فى كثير من شعره ، وهو ليس بعيب ، فقد أتى فى اشعار كبار الشعراء العرب ، ومن التخميع قولـه :

عراقية سارت بنا وكأ ـــنى   بها بعد ايام حجازية السـير

وقولـه :

رضى الملوك المجد يشهد ان فى   مماليك اسرار بها المجد جاهـل

وعلى المتزيد أن ينظر الملحق الثالث .

ومن الملاحظ ان التخميع جاء معظمه فى المجموعات الشعرية ذات العدد القليل ، ولكن التصريع والتقفيه يعوان فى معظم القصائد الطويلـة نسبيـا .

اما بالنسبة للعيوب التى تلحق القافية فأهمها الاقواء والاكفـاء والسناد والايطاء والتضمين . وقد لاحظنا ان التضمين على كثرته فى شعره قد جاء تعلقه ليس للقافية فحسب بغيرها من كلمات البيت ، وما انتا مثلنا عليه بشواهد كافية فلننصرف الى معرفة العيوب الاخرى وهل وجدت فى شعره ام استطاع التخلص منهـا .

اما الاقواء وهواهم عيوب القافية فقد جاء بكثرة فى شعر العرب الاقدمين ، وخاصة عرب الجاهلية ، ومن اشهر من كان يقوى آنئذ ، النابغة الذبيانى وبشر بن ابى خازم الاسدى ، والاقواء هو اختـلاف حركات الروى لاختلاف الاعراب ، وقد استطاع الزمخشرى أن يجنب قوافيه هذا العيب الا فى النادر ، وحتى هذا النادر يمكن التخلص منه بتسكين القافيـة .

والاكفاء (١) : هو تغيير حرف الروى ، ولو كان الحرفان متقاربين ، وقد تخلص الزمخشرى منه ولم يرد فى شعره.

والسناد (٢) : هو اختلاف ما يراعى قبل الروى من الحروف والحركات، وقد ابتعد عنه الزمخشرى أيضا.

وأما الايطاء فهو اعادة القافية فى الشعر ، واقبح الشعر ما تقارب فيه القافيتان ، مثل ان يكون البيتان متجاورين ، او بينهما بيت او اثنان او ثلاثة ، وقد ورد الايطاء فى شعر الزمخشرى فى ابيات له رواهن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب ، وهن غير موجودات فى الديوان ، وهى قوله :

اقول لظبى مربى وهو رائع ‏ ‏ ‏ ‏ أأنت أخو ليلى ؟ فقال : يقال.
فقلت وفى حكم الصبابة والهوى ‏ ‏ ‏ ‏ يقال اخو ليلى ، فقال : يقال.
وفى ظل الاراكة والحمى ‏ ‏ ‏ ‏ يقال ويستسقى ، فقال : يقال (٣).

اما اذا كانت الكلمتان متفقتين لفظا مختلفتين معنى فلا ضير فى ذلك ولا يعد عيبا ، وقد ورد هذا فى شعره مثل قوله :

ان التفاسير فى الدنيا بلا عدد ‏ ‏ ‏ ‏ وليس فيها لعمرى مثل كشافى
ان كنت تبغى الهدى فالزم قراءته ‏ ‏ ‏ ‏ فالجهل كالداء والكشاف كالشافى (٤)

---

(١) كتاب القوافى — ابو يعلى التنوخى ص١٣٩.
(٢) المرجع السابق ، ص١٥٤.
(٣) شذرات الذهب — العماد الحنبلى — المكتبة التجارية ج ٤ ، ص ١٢١.
(٤) مفتاح السعادة — طاش كبرى زاده — دار الكتب الحديثة — ج ٢ ص ١٠ ، معجم الادباء — ياقوت — دار المأمون — الاخيرة ج ١٩ ص١٢٩ ، ازهار الرياض — ج ٣ /٢٩٦.

فكشاف فى البيت الاول يقصد بها ، كتابة فى التفسير ، وكالشافى فى البيت الثانى مكونة من كاف التشبيه ، والشافى اى الذى يشفى من الامراض ، لانه شبه الجهل بالداء ، وشبه الكشاف بالبلسم الذى يشفى هذا الداء .

وقوله فى برد خوارزم :

برد خوارزم لعمرى عجب   هد من شدته او صاليا
لا ترى فى الناس الا رجلا   داخلا حمامه او صاليا
رحم الله امرء أمات بالفحم   من ميراثه او صاليا (١)

فاوصاليا فى البيت الاول بمعنى اطراف الانسان ، وفى البيت الثانى مركبة من (او) العاطفة و (صاليا) اى مصليا بالنار ، وفى البيت الثالث مركبة من اوص ، من الوصية ، و (لى) اى لام الملك وياء المتكلم .

وفى بيتين آخرين يقول :

ومن يحنو على جار اذا ما   على جار فنحن عليه نحنو
ومن يحنو على جارا ذا ما   وها الحدثان ان لم نحن نحن (٢)

فنحنو فى البيت الاول بمعنى نرحم ، وفى البيت الثانى ضمير المتكلمين .

ومما تقدم نرى ان الزمخشرى كما استطاع ان يحسن فى شعره بحسن المطلع وحسن التخلص وحسن الخاتمه ، فقد استطاع ان يجنب شعره عيوب القافية .

---

(١) الديوان ١/٢٤٨ ـ ٣ .
(٢) الديوان ١٤٨/ ٢٢١ .

المبحث الثاني / المضمون

- محدودية المضامين ـ التكرار .
- المعاني القديمة والمبتكرة .
- السرقات الشعرية .
- التضمين والاقتباس من القرآن والسنة والامثال والاشعار والقصص .
- الغموض والوضوح .
- الصدق .
- الجمال المعنوي والمادي .
- الوفاء بالمعنى .
- العواطف .



المبحث الثاني

المضمون

اننا لانقصد بالمضمون هنا ان نثير قضية الشكل والمضمون او اللفظ والمعنى ، فقد كفانا النقاد قديما وحديثا مؤنة ذلك ، واننا لانريد ان نقف الى جانب مؤيدى اللفظ ، او الى جانب مؤيدى المعنى ، بل نحن نسوى بينهما من حيث قيمتهما فى العمل الادبى ، ونأخذ برأى ابن رشيق حيث يقول : اللفظ جسم وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته ..(١) ثم يأخذ فى تفصيل هذا القول واثر كل من اللفظ والمعنى فى العمل الادبى مطبقا ذلك على الجسم والروح .

وانما نقصد بالمضمون هنا الاغراض والمعانى التى نظم الزمخشرى فيها اشعاره ، والسمات الاساسية لهذه الاغراض وتلك المعانى من حيث الاتساع والضيق ومن حيث الابتكار والتقليد ، ومن حيث الوضوح والغموض والصدق والاخلاق والمادية والمعنوية فى شعره .

اما الاغراض فقد افردنا لها فصلا خاصا بها ، ورأينا أغلبية ديوانه فى المديح ، وهو مديح تزلف وطلب عطاء فى القسم الاول من حياته ومديح شكر وعرفان بالجميل ومديح للرسول عليه الصلاة والسلام فى القسم الثانى من حياته ، وقد اتجه فى مديحه المعانى المتعارف عليها فى عصره ، ويتبع المديح الرثاء ، ثم الحنين الى مكة ، وبعد ذلك غزله التقليدى واكثره مقدمات للمديح ، ورأينا ندرة الهجاء عنده ، ومما

---

(١) العمدة - ابن رشيق - ج ١ ص ١٢٤ .

أننا اعطينا هذه الاغراض حقها ، فسوف نتركها جانبا لنتفرغ لبحث سمات المعاني عنده .

وأول سمة تطالعنا ان اشعاره كانت ضيقة المحتوى محدودة المضامين ، مما ادى الى ظهور الكثير من التكرار والاعادة في معانيه من مثل قوله :

تسل باللحظ سيفا باتكا فاذا همت بضحك تولته باغماد (١)

وقوله :

يسل باللحظ سيفا باتكا فاذا اراد ضحكا فان الضحك يغمده (٢)

وقد لاحظنا تكرار معانية عند حديثنا على الغزل ، وعلى مقدماته الحكمية فلا نطيل بذكره مرة اخرى .

واذا ماتقدمنا خطوة لنبحث في المعاني التي طرحها الزمخشري في شعره وفي خصائصها وقديمها ومبتكرها ، وجدنا ان معاني شاعرنا من النوع الذي كان شائعا في عصره ، لانه يعبر عن انواع من السلوك والاخلاق والعادات والتقاليد كان متعارفا عليها في تلك البيئة ، وان اهم المعاني التي دار حولها شعر الزمخشري هي الشجاعة والكرم وربوبية السيف والقلم ، وحسن الرأى والتدبير ، ولكن ليس هذا هو المهم بالدرجة الاولى ، وخاصة عند الزمخشري ، فان ميزته بين شعراء عصره ليست بالمبتكر من معانيه ، لان المعاني التي طرقها كانت متعارفة بين الجميع وانما هي بشيء آخر ، وهو اخلاقه الممتازة ، وعلمه الواسع وطريقته في

---

(١) الديوان : ١٠٨ .
(٢) الديوان : ١١٤/٥ .

التعبير عن هذه الاخلاق وتلك المعاني . وهذا ماسنتعرض للحديث عنه في الاسلوب الذي سنفرد له بحثا خاصا به ، بعد الانتهاء من الحديث على المضمون .

ومن الجدير بالذكر ان هناك معاني في الادب العربي تداورها الشعراء والادباء ، فاصبحت معاني عامة مشتركة بين الجميع لاتخضع لحكم التقليد والتجديد ، مثل تشبيه الجواد بالبحر والمطر ، والشجاع بالاسد ، والوجه الحسن بالشمس والقمر ، والسهم الماضي في الامور بالسيف والعالي المنزلة بالنجم ، والحليم الرزين بالجبل ، والاماني الكاذبة بالاحلام ، والاسنان بالبرد واللؤلؤ ، واللئيم بالثعلب .

وكذلك اشتهر رجال من العرب بخلال محمودة فصاروا فيها اعلاما ، فجرى التشبيه بهم ، فيشبه الوفي بالسموأل والكريم بحاتم ، والعادل بعمر بن الخطاب ، والحليم بالاحنف ، والفصيح بسحبان وائل والخطيب بقس بن ساعدة ، والشجاع بعمرو بن معد يكرب ، والحكيم بلقمان ، والذكي باياس .

واشتهر آخرون بصفات ذميمة فجرى التشبيه بهم ايضا ، فيشبه العي بباقل ، والنادم بالكسعي

والناظر في شعر الزمخشري يجد هذه المعاني والتشبيهات والاسماء جميعها تتردد بين الحين والاخر ، فلم يخرج في معاني تشبيهات في اكثر الاحوال عن هذه التشبيهات المألوفة للجميع ، فكل ما ذكرناه قد ذكره في شعره وكل من يقول في هذه المعاني لاتستطيع ان تقول عنه انه مقلد او مجدد ، فهي معاني اصبحت مألوفة عند عامة الناس ، ولكن تظهر براعة الشاعر في الاسلوب الذي يضعها فيه ، وهذه ميزة الشاعر عن غيره ، وبها يعد انه اجاد او قصر .

كما وان من المعانى العامة فى الشعر العربى والتى تعتبر شركة بين الشعراء ، ليس لاحد فضل السبق فيها فكرة الحياة والموت فالزمخشرى مثلا يقول :

ولا بد للانسان من سكرة الردى   ومن ساعة لاصحو فيها ولا سكرى
فذو اللب من لم يطعم النوم جفنه   ولم يغتمض خوف التلقى بلابشرى
وايقن ان الموت فى كل ساعة   طلائعه تسرى فقد اخذ الحذرا (١)

وقولـــه

وللردى مشرع ورّاده   شرع لافضل فيه على ذئب لرئبـال (٢)

وقولـه :

قضاء ربك حد غير مسبـوق   باب يساق اليه كل مخلـوق
سيان مرموق المحصـل وذا   جاه بابصار كل الخلق مرمـوق
ولا ترد الردى بيض السيـوف ولا   سمر الرماح ولا زرق المزاريـق
ولا قلاع منيعـات محصنـة   وذادة وربلة بالمجانيـق (٣)

فهو يتحدث عن معنى معروف لدى الجميع وفكرة عامة يدركهـا كل انسان فلا تستطيع ان تقول عنه مجدد ، او مقلد فى مثل هـذا المعنى ، وقد قال فيه حاتم الطائى :

وما اهل طود مكفهر حصونـه   من الموت الا مثل من حل بالصحر
وما دارع الا كآخـر حاسـرا   وما فقير الا كآخر ذى وفـر
تنوطلنا حب الحياة نفوسنـا   شقاء ويأتى الموت من حيث لاندرى (٤)

(١) الديوان ٤٠/٤ — ٦ .
(٢) الديوان ١٢٥/٥ .
(٣) الديوان ١٢٩/١ — ٤ .
(٤) ديوان حاتم — نشر شولتهس — ص ٢٨ .

وقال طرفة فى هذا المعنى :

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد (١)

وقال اوس بن حجر :

ولو كنت فى ديمان تحرس بابه أراجيل احبوش واغضف آلف

اذن لاتتنى حيث كنت فيتى يخب بها هاد لاثرى قائف (٢)

ولكن هناك بعض الشعراء قد اهتدى الى معان جديدة لم يسبق اليها ، وان من بين هذه المعانى مالم يستطع الشعراء مجاراته وسرقته فتركوه لصاحبه ، ولم ينازعوه فيه ، ومن ذلك وصف عنترة للذباب . (٣)

وهذا الكلام يقودنا الى الحديث عن قضية طالما ترددت على ألسنة النقاد ومصنفاتهم الا وهى قضية (السرقات الشعرية) ويعنون بها ان شاعرا متأخرا سطا على شعر متقدم فأخذ معنى من معانيه وادعاه لنفسه ويكون هذا الاخذ اما باللفظ والمعنى ، او بالمعنى وحده .

وما دام المطلوب من الشاعر ان يثقف نفسه بالاطلاع على تراث سابقيه فلابد ان يختزن الكثير من معانى هذا التراث فى ذهنه ، اذا اضفنا الى هذا قضية توارد الخواطر ، وهى ان يرد على خاطر اللاحق من المعانى ما ورد على خاطر السابق ، دون ان يطلع اللاحق على شعر سابقه ، بالاضافة الى هذا وذاك المعانى المشتركة المعروفة لدى بنى البشر ، اذن لايستغرب والحالة هذه ان يأتى الشاعر بمعان هى نفسها ، قد اتى بها شاعر قبله ، وعلينا ان لا نعد كل معنى عند

---

(١) ديوان طرفة — بيروت — ص ٢٤ .
(٢) ديوان اوس بن حجر . ص ١٣٥ .
(٣) أنظر اسس النقد الادبى — احمد احمد بدوى ص ٢٦٥ .

متأخر له شبيه متقدم مسروقا ، الا اذا كان البيت والابيات قد اخذت بلفظها ومعناها ، وعندها نفسر ذلك بأن المتأخر قد سطا على شعر من تقدمه وأخذه منه ، كما فعل الفرزدق مع جميل بثينة في قوله :

نسير امام الناس والناس خلفنا ، فان نحن أومأنا الى الناس وقفوا (١)

فقد قال جميل البيت واستحسنه الفرزدق وهدده وأخذه منه وضمه الى شعره .

ولكن المهم في الامر هو ان الذى يأتي بمعاني من سبقوه عليه ان يلبسها اثوابا جيدة ، او يكمل الناقص منها ، او يظهر الناقص فيها او يصرفه عن وجه الى آخر ، حتى تظهر شخصيته فيه ، وحتى لا يكون عالة على من تقدمه من الشعراء .

وشاعرنا كما عرفنا كان واسع الاطلاع في الثقافة الاسلامية والثقافة العربية ، ولابد لهذه المعارف ان تؤثر في معانيه ، فنجده يقتبس من القرآن الكريم والحديث الشريف ، وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم ، كما انه ضمن شعره الكثير من الامثال العربية ، واشار الى كثير من ايام العرب وحروبهم وقصصهم وأخبارهم .

وهذه امثلة من تضميناته واشاراته :

لقد كان اكثر اقتباسه وتضمينه من القرآن الكريم ، واعانه على ذلك ثقافة دينية وتذوق ادبي ، فهو قد يقتبس الاية مباشرة مثل قوله :

فملك يحكي فعل ما قال أأ نا لمردودون في الحافرة (٢)

---

(١) انظر الشعر والشعراء — ابن قتيبة ج ١ ص ٤٣٣ تحقيق احمد محمد شاكر .

(٢) الديوان : ٦/٢٦٤ .

فهو مقتبس من قوله تعالى : (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة)
(النازعات : ١٠) .

ومثل قولـه :

كم قلت قولا قاله ولهـــا يعقوب : يا أسفى على يوسـف (١)

فهو مقتبس من قوله تعالى (وتولى عنهم وقال : يا أسفى على يوسف ،)
(يوسف : ٨٤)

وقد يضمن شعره الآية او جزءها بتصرف ، لكن اثر القـــرآن
واسلوبه مايزال باديا كقوله :

زين الائمة بعض الحزن والكمد فانما خلق الانسان فى كبـد (٢)

مأخوذ من قوله تعالى : (لقد خلقنا الانسان فى كبد) (البلد : ٤) .

وقد يشير الى معنى آية قرآنية ، وقصة وردت فى كتاب الله مستوحيا
ما فيها من معان مثل قوله :

حمانى حمياها صداى الى التى يقول لها ذو العرش مسك ختامها (٣)

فهو يشير بذلك الى الخمرة الموجودة فى الجنة والتى يقول عنها اللـــه
جل جلاله : (يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك ، وفى ذلـــك
فليتنافس المتنافسون) (المطففين : ٢٥ ، ٢٦) .

ومثل قولـه :

وكل مرتضع للندى مطـــرح وكل موضعة ترى بموضعهـــا (٤)

---

(١) الديوان : ٢/٢١٩ .
(٢) الديوان : ١/١٣٣ .
(٣) الديوان : ١٦/١٩ .
(٤) الديوان : ٦/١٢٣ .

يشير الى هول يوم القيامة وكيف ان المرضعة وهى اشد الناس تمسكا بوليدها تلقى به ، وتذهل عنه ، وهو مأخوذ من قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) (الحج : ١ ، ٢)

ومثل قوله :

يبني على اس وليس يبتني من فوق جرف هائر شفيره (١)

يعنى انه يبنى على اساس متين من تقوى الله ، ليس كمن يبتعد عن تقوى الله فكأنه يبنى على حرف هائر فيقع به فى نار جهنم ، ويشير بذلك الى قوله تعالى :

(افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لايهدى القوم الظالمين) (التوبة : ١٠٩) .

وكما اقتبس وضمن شعره من القرآن الكريم فقد اقتبس وضمن شعره كذلك من الحديث الشريف ، من مثل قوله :

ما له يمطلني وهو غني واشد الظلم فى مطل الغني (٢)

فهو مأخوذ من قوله عليه الصلاة والسلام (مطل الغنى ظلم) (٣) .

ومثل قوله :

والله ان يقض بعض المسرات به قضاء يسرين لولا ذاك لم يعد (٤)

---

(١) الديوان : ٢٥/٢٣٥ .
(٢) الديوان : ٦/٢٤٢ .
(٣) صحيح مسلم ـ الامام ابى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى ، النيسابورى ـ عيسى البابى الحلبى وشركاه ج ٣ ص ١١٩٧ .
(٤) الديوان : ١٦/١٣٣ .

فهو مأخوذ من قوله عليه الصلاة والسلام : (وانه لن يغلب عسر يسرين) (١)
او من قوله تعالى : (فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا) (الآية (الانشراح : ٥ ، ٦) .

ولقد اكثر الزمخشرى كذلك الاخذ عن الامثال العربية وصياغتها في شعره ، من مثل قوله :

لن يضروك بقول او بفعـــل   هل يضر البدر كلب بعواء ؟ (٢)

فهو مأخوذ من قولهم : (لايضير السحاب نباح الكلاب) . (٣)

ومثـل قولـه :

وجد القران قرانه فتوافقـــا   طبقا الى شن بغير خلاف (٤)

فهو مأخوذ من قولهم : (وافق شن طبقه) . (٥)

ومثـل قولـه :

والمرء يؤتى من الشق الذى يحدث   عنه مخيلة ذى حدس وتحقيق (٥)

مأخوذ من قولهم : (من مأمنه يؤتى الحذر) . (٦)

اما بالنسبة لاشارته الى القصص التاريخية ، فهى مثل قولـــه

الم تر الشهمة الزباء كيف اتى   هلاكها من رجال فى الصناديق (٧)

يشير بذلك الى قصة الزباء مع قصير ، وكيف خدعها ، وادخل الرجـال في صناديق تحملها الجمال على انها هدايا .

---

(١) الموطأ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - عيسى البابى الحلبى ج ٢ ص ٤٤٢ .   (٢) الديوان : ٢٣/٢٤١ .
(٣) مجمع الامثال - الميدانى - المطبعة البهية بمصر ج ١٤٨/٢ .
(٤) الديوان : ٣٥/٢٢٧ .
(٥) مجمع الامثال - الميدانى : ٢٨٤/٢ .
(٦) الديوان : ٧/١٢٩ .
(٧) مجمع الامثال - الميدانى : ٢٣٨/٢ .
(٨) الديوان : ٨/١٢٩ .

ومثل قولــه :

وعن صهر كسرى صد نعمان بآوه فخنقه فى خانقين الفوارس
وهان عليه يومه قبل ساعة يكابد فيها صهر من لا يجانس (١)

يشير بذلك الى قصة النعمان بن المنذر مع كسرى انو شــــروان عندما طلب منه ان يصاهره ، فأبى النعمان ذلك ، فقتله كسرى مقابــل كلا مه الذى نقله الواشى الى كسرى .

ولم ينس السيرة وغزوات الرسول عليه الصلاة والسلام فضمن كثــيرا منها فى شعره من مثل قوله :

ولا تنس يوم الفتح يوم تمطلــب نفوس قريش والعيون شواخــص
وقالوا : السيوف الخزرجية وقع وسدت على اهل البطاح المخالص
فوافاهم الحر الخفيض جناحـــه فرق لهم لا الاشوس المتخــاوص (٢)

فهو يشير بذلك الى غزوة فتح مكة ، وخوف قريش من الرسول وجيشــــه والى صفح الرسول عليه الصلاة والسلام عنهم .

وعن غــزوة حنين يقــول :

وآثرهم بالفيء فى هـــوازن على زمر الانصار وهى الخوالــص (٣)

وقصة ذلك معروفة فى السيرة .

وقد اشار كذلك الى بعض الامور المهمة مثل قتل الامام على كــرم الله وجهه ، وابنه الحسين : فيقول :

سامنى قتل المرادى عليـــا والكلابى الحسين بن علـــى (٤)

---

(١) الديوان : ٣١/٢ ـ ٣٢ . (٢) الديوان : ٤١/٢ ـ ٤٣ .
(٣) الديوان : ٤٤/٢ . (٤) الديوان : ٢٤٢/٢ .

ولقد اطلع الزمخشرى كذلك على الشعر العربى من الجاهلية حتى عصره ، فنجده يذكر ما ذكروه من معان واسماء اماكن كما سيأتى فى حينه ، ويشير الى كثير من استعمالاتهم مثل قوله :

فقال ابن قيس فى القديم لمصعب شهاب من الله القران اتى به (١)

يشير بذلك الى بيت ابن قيس الرقيات فى مصعب بن الزبير ، والذى فضله عبد الملك بن مروان على الاوصاف التى اطلقها عليه الشعراء ، والبيت هو :

انما مصعب شهاب من الله تجلت من وجهه الظلماء

او مثل تضمينه قول العرجى : (اضاعونى واى فتى اضاعوا) فى قوله :

وكم كررت للعرجى قولا اضاعونى واى فتى اضاعوا (٢)

بل انه ليأخذ البيت بلحمه ودمه اى بلفظه ومعناه كما قال :

من يفعل الخير لايعدم جوازيه لايذهب العرف بين الله والناس (٣)

ومعروف ان هذا البيت للحطيئة .

او يأخذ المعنى ويضعه فى صيغة جديدة مثل قوله :

حسبوه عبدهم وان الحر عبد الضيف الاساءة الترحال (٤)

فهو مأخوذ من قول حاتم الطائى :

وانى لعبد الضيف مادام نازلا وما لى شيمة غيرها تشبه العبدا

أو مثل قوله :

قاصر ساقاه ولكن متنه طويل فما فى القد طول ولاقصر (٥)

---

(١) الديوان : ١٥/٢٢ .
(٢) الديوان : ٤٩/١٣٨ .
(٣) الديوان : ٢٣/١٩٩ .
(٤) الديوان : ٢٧/١٧٩ .
(٥) الديوان : ١٢/٣٣ .

فهو من بيت كعب بن زهير فى قصيدته (بانت سعاد) :

هيفاء مقبلة عجزاء مدبـــرة   فما يشتكى قصر منها ولا طول

او مثل قولـه :

تحكى مواعيده عرقوب مواعدهـــا   حتى تمتع بعد المطل باليأس (١)

ولا يغيب عنا قول كعب بن زهير :

تحكى مواعيده عرقوب مواعدهـا   وما مواعيدها الا الاباطيل

وهذا قليل من كثير ، ولو أردنا ان نتتبع الزمخشرى فى ما آخذه من القرآن او الحديث أو السيرة او الاشعار السابقة او الامثال ، لطال بنا المقام ، وحسبنا ما قدمنا من امثلة تدلل على ذلك .

اما بالنسبة للغموض والوضوح فى شعر الزمخشرى ، فأستطيع ان اقول ان شعره بشكل عام واضح المعانى بسيطها ، وعلى ذلك فهناك قصائد له ومقطوعات غامضة المعانى لايستطيع الانسان فهمها بسهولة ، وان بعضها ليكد الانسان فيها ذهنه بعد ان يبذل جهده فى قواميس اللغـــة ولايخرج بنتيجة ، بل ان هناك بعض القصائد تجتمع فيها الطبيعتـــان السهولة والغموض فى آن واحد ، وبما أن الوضوح هو اغلب الديوان فعلينا ان مثل الغموض فقط ، من مثل قوله :

اراكب لامح الامــــد القصى   بعين اقمر صخب المشــى

يغاوله كأن الجن لــــزت   بدفيه جناحى مضرحــــى

اصيل المنتمى يدلى بعـــم   جديلى وخال شدقمـــى

مروق كالندى يد المغالـــى   حدته وهو نضو كالنضــى

اذا تحريكة الساق امترتــــه   تدفق مثل شؤبوب الحــبى

---

(١) الديوان : ٤/١١٩ .

(١)
مبارى الريح روح من امتطـاه ومزهقة لارواح المطـــــــى

او مثل قوله فى هذا البيت :

(٢)
مافرق الاموال حاتم حشـــــج ما فرق الالاف حاتم شحـــج

وحتى بعد ان يستخرج الانسان المعانى من القاموس ، فلن يتمكن من معرفة معناه الا بعد ركد الذهن حتى يقترب من المعنى وربمـــــا وصل اليه او يبقى المعنى غامضا مستغلقا .

واعتقد ان معظم الغموض الذى فى شعر شاعرنا جاء من ناحيـة الالفاظ ، من حيث غرابتها وحوشيتها ، ومن ناحية القالب الذى وضعـت فيه ، اى الاسلوب الذى صيغت به لان الالفاظ ثياب المعانى ، ولمحاولـة شاعرنا الاتيان بكثير من المحسنات اللفظية والمعنوية فى شعره وهـــــذا ماسنتحدث عنه فى باب الاسلوب .

ومن مميزات شعر الزمخشرى الوفاء بالمعنى وذلك عن طريق الاعتراض من مثل قولـه :

وان وجوه الترك ـ والله جارها ـ بدور الى اشانها تصرف البدر

فهو يدعو لها ، او من مثل قولـه :

لكن ابى ذاك جد ، لا انتماش له ـ ولم تزل دول الدنيا تنكده

فان تشأ ـ ولك الدنيا مساعفـة نعشت جدى بانعام تجدده

فجاء بقوله (ولك الدنيا مساعفة) ليبين له انه قادر على مساعدته ولاعذر له فى التجلى عنه .

---

(١) الديوان : ١/١٣٦ ـ ٦ .
(٢) الديوان : ٨/١٦٤

او مثل قوله :

وان اصطفاء المصنع الحر ديدنى اكل حصيف وهو انت اريب

فجاء بجملة وهو انت ليتمم بها المعنى ويخبره انه قصده بقوله حصيف واريب ، خوفا من ان يفهم السامع انه يقول حكمة عامة تنطبق عليه وعلى غيره .

اما من ناحية الصدق فى الشعر فقد اختلف النقاد حول هذا المقياس ، وبالرغم من اختلافهم الا انهم قرروا ان الصدق فى الشعر فضيلة لاتنكر ، وعلى هذا الاساس فضل عمر بن الخطاب زهيرا ، جاعلا من فضائله انه لايمدح الرجل الا بما فيه .(١)

ولكن شاعرنا قد تورط فى أول حياته فى مدح الوزراء والسلاطين طالبا منهم النوال ، وقد بالغ فى كثير من مديحه ذاك فى اوصاف هؤلاء الممدوحين ، كما رأينا عند حديثنا فى المديح ، ولكنه فى النصف الثانى من حياته يتمشى مع هذه القاعدة التى اقرها عمر بن الخطاب فى كثير من شعره فابتعد عن ابواب الوزراء والسلاطين وجاور فى مكة ومدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، وشكر على بن وهاس على حفاوته به واخذ يبث كثيرا من آرائه الزهدية وتقشفه فى هذه الحياة الفانية ، متفرغا للعلم والعبادة ، فجاءت جميع معانيه فى هذه المجالات صادقة تنطبق على الواقع وقد تعرضنا لها فى موضوعات شعره .

وبما ان معانيه فى هذه المجالات صادقة ، فان الجمال المعنوى يطبع هذه المعانى ويكون السمة الاصيلة فيها ، وشاعرنا يمتد الجمال المعنوى الى معانيه من اخلاقه وتدينه ، فهو صاحب اخلاق حميدة ابعدته

---

(١) اسس النقد الادبى — احمد احمد بدوى ص ٤٢٩ .

عن كل زخارف الحياة وبهرجها ، يضاف الى ذلك انقطاعه للعبادة في مكة بجوار بيت الله الحرام ، فكل هذا اثر على نفسية شاعرنا فجاءت معانيه صادقة وذات رصيد عال من الجمال المعنوي .

اما الجمال المادي فقد جاء على شكل مقدمات غزلية ، وقد وصف حبيبته المتخيلة وصفا ماديا بحتا ، وقد بينا ذلك عند حديثنا عن الغزل في شعره . .

ويحسن بنا قبل ان نغادر هذا الموضوع الى غيره ان نعرض الى العواطف وانواعها في شعر الزمخشري .

اما من حيث العواطف في شعره فقد تعددت ، ولكنها مع تعددها لم تكن كلها على مستوى واحد ، فبعضها جاء قويا عارما عميقا مؤثرا ، وبعضها جاء فاترا لاحرارة فيه ، ويتوقف ذلك على الموقف الذي قال الزمخشري فيه شعره ، لاننا نقصد بالعاطفة الشعور الذي يصاحب الانسان ازاء موقف من المواقف فينعكس على تصرفاته واقواله .

ومن العواطف التي غص بها ديوان الزمخشري ، عاطفة الحزن ، وعاطفة الفخر ، فعاطفة الحزن تظهر قوية واضحة وخاصة في شعره الذي يرثي فيه امه واباه واستاذه الضبي ، كما لاحظنا ذلك عند تحدثنا عن مراثيه .

واما عاطفة الفخر فهي من اهم عواطفه واوسعها انتشارا في شعره وهي عاطفة حارة صادقة ، لان الشاعر يعتز فيها بعلمه واخلاقه وعصاميته ولقد كان الزمخشري في المستوى الذي يؤهله لمثل هذا الافتخار ، فهو يفخر بشيء موجود فيه ومتأصل ولايدعيه .

وهناك عاطفة ازدراء اللئام والجهلة والوصوليين والمتزلفين للوصول الى المناصب من غير مؤهلات تؤهلهم لذلك ، فهو ناقم عليهم وعلى الزمان الذي قدمهم واخر غيرهم ممن هم احق منهم ، ورأينا ذلك واضحا في شكواه .

ولاننسى عاطفة الحنين الى مكة وكيف ظهرت حارة صادقة تكاد نفسه تتقطع حزنا والما لفراقه لها .

وكان الزمخشري حين يعبر عن عاطفة صادقة جياشة يتحرر من المحسنات المقصودة والمتكلفة ، لانها تندمج مع الفكرة ، او مع الشعور ، كقوله في تصوير ضيقه بالاقامة في خوارزم :

احب بلاد الله شرقا ومغربا الى التي فيها غذيت وليدا

ولكن تواسى بالكرامة غيرها وهذي ارى فيها الهوان عتيدا

وما منزل الارذال للحر منزلا وان كان عيش الحر فيه رغيدا

سأرحل عنها ثم لست براجع واضرب مرمى في البلاد بعيدا

فلا كنت ان خيمت فيها ابن حرة ولاعشت بين الصالحين حميدا (١)

وقوله وهو قاصد مكة عازم على الاقامة بها حتى الممات :

قامت لتمنعني المسير تماضر انى لها وغرار عزمي باتر

سيري تماضر حيث شئت وحدثي انى الى بطحاء مكة سائر

حتى انيخ وبين اطماري فتى للكعبة البيت الحرام مجاور

سأقيم ثم وثم تدفن اعظمي ولسوف يبعثني هناك الحاشر (٢)

---

(١) الديوان : ١/٧٧ – ٥ .

(٢) الديوان : ١/١٦٠ ، ١١ ، ١٢ ، ٣١ .

وقوله فى مدح ابن وهاس :

فتى هو حال بالمعالى بأسرها وقد حليت منه المعالى بأوحدا
نجيب نمته من ذؤابة هاشم نقيات اعراق أطابته مولدا
ولو شاء لم يحتد محتد هاشم نصابا كفاه بالنبوة محتدا
وتقرأ من سيماه فى قسماته شهادة حق انه صدق احمدا
هو الحر ما اصدى الى بيض معشر فأبصره الا نقمت به الصدى
ولى منه نصح الجيب والعقدة التى ابت ان يرى الراؤون اوثق معقدا (١)

اما اذا حاول ان يكره نفسه على قول الشعر جاءت عاطفته فاترة لاحرارة فيها لذلك كان يغطى على نضوب عاطفته باللجوء الى المبالغة ، مثل

سماه كل الناس كعبة سودد اهل الحوائج منهم حجاجها
ولأنما السلطان سنجر كعبة للملك منتجب الملوك رتاجها
ركب السياسة وهى اصعب مركب فتطامنت لركوبه انثاجها
ألفته دونهم فما الجامها الا على يده ولا أزواجها (٢)

هذه المعانى التى أنتهينا من دراستها لتونا لن ندعها حتى نتعرف على الطريق التى سيقت بها ، وعلى القوالب التى صبت فيها وهذا ما سيكون موضوع حديثنا فى بحث الاسلوب .

---

(١) الديوان : ١٢/٥ ـ ١٧ .
(٢) الديوان : ٢٠٩ .

المبحث الثالث

====

الاسلوب

- انواع الاسلوب .
- اسلوب الزمخشري .
- بعض سمات اسلوب الزمخشري .
- الخيال والصورة الشعرية .
  - التشبيه .
  - الاستعارة .
  - الكناية .
  - المحسنات البديعية .

ooo ooo

ooo

الاسلــــــــوب

يعني الاسلوب في الدراسة الادبية الطريقة الخاصة التي يصـــوغ فيها الكاتب او الشاعر افكاره ، ويبين بها عما يجول في نفسه مـــن العواطف والانفعالات ، لذلك جعل النقاد الاسلوب على اربعة انواع : الاسلوب الجزل ، والاسلوب السهل ، والاسلوب السوقي ، والاسلوب الحوشي (١)

وعلينا قبل ان نحكم على الاسلوب عند شاعرنا ان نعرف معانـــي هذه الاساليب الاربعة ، حتى نحكم عليه بالحكم الذي يستحقه .

اما الاسلوب الجزل ، فهو الذي تعرفه العامة ، اذا سمعتـــه ولاتستعمله في محاوراتها (١) . معنى ذلك ان الفاظ الاسلوب الجـــزل مختارة من بين ألفاظ الطبقة المثقفة ، لذلك فهو يحتوي في الغالـــب على الفاظ غريبة يحتاج عامة المثقفين الى الكشف عنها ، لفهم معناهــا الدقيق ، وان كان المعنى الاجمالي مفهوما لهم .

واما الاسلوب السهل ، فهو الذي يخلو او يكاد من الفاظ الطبقة المثقفة بشرط ان يرتفع عن الفاظ السوقة (٣) . اما اذا انحدر الاسلـــوب السهل واستعمل الفاظ السوقة ، فهو الاسلوب السوقي (٤) واما الحوشي مـــن الاساليب فهو ذلك الذي يمتلئ بالالفاظ الغريبة الحوشية ، فيختفي تحت ستار كثيف من الغموض ، ولايتضح الا بعد جهد ومشقة .

---

(١) اسس النقد الادبي — احمد احمد البدوي ص ٤٩٧ .
(٢) الصناعتين — العسكري — ص ٦٢ .
(٣) المرجع السابق ص ٦٢ .
(٤) المرجع السابق ص ٥٨ .

ولكن علينا ان نحكم على النص فى عصره ، لان الجزل فى عصر ربما اعتبر حوشيا فى عصر آخر ، نظرا لاختلاف معرفة الطبقة المثقفة بألفاظ اللغة ، باختلاف العصور ، فالجزل فى العصر الجاهلى مثلا يظهر لنا اليوم وكأنه حوشى لبعد الزمن بيننا وبينه .

واسلوب الزمخشرى فى شعره بشكل عام رصين جزل ، ولا يعنى هذا انه يخلو من التعقيد والغموض والحوشية ، بل فيه من ذلك شئ .

وان اول مايواجهنا فى دراسة الاسلوب عند الزمخشرى ألفاظه وتعابيره ، لانه من خلال الالفاظ والتعابير يحكم على الاسلوب بأنه سهل اوجزل او سوقى او حوشى ، ومن اولى صفات الالفاظ فى شعر شاعرنا انها منتقاة مختارة ، لتدل على المعنى الذى يريده ، فحيثما اطلقت بصرك عبر ديوانه وجدت من ذلك الشئ الكثير ، لان الزمخشرى كان يدير قصائده حول معان بأعينها ، من مثل حنينه الى مكة ، أو فخره بحلمه ، او مدائحه ، ومن هنا تكررت فى شعره ألفاظ كثيرة ومعانى هى هى اما تكرار المعانى فقد ضربنا عليه امثلة سابقة ، وهذه امثلة من الفاظه وتعابيره الجزلة المنتقاة :

ألاما حملا عيني الى بطن مكة مغلغلة تأتى الشريف ابن وهاس (١)

فالجزالة تبدو فى البيت فى كلمة مغلغلة والتى تعنى الرسالة التى تتغلغل فى الاوساط حتى تصل الى محلها ، وقد وردت فى شعره اكثر من مرة وكذا قوله :

ادب يخوض الناس فى ضحضاحه بالجهد وهو يعوم فى تيـــاره (٢)

---

(١) الديوان : ١/٨٨ .
(٢) الديوان : ١٧/١٧٠ .

فالشاهد فى كلمة ضحضاحه ، والتى تعنى الماء الضحل القريب المقر ، وقد تكررت فى شعره وفى مثل قوله :

فى عقد دريتة كنت واسطة وقد نظمتم لجيد الفخر تقصارا (١)

والشاهد فى كلمة تقصارا التى تعنى القلادة التى تحيط بالعنق ، ولجرسها القوى ، وقد وردت ايضا اكثر من مرة فى شعره .

وكذا قوله :

اليك سقت ركابى مثل عامل فى صيف يذيب دماغ الضب صيخده (٢)

فالجزالة فى كلمة صيخدة والتى تعنى حره الشديد .

ومن سمات شعر شاعرنا الاكثار من ذكر اسماء الاماكن ، وهذه بعض الامثلة عليها للدلالة لا الحصر .

كأنى لم انظر الى الحى صادعا عصى النوى بين اللوى فالدكادك (٣)

وقوله :

وما اركس القلب المعذب بعدما سلا سلوة الا العذيب وراكس (٤)

وقوله :

وقلت ألا اين الحطيم وزمزم ومالى محجورا عن الركن والحجر (٥)

وقوله :

ترى شمخ الاطواد من شم خندف ذواهن فى ضحضاح بحر تغرق (٦)

وقوله :

امن ذات عرق ومضة البرق تخفق كنهضة عرق فالفؤاد مشوق (٧)

---

(١) الديوان : ٧/١٢٨
(٢) الديوان : ٣٥/١١٤ .
(٣) الديوان : ٤/١ .
(٤) الديوان : ٧/٣ .
(٥) الديوان : ٨/٩ .
(٦) الديوان : ٢٠/٤ .
(٧) الديوان : ١/٤ .

والملاحظ ان الشاعر الجاهلى كان يذكر الامكنة فى شعره لان لها دلالة خاصة وارتباطا بذكرياته ، اما شاعرنا فكان يذكر هذه الاسماء على سبيل التقليد ، باستثناء الاماكن التى اقام بها فى مكة مثل ، الحطيم وزمزم ، والحجر ، فقد كان ذكره لهذه الاماكن منسجما مع نفسه لان له فيها ذكريات عزيزة على نفسه ، فيحن اليها ، ويحب ان يعود اليها .

ومن الخصائص البارزة فى شعره ، ان الصورة البيانية كثيرا ما اعتمدت على التشبيه ، وما يلحق به من استعارة وكناية ، فجاءت صورة تكرارا لما رسم سابقوه ، وجاء خياله من القريب الذى لايحلق فى الافاق البعيدة

لقد كثر التشبيه فى شعر الزمخشرى كثرة دعتنا الى ان نكتفى ببعض الشواهد منه ، لان معظم صوره قامت على التشبيه بمختلف انواعه فيقول :

وقلدنى اطواق شعر كأنها سموط بأيدى الكسرويات تنسق

وقوله :

يصونون عرضى قبل اعراضهم كما يصان سواد العين بالجفن والهدب

وقوله :

واخضل خديها دموع تتابعت تتابع در خاذل سلكه العقدا

وقوله :

تألف برق فى فروع سحابه كمنصل غاز ينتضى من قرابه

وقوله :

يعاتبنى والليل رق نسيمه كأن نسيم الليل بعض عتابه

ومن الصور البيانية ذات العلاقة الوثيقة بالتشبيه الاستعارة فهي تشبيه حذف احد طرفيه ، وقد استعمل الزمخشري الاستعارة بنوعيهـــا المكنية والتصريحية ، وهذه شواهد على ذلك :

وباضت حوارا فتنة جاهلية

يمتني بنت الدهـــر

تخطفت الايـــام

بعد الكتاب النـــور

بشرى الاصـــم

اما الكناية فقد وردت في شعره كثيرا نجتزئ منها بعض الشواهـــد المتفرقة :

والعيون شواخص (١)	كناية عن الخوف .
والجو اغبر عابس (٢)	كناية عن القحط والجفاف ؛
ناصح الجيـــب (٣)	الاخلاص في الود .

ولا كابن وهاس فتى ضم برده حساما وضرغاما واخضر مزبـدا (٤)

كناية عن الحزم والشجاعة والكرم .

وبهذا القدر نكتفي ، لنقول ان الصورة البيانية عنده صورة بسيطة ساذجة متهمة لامبتدعة ، قوامها التشبيه والاستعارة والكناية ، مـــع التقارب في نسب استعمالها .

---

(١) الديوان : ٢/٤١ .
(٢) الديوان : ٣/٢٦ .
(٣) الديوان : ٣١١/١٥ .
(٤) الديوان : ٥/١١ .

ولكن ماذا عن المحسنات البديعية عند الزمخشرى ؟

لقد اغرق شاعرنا فى استعمال المحسنات البديعية لفظية ومعنوية فأينما صوبت بصرك تجد الكثير من هذه المحسنات ، فقد زخر الديوان بها ، وان دل هذا على شئ فانما يدل على الصنعة فى الشعر ، وان شاعرنا كان يحسن شعره ولايقوله عن سجية ، ولن نطيل فى الوقوف عندها فهى كثيرة ونظرة سريعة على الديوان تثبت ماذهبنا اليه ، وسوف نكتفى بضرب امثلة على الجناس والطباق ورد العجز على الصدر واللف والنشر :

فمن الجناس التام قوله :

من القاصرات الطرف غير فوارك ولكن لحبات القلوب فوارك (١)

ففوارك الاولى ، المرأة التى تكره زوجها ، وفوارك الثانية من الفرك وهو حك الشئ حتى ينكسر وقوله :

خليلى من عليا تهامة انجدا اذا كان غورى الهوى ثم انجدا (٢)

انجدا الاولى بمعنى تقديم النجدة والمساعدة ، وانجدا الثانية نزل نجدا .

من الجناس المركب قوله :

الى الله اشكوك يا ساق حر قدحت بنوحك فى ساق حر (٣)

فساق حر الاولى بمعنى ذكر الحطم ، وساق حر الثانية ، اى ساق رجل حر .

---

(١) الديوان : ١٢/١ .
(٢) الديوان : ١/٥ .
(٣) الديوان : ١/ ٣١١ .

وقولـــه :

اخالكما ان تسعدا ببكاكمـــا أخالكما حيا تفوزا وتسعـــدا (١)

فأخالكما الاولى بمعنى احسكما ، والثانية مكونة من اخ ولكما ، اى ان هـذا الشخص الذى يسعفانه هو أخ لهما .

ومن الجناس الناقص :

ولا جفن الا وهو ملآن دافـــق ولا قلب الا وهو حرآن خافـــق (٢)

فالجناس بين دافق وخافق .

وقولـــه :

على ايكتى نجد وورق حمامـه وروضى الوادى وزرق جمامـــه (٣)

والجناس بين حمامه وجمامـه .

اما الطباق فمثل قولـه :

حياتى وموتى قرب سعدى وبعدها وعزى وذلى وصلها وانصرامها

سلام عليها اين امست واصبحـــت وان كان لايقرا على سلامهـــا

رعى الله سرحا يرعى فيه سرحهـــا وروض ارضا سامرفيها سوامهـا (٤)

فالطباق بين حياتى وموتى ، وقرب وبعد ، وعز وذل ووصل وانصـرام وامست واصبحت ، كما يظهر الجناس فى البيت الاخير بين رعى الله من رعايتـه وحفظه ، ورعى سرحها من الرعى وهو أكل العشب .

ومثل قولـه :

تصلى بنار الحروب كهلا ويافعـــا فأضى كان الجمر فى كفه ثلـــج (٥)

فالطباق بين الكهل واليافع ، وبين الجمر والثلج .

---

(١) الديوان : ٢/٥ .
(٢) الديوان : ٤٦ /٥ .
(٣) الديوان : ١/١٢ .
(٤) الديوان : ٢/١٩ — ٤ .
(٥) الديوان : ٧/١٤ .

ومن ذلك أيضا قوله :

زلال وصخر رقة ومتانـــة واحسن ماقيل المتين المرقـــق (١)

فالطباق بين الزلال والصخر والرقة والمتانة .

ومثـل قولـه :

مايصرف الحساد ما الله صانع لقد نامت الحساد واستيقظ القدر (٢)

فالطباق بين نام واستيقظ .

ومن الطي والنشر قوله :

فتاة كاعب فى مقلتيهــــا وخديها احمرارا واحمـــرار (٣)

وكذلــك :

حكت بالثغـر والخد الاقاحـــى فيـه والـــــوردا (٤)

ومن امثلة رد العجز على الصدر قوله :

وهواجرى اما وصلت اصائـل واصائلى اما هجرت هواجـر (٥)

وقولــه :

صبرا جميلا عبيد الله عنه فلم تزل على حدثان الدهر صبارا (٦)

وقوله ايضـا :

وما اركس القلب المعذب بعدما سلا سلوة الا المذهب وراكس (٧)

وهذا قليل من كثير ، وعلى المستزيدين ينظر فى اى قصيدة من قصائد الديوان فسوف يرى من المحسنات اللفظية والمعنوية الشىء الكثير .

---

(١) الديوان : ١٤/٤ .
(٢) الديوان : ٣٤/٣٣ .
(٣) الديوان : ١/١٥٣ .
(٤) الديوان : ٧/١٥٥ .
(٥) الديوان : ١١/١٧٢ .
(٦) الديوان : ١١/١٢٨ .
(٧) الديوان : ٧/٣ .

((الفصـــل الرابـــع))

القيمة التاريخيـة والادبيـة للمخطوطـــة

القيمة التاريخية والادبية للمخطوطة

لقد عاش شاعرنا فى النصف الاخير من القرن الخامس والنصف الاول من القرن السادس ، وكانت هذه الفترة فترة عصيبة فى حياة الدولة الاسلامية ، فكان شرق العالم الاسلامى تتنازعه طموح واطماع السلاطين هناك ، وضعفت سلطة الخلافة حتى لم تبق لها هيبة على هذه الاجزاء حتى ولا على بغداد نفسها ، مقر الخلافة فى ذلك الوقت .

ولكن المخطوطة لم تصور لنا هذه النزعات او ضعف الخلافة الا من حيث اتجاه الشاعر فى مدحه الى السلاطين ووزرائهم ، ولم يتجه بمدحه الى الخلفاء ، ونحن نعرف ان الشاعر يتوجه دائما بمديحه الى من فى يده السلطة والجاه والمال ، حتى ينال من ذلك نصيبا ولم يرد فى ذلك الا بيت واحد يدعو فيه الزمخشرى الى حرب شاملة تعيد هيبة الاسلام ، والابتعاد عن هذه الحروب الصغيرة التى تثيرها الديالم والفرنج .

وفى الفترة الاخيرة من حياة الزمخشرى ، تدفقت الجيوش الصليبية على بلاد الشام وجعلت تعمل فيها خرابا وتدميرا ، وتصدى لها المخلصون من ابناء الامة الاسلامية ، وكنا نأمل من شاعرنا ، وهو الرجل المسلم الحريص على اسلامه ، ان يتصدى بشعره الى هؤلاء الغزاة بتحريض الناس على مقاومتهم ، ولكنا لم نجد شيئا من هذا ، واعتقد ان الزمخشرى قد توفى قبل ان يصبح خطر الصليبيين واضحا للناس فقد كانت البداية مناوشات وكان يتصدى لها اهل الشام ، فلم يكن يتوقع ان تبلغ هذه الحملات ما بلغته من احتلال للارض وتشريد لاهلها وتدمير لممتلكاتهم ، ولم نجد له شيئا فى هذا الا فى قصيدته التى

يمدح بها تاج الملك صاحب دمشق ، - اثناء وجوده في دمشق - وقد صد تاج الملك هجوم الصليبيين على دمشق ، سنة ٥٢٣ هـ ، فمن الناحية التاريخية تكون قيمة المخطوطة مقصورة على اسماء الاشخاص الذين ورد ذكرهم من سلاطين ووزراء ، واكثر من استفاد من هذه الناحية نظام الملك وابناؤه والامير على بن عيسى ابن وهاس شريف مكة ، فقد كان لهؤلاء نصيب الاسد في شعر الزمخشري .

اما قيمتها من الناحية الادبية فنستطيع ان نجعلها في الامور التالية :

١ - لقد كشفت عن مخزون كبير من شعر الزمخشري ، فقد كانت تروى له ابيات قليلة من الشعر في مختلف المواضع .

٢ - لقد بينت لنا الاغراض الشعرية التي كانت مستعملة في ذلك العصر ومنها كثرة المديح وقلة الهجاء .

٣ - اظهرت تكسب الشعراء بالشعر في عصر الزمخشري ، وانهم كانوا يستخدمون الشعر كسلعة يتجرون بها مما يحط بالشعر ويقلل من قيمته لانه لايصدر عن صدق فني ، ويقلب الحقائق .

٤ - آبانت عن شغف شعراء العصر باستعمال البديع ، حتى لاتكاد قصيدة او مقطوعة صغيرة منه .

٥ - كشفت عن الوان المعرفة التي كانت شائعة في ذلك الوقت ، وان العالم المخلص كان يحاول ان يلم من كل علم بطرف ، فالدراسة كانت موسوعية وليست تخصيصية .

٦ - التزام بعض الشعراء في نظمهم بحور الشعر العربية التي اكتشفها الخليل بن احمد ، والالتزام كذلك بالقافية الواحدة ، وعدم اتباع

ماجد من اوزان ونظام قوافي ، في العصر العباسي ، فهم يحاولون الحفاظ على شكل القصيدة العربية . ومع ان الزمخشري يؤيد الخروج على الوزن والقافية ، الا انه التزم ذلك في كل شعره .

٧ ـ جلب نسخة الديوان من امريكيا ، كشفت عن اشعار كثيرة بالاضافة الى الاشعار الموجودة في النسخ الاخرى ، بالاضافة الى كشفها عن نوعية الخط في ذلك العصر ، والى كتابة الالف اللينية والهمزة .

٨ ـ اظهرت لنا بعض الجوانب من سيرة الزمخشري العلمية ، واجتماعه بالعلماء ومراسلتهم واجازتهم .

فنكون باظهار هذه المخطوطة الى حيز الوجود قد اضفنا شيئا الى تراثنا الادبي ، وأظهرنا عملا جليلا لعالم جليل يستحق كل تقدير لجهوده التي بذلها في حياته لخدمة العلم .

٭ ٭

٭

الخاتمة

((الخاتمـــــة))

بعد ان تعايشنا مع الزمخشرى كشاعر هذه الفترة الطويلة نريـــد ان نجمل الى القارئ الكريم الاشياء البارزة فى هذه الدراسة نلخصهـــا فيما يلـــى :ـ

١ ـ لقد عاش الزمخشرى فى عصر كثرت فيه الفتن والحروب الداخلية ولكنه مع ذلك كان عصر عطاء بالنسبة الى العلم والمعرفة ، فقد فتـــح الحكام المدارس وشجعوا العلماء وأغدقوا عليهم الاموال ، فنشط المتعلمـــون وشاعت فيما بينهم الرحلة فى طلب العلم ، فنجد الزمخشرى ينتقل مـــن بلد الى آخر فى سبيل نيل العلم ، وتحصيله ، وكما تلقى المعرفـــة عن الاساتذة فقد اخذها من بطون الكتب ايضا ، فتنوعت ثقافته وتميـــزت عقليته وتعددت مؤلفاته وكثر تلاميذه والمعجبون به ، حتى شبه نفســـه بالكعبة ، والطلاب حوله بالطائفين ، وحتى وجدنا من مخلفاته حوالـــى ست وخمسين مؤلفا فى مختلف المعارف الموجودة فى عصره .

٢ ـ لقد اظهرت لنا دراسة الديوان بعض سمات الزمخشرى ، من مثل قطع رجله واثر ذلك على نفسه ، فحاول ان يعوض ذلك بالانصـــراف الى طلب العلم حتى بلغ فيه مابلغ ، وكشفت لنا ان الزمخشرى عاش حياتـــه على قسمين ، الاول منها ويمتد حتى سنة ٥١٢ هـ حين اصيب بالمرضـــة المنهكة ، وظن انها النهاية ، فعاهد الله على تغيير سلوك حياتـــه فعلا طبق كلامه بعد ان عوفى من مرضه ، فيترك مدح الامراء والـــوزراء والسلاطين والتزلف اليهم ، ويتجه الى تحصيل العلم والتأليف فيه ، والمجاورة فى بيت الله للعبادة ، وهذا القسم الثانى من حياته .

وكشف لنا عن عزوبته وفلسفته لذلك ، فهو مرة يخاف عقوق الابناء ومرة ثانية يخاف ان يخرجوا غير صالحين ، وثالثة يخاف أن يفقدهم فيعزز ذلك فى نفسه . ولكنه مع هذه العزوبية ظل عفيفا طاهرا الذيل وظهرت لنا عزة نفسه ، وانه كان يقف من الممدوح الند للند ويهدد بالرحيل عن البلاد اذا لم تحقق مطالبه ، وسمة اخرى ظهرت من خلال ديوانه ، وهى حبه للعرب والعروبة ، وكيف تعصب لهم وللغة العربية وربط بينها وبين الاسلام .

٣ ــ لقد نظم الزمخشرى فى معظم الاغراض الشعرية الشائعة فى عصره ، واكثر هذه الاغراض شيوعا فى ديوانه المديح ، ونستطيع ان نقسم مديحه الى ثلاثة اقسام ، مديحه للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يساعده فى ذلك ثقافته الاسلامية الواسعة وقصائد المديح للشعراء الذين سبقوه . والقسم الثانى مديح التكسب الذى قاله فى بداية حياته وتملق به الكتاب والوزراء والسلاطين حتى انه شعر بذنبه من ذلك ، فهو يعاهد الله فى مرضه الا يعود اليه . والقسم الثالث وهو مديحه لابن وهاس على حفاوته به ومديح استاذه الضبى لفضله عليه ومدحه للاصدقاء وكان صادقا فى هذا القسم بعيدا عن التزلف لانه فى ذلك المديح يرجو ، وفى هذا يشكر وفرق بين الاثنين بيّن .

كما نظم فى الرثاء ، ونستطيع ايضا ان نقسم رثاءه الى ثلاثة اقسام ، رثاء صادق ، تظهر فيه عاطفة الحزن قوية صادقة ، وذلك رثاؤه لامه وابيه واستاذه الضبى ، والثانى رثاء تقليدى لاحرارة فيه ولاعاطفة وهو رثاؤه لعلية القوم ، واللون الثالث وهو رثاؤه للنساء وتظهر فيه الشماتة بدل الحزن ، ويظهر كرهه للنساء واضحا .

والغرض الثالث هو الحنين الى مكة ، وهو صادق العاطفة معبر عن نفسية الشاعر المشتاقة الى الديار المقدسة ، اما الغرض الرابع فهو الغزل ، وقد جاء على شكل مقدمات لقصائد المديح ، وكان غزله تقليديا بحتا لا حرارة فيه ، فهو يقلد من سبقوه فى معانيهم واسماء محبوباتهم وديارهن ، كما نظم فى الشكوى من الزمان والناس ومن معاندة الحظ له فهو يرى ان الزمان واهله قد ظلموه حقه وقدموا عليه من هم دونه يساعدهم فى ذلك حظه العاثر الذى لايقف الى جانبه ، وبما ان الزمخشرى كان عصاميا وليس عظاميا ، فقد انصب كل فخره على علمه واخلاقه ، ولم يتطرق الى الفخر بالآباء والاجداد ، كما قال الكثير من الحكمة ، ولكنها جاءت على شكل مواعظ ونصائح لانها لم تصور دخائل النفس واصطراع العواطف ومشكلات الافراد والجماعات والطب الناجع فى علاج المشكلات لذلك فهى لم ترق الى حكم المتنبى وابى العلاء ، كما لاحظنا قلة الهجاء فى شعره لعدم توفر الاسباب الموجبة او الدافعة لذلك .

٤ ـ اما خصائص شعره الفنية ، فقد لاحظنا انه قد نظم هذا الشعر على ثلاثة اشكال ، جاء الاول منها على نمط القصيدة العربية التقليدية من مقدمة طللية ثم مقدمة غزلية ، ثم الدخول الى الغرض ، مع السير فى ذلك على طريق الشعراء العباسيين وليس الجاهليين ، والنمط الثانى جاء بمقدمات غزلية وحكمية ومقدمة الشكوى ، كما انه استطاع ان يجيد فى مطالع قصائده وفى حسن التخلص من غرض الى غرض وفى حسن المقطع ، وقد نظم شعره على ثلاثة عشر بحرا ، وكان للطويل نصيب الاسد من بينها ، فقد نظم عليه مايقرب من ألفى بيت ، وقد بينا ان السبب فى ذلك يعود الى طبيعة البحر الطويل والى اتساعه لمعظم الاغراض . وقد استطاع ان يجنب شعره معظم عيوب القافية ، مع انه

نظم على معظم حروف الهجاء .

اما بالنسبة لمعانيه فقد جاءت مكررة وتقليدا لما سبقه ، ولان الزمخشري استمد ثقافته العلمية من القرآن والسنة والثقافة العربية بما فيها من اشعار وامثال وقصص فقد جاء في شعره الشيء الكثير من هذه .

ومع ان معظم شعره واضح ، الا ان هناك بعض الغموض في قصائده ومقطوعاته ، وكانت عاطفته متنوعة ، فتظهر واضحة اذا اطلق نفسه على سجيتها ، اما اذا تكلف النظم فيظهر ضعفها وغموضها ، فيلجأ الى المبالغة لتغطية ذلك .

واما اسلوبه فكان رصينا جزلا لاتحس فيه بضعف او تهافت ، ويرجع ذلك الى كلماته وتعابيره فقد جاءت جزلة منتقاة لتعبر عن المعنى الذي يريده ، حتى انه لجأ الى الغريب في الكثير من الفاظه ، فتظهر عندها الكلمة قلقة في موضعها وتؤدي بالتالي الى غموض في المعنى .

اما الصورة فقد اعتمدت على التشبيه والاستعارة والكناية ، وجاءت تكرارا لما رسم سابقوه ، لذلك كان خياله من القريب الذي لايحلق في الافاق .

كما وان شاعرنا قد اسرف اسرافا كبيرا في استعمال المحسنات البديعية وخاصة الجناس والطباق .

هذه اهم النتائج التي ظهرت خلال البحث ،

والله ولي التوفيق .

((المراجـــــــــــع))

١ ـ احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم :

للمقدسى ـ مطبعة بريل / مدينة ليدن سنة ١٩٠٩ .

٢ ـ ارشاد الاريب لمعرفة الاديب : (معجم الادباء)

الحموى ـ ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ)

مطبعة هندية بالموسى بمصر سنة ١٩٢٥ م . دار المأمون

الاخيرة .

٣ ـ ازهار الرياض فى اخبار عياض :

المقرى : شهاب الدين احمد بن محمد (ت١٠٤١ هـ)

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦١ هـ .

٤ ـ اساس البلاغـــة :

الزمخشرى : محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) .

مطبعة دار الكتب سنة ١٩٢٣ م .

٥ ـ اسس النقد الادبى عند العرب :

احمد احمد بدوى مكتبة نهضة مصر بالفجالة الطبعـــة

الثالثة سنة ١٩٦٤ .

٦ ـ انباه الرواه على انباه النحاه :

القفطى : الوزير جمال الدين ابو الحسن على بن يوسف

دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤ هـ .

٧ ـ الانساب :

السمعانى : ابو سعيد عبد الكريم بن ابى بكر .

مطبعة دار المعارف العثمانية حيدر آباد سنة ١٣٨٦ هـ .

٨ ـ البداية والنهاية :

لابن كثير : ابو الفدا عماد الدين اسماعيل بن عمر • (ت ٧٧٤هـ)

مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٥٩ هـ •

٩ ـ بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاه :

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١ هـ)

تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم • مطبعة عيسى البابي

الحلبي طبعة الولى سنة ١٣٨٤ هـ •

١٠ ـ البيان والتبيين :

الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)

تحقيق عبد السلام هارون • ط الثانية القاهرة ١٩٣٢ م •

١١ ـ تاريخ الادب العربي :

بروكلمان : كارل بروكلمان • ترجمة رمضان عبد التواب •

دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٧ م •

١٢ ـ تاريخ الادب العربي في العصر العباسي :

السباعي السباعي بيومي

مطبعة العلوم سنة ١٩٣٥ م •

١٣ ـ تاريخ آداب اللغة العربية :

جورجي زيدان • مطبعة الهلال •

١٤ ـ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي :

الدكتور حسن ابراهيم • مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧ م •

١٥ - حكيم المعـــرة :

دكتور عمر فروخ • دار الكشاف والطباعة والتوزيع •

١٦ - خزانة الادب وغاية الارب :

ابن حجة الحموى : تقى الدين ابو بكر على (ت٨٣٧هـ)

طبع المطبعة الخيرية بالقاهرة ط اولى سنة ١٣٠٤ هـ •

١٧ - الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشرى :

دكتور صالح فاضل السامرائى• دار النذير سنة ١٩٧٠م

١٨ - ديوان أبى نواس :

تحقيق احمد عبد المجيدالغزالى • طبع بيروت •

١٩ - ديوان الاخطـــل :

الطبعة الثانية - دار المشرق •

٢٠ - ديوان حاتـــم :

نشر شولتهس •

٢١ - ديوان طرفـه بن العبد :

بـــيروت •

٢٢ - رجعة الى أبى العلاء :

عباس العقاد • دار الكتاب العربى بيروت لبنان •

٢٣ - الزمخشـــرى :

الدكتورا حمد الحوفى - دار الفكر العربى •

٢٤ - سلاجقة ايران والعراق :

الدكتور عبد النعيم حسنين مكتبة النهضة المصرية •

697 ص

٢٥ - سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي :
النسوى : محمد بن احمد . تحقيق حافظ حمـــدى
مطبعة دار الفكر العربي سنة ١٩٥٣ م .
٢٦ - شذرات الذهب في اخبار من ذهب :
ابن العماد الحنبلي : ابو الفلاح عبد الحي بن العماد
(ت ١٠٨٩ هـ) . المكتب التجاري بيروت - مصـــورة
عن طبعة القدسي القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ .
٢٧ - الشعر والشعراء :
ابن قتيبة : ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦ هـ)
تحقيق احمد محمد شاكر . دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦م
٢٨ - صحيح مسلـــم :
النيسابوري : الامام ابو حسين مسلم بن الحجاج القشيري
عيسى البابي الحلبي وشركاه .
٢٩ - الصناعتـــين :
العسكري : ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل .
تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهـــيم
طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٧١ م .
٣٠ - العمـــدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده :
ابن رشيق : ابو علي الحسن القيرواني (ت ٤٥٦ هـ)
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد نشر دار الجيـــل
بيروت طبعة الرابعة - ١٩٧٢ م .

٣١ ـ الفوائد البهية فى تراجم الحنفية :

عبد الحى اللكنوى ـ مكتبة ندوة المعارف الهند سنة ١٩٦٧م .

٣٢ ـ القسطاس المستقيم :

الزمخشرى : محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) .

تحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسينى .

٣٣ ـ القوافى :

التنوخى : القاضى ابو يعلى عبد الباقى عبد الله

مكتبة الخانجى بالقاهرة سنة ١٩٧٥ م .

٣٤ ـ الكامل فى التاريخ :

ابن الاثير : على بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠ هـ)

دار صادر ١٩٦٦م .

٣٥ ـ الكشاف :

الزمخشرى : محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) .

المطبعة التجارية الكبرى بمصر طبعة أولى سنة ١٣٥٤ هـ .

٣٦ ـ لحظ الالحاظ بذيل طبقات الحفاظ :

الحافظ : تقى الدين المكى . عنى بنشرها القدسى دمشق .

٣٧ ـ لسان الميزان :

ابن حجر العسقلانى . حيدرآباد طبعة أولى ١٣٣١ هـ

٣٨ ـ المثل السائر فى ادب الكاتب والشاعر :

ابن الاثير : ضياء الدين نصرالله بن الاثير (ت ٦٣٧ هـ)

مطبعة البابى الحلبى القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ .

٣٩ ـ مجلة المجمع العربي العراقي : العدد ٢٣ سنة ١٩٧٣م .

٤٠ ـ مجمع الامثال :

الميداني : ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨ هـ) . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميـــــد المطبعة البهية بمصر .

٤١ ـ مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط . طبعة دار المعارف ـ ١٣١٥ هـ .

٤٢ ـ المحاجـــاة :

الزمخشري : محمود بن عمر . (ت ٥٣٨ هـ)

تحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسني ـ .

٤٣ ـ المختصر في اخبار البشر :

ابو الفدا : الملك المؤيد عماد الدين : (ت ٧٣٢ هـ)

القسطنطينية سنة ١٢٨٦ هـ .

٤٤ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان :

اليافعي ـ : ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان

دار المعارف حيدر آباد ط اولى .

٤٥ ـ معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي :

المستشرق زامباور ـ جامعة فؤاد الاول سنة ١٩٥١م .

٤٦ ـ معجم البلدان :

الحموي : شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦ هـ) . مطبعة دار صادر ودار بيروت سنة ١٣٧٦ هـ .

السنة

السنة

٤٧ ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم :

طاش كوبرى زاده : المولى احمد بن مصطفى (ت ٩٦٢هـ)

دار الكتب الحديثة . السنة

٤٨ ـ مقدمة القصيدة العربية فى العصر العباسى الاول :

الدكتور حسين عطوان ـ دار المعارف بمصر . السنة

٤٩ ـ مهذب رحلة ابن بطوطة :

احمد العمراوى بك ، ومحمد احمد جاد المولى بك ـ ؟

المطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٩٣٤ م .

٥٠ ـ الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء :

المرزبانى : ابو عبيد الله .

المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٣ هـ .

٥١ ـ الموطـــــأ :

الامام مالك : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ـ طبعـــــة

عيسى البابى الحلبى . السنة

٥٢ ـ نزهة الالباء فى طبقات الادباء :

الانبارى : ابو البركات كمال الدنيا عبد الرحمن بن محمد

تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائى ـ مكتبة الاندلس العربى

الطبعة الثانية ١٩٧٠ م .

٥٣ ـ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان :

ابن خلكان : احمد بن محمد (توفى ٦٨٠ هـ) .

تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٤٩ م .

٥٤ - يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر :

الثعالبي : ابو منصور عبد الملك محمد بن اسماعيل

(ت ٤٢٩ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت

طبعة ثانية سنة ١٩٧٣ م .







الفهرس

((فهـــرس الموضوعـــات))

الفصل الثالث : الخصائص الفنية لشعر الزمخشري ...